TALFAH

KUNTUM KHAYR UMMAH

V. 1



Princeton University Library
32101 072240433

من منشورات



كنتم خير أمة أخرجت للناس

"أولئك آبائي"

تاليف

خير الله طلفاح

الجزء الأول

مطبعة المعارف - بغداد

١٩٦٤/١/١

خيرالله طلفاح

كُنْتُمْ
خَيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ

"أولئك أبائى"

الجزء الأول

مطبعة المعارف - بغداد
١٩٦٣

الاهداء

الى الذين جادوا بأموالهم وأنفسهم من أجل العروبة والاسلام اقدم كتابي هذا .

المؤلف

المقدمة

باسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أما بعد : فانى أحمد الله الذى لا إله الا هو وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اختاره من خير امة اخرجت للناس ليبلغ رسالة رب السماء الى أهل البسيطة جمعاء . وأشهد أن امة العرب التى أنجبت محمداً هى الامة التى اجتباها ربها وخصها من بين امم الارض برسالة السماء لتبلغها للناس كافة ، فحملت الرسالة بصدق واخلاص ، وأدت الامانة كاملة غيرمنقوصة ، فكان من حقها أن تفخر وتعتز بقوله جل وعلا : « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » وقد اتخذنا هذه الآية الكريمة عنواناً لكتابنا هذا .

حقاً لقد آمن العرب بالله ايماناً لم تؤمن بمثله امة اخرى ، آمنوا به بجاهليتهم فعبدوه واتخذوا من أوثانهم وسيلة لتقربهم الى الله تعالى زلفى ، بينما عبدت الامم الاخرى أوثانها واتخذتها أرباباً من دون الله ، واليك قارئى الكريم ما قاله قس بن ساعدة الايادى حول وحدانية الرب بالحرف الواحد : « أيها الناس اسمعوا وعوا واذا وعيتم شيئاً فانتفعوا ، ان من عاش مات ، ومن فات ، وكل ما هو آتٍ آت ، مطر ونبات ، وأرزاق وأقوات ، وآيات بعد آيات ، ان في السماء لخبراً وان في الارض لعبراً ، ليل داج وسماء ذات ابراج وأرض ذات فجاج ، ما لى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا هناك فناموا ؟ » يقسم قس قسماً لا خائن فيه ولا آثماً ان لله ديناً هو أحب اليه من دينكم الذى أنتم عليه ، ونبياً قد

آن آنه وأظلكم أوانه ، فطوبى لمن أدركه وآمن به وهداه ، وويل لمن خالفه وعصاه • »

وآمنت به بعد الرسالة السماوية فوحدته بالركن الاول من أركان الاسلام الحنيف : أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ـ آمنت بالرسالة الجديدة ايماناً مبعثه القلب الصافى والفكر النير وحملت تلك الرسالة الى سكان المعمورة فأخرجتها من الظلمات الى النور وحررت من سخافات الجهل وعبودية الاوثان فى ربع قرن ما يعجز عنه العالم بأجمعه فى قرن كامل وفى وذلك يقول نابليون فى كتاب حاضر العالم الاسلامى : « لقد حرر العرب من العالم فى ربع قرن ما يعجز عنه العالم بكامله فى قرن كامل ، وما ذلك الا بفضل المبادىء الصحيحة التى استطاع محمد أن يلقنها الى قلوب قومه العرب » •

والواقع أن العرب حملوا مشعل النور والحرية للعالم فأصبحت حضارتهم تظلل رقعة الكون الممتدة من الصين شرقاً الى بحر الظلمات غرباً ومن المحيط الهندى جنوباً الى أواسط أوربا شمالا فحق لهم أن يتباهوا بقوله تعالى : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » أجل لقد عرف البارى جلت قدرته امة العرب وما حوته من مزايا وفضائل انفردت بها بين امم الارض فخصهم برسالته ، فكانوا السباقين الى اعتناقها والحاملين لواءها والمبشرين بدعوتها وخصهم أكثر فجعل لغة القرآن لغتهم ونبى الاسلام زعيمهم وكذا الخلفاء والقادة والفاتحين والمؤمنين الاولين والانصار والمهاجرين فكافأهم ربهم على سابقيتهم هذه بأن جعلهم السابقين الى اعتناق الدعوة والمقربين الى رب السماء فقال جلت قدرته : « السابقون السابقون اولئك المقربون »

لم يختر البارى جل شأنه أمة العرب بالذات لتحمل الرسالة دون سواها ولم يختر محمدا منهم لمجرد الصدفة أو لاسباب عفوية كما يقول المرجفون ، ولم يخصهم بها لأنهم أحوج من غيرهم الى الاصلاح كما يقول

الشعوبيون والحاقدون لان المنطق يجانف هذا القول وذلك لان الامة المتخلفة حضاريا والعاجزة عن اصلاح نفسها لهى عن اصلاح غيرها أعجز فلا يصح أن يوكل أمر اصلاح الناس الى امة عاجزة عن اصلاح نفسها •

ومن يتصفح تأريخ العروبة يجده قد حوى من حميد الصفات ونبيل العادات ومن معالم القوة والحيوية ما لم تحوها امة اخرى ، فالكرم صفة عربية أصيلة وهاك بعضا مما ورد فى أشعار العرب عن الكرم • فهذا حاتم يقول لزوجته :

أماوىُّ ان المال غاد ورائح — وتبقى من المال الاحاديثُ والذكرُ
أما وىُّ انى لا أقول لسائل — اذا جاء يوما حل فى ماليَ النزرُ

وهذا هرمُ بن سنان أحد أجواد العرب فى الجاهلية بلسان أحد شعرائها :ــ

من يأت يوماً على علاته هرماً — يلقَ السماحة منه والندا خلقا
لو نال حى من الدنيا بمكرمة — افق السماء لنالت كفه الافقا

واليك ما قيل عن معن بن زائدة أحد أجواد العرب فى الاسلام :ــ

ألما على معن وقولا لقبره — سقتك الغوادى مربعاً ثم مربعا
فيا قبر معن أنت أول حفرة — من الارض خطت للسماحة مضجعا
ويا قبر معن كيف واريت جوده — وقد كان عنه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت — ولو كان حياً ضقت حتى تصدعا
فتىً عيش فى معروفه بعد موته — كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
ولما مضى معن مضى الجود وانقضى — وأصبح عرنين المكارم أجدعا

ومن صفاتهم الاصيلة الجرأة والاقدام ، فتاريخهم ملىء بالآيات والعبر وهذا عنترة يتغنى بلمعان السيوف لان بريقها يحاكى ثغر حبيبته المتبسم • فهو يقول :ــ

ولقد ذكرتكِ والرماحُ نواهلٌ   مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها   لمعت كبارق ثغرك المتبسم

ومن صفاتنا أيضا حفظ العهد ووفاؤنا بالوعد ولك أيها القارىء الكريم من وفاء السموأل بن عادياء بدروع امرىء القيس بن حجر الكندى ما يفيد ويغنى .

ومن صفاتنا كذلك الاباء والشمم ولنا فى قصة كليب وائل ما يرينا الاباء العربى بأبهى وأجلى مظاهره .

وهناك صفات عربية أصيلة اخرى سنذكرها تفصيلا فى الباب الاول من هذا الكتاب بعون الله .

أخى العربى : لقد تتبعت تاريخك فى أكثر من مصدر وقرأته فى أكثر من لغة وأنا الآن أدون لك فيما يلى غيضا من فيض من مفاخر امتك ودرر أمجادك لعل فيها ما يفيد اولئك التائهين المغفلين من أبناء امتنا . ويجعله حجرا صلدا نلقم به أفواه الشعوبيين الحاقدين الذين كانوا ولا زالوا العدو الاول لهذه الامة التى حباها الله بأجل المزايا واكرم الصفات ، والله أسأل أن يهدينا الى ما فيه صلاح ديننا ودنيانا انه قريب مجيب .

المؤلف

الباب الأول

صفات العـرب ومزاياهـم

ذكرنا فى المقدمة ان أمة العرب حباها الله بأجمل الصفـات وخير العادات جعلت منها امة بزت أقرانها وصيرتها خير امـة اخرجت للناس فاختارها ربها لتحمل رسالته دون سواها من امم الارض وها نحن نذكر تلك الصفات متسلسلة مع الامثلة مبتدئين بالوفاء عند العرب .

أولا ـ الوفاء عند العرب

قلنا ان الوفاء صفة عربية أصيلة واليك أيها القارىء بعض الامثلة على الوفاء عند العرب منها :ـ

١ ـ قوس حاجب بن زرارة : ـ

توالت على مضر الجذوبة والقحط سبع سنوات حتى كادوا يهلكون من شدة الجوع والعوز ، فلما رأى حاجب بن زرارة ، وهو سيد تميم وقتها ، وطأة ذلك على قومه صمم أن يأتى كسرى ملك العجم ليلتمسه أن يسمح لقومه بالافادة من خصوبة أرضه فلما أتاه شكا اليه الجهد الذى أصابهم وأموالهم من قحط السنين الخوالى وطلب منه أن يأذن لهم فيكونوا فى حد بلاده كى يعيشوا ويحيوا فأجابه بأنه يخشى بأسهم ، فقال حاجب : اننى ضامن لك الا يفعلوا . يسيئُكَ أو يكدر صفو بلادك . قال كسرى : ومن لى بهذا ؟ قال حاجب : ارهنك قوسى بالوفاء بما ضمنته لك .

ولما جاء حاجبٌ بقوسه ـ وهو لا يعدو قوساً ووتراً ـ ضحك من كان

بمجلس الملك لما رأوه وقالوا : بهذه العصا تفى للملك بما ضمنته له ؟ فقال الملك : لا بأس عليه خذوها فان العرب امة عهد ووفاء • واذن لهم بدخول الريف •

ومكث بنو زرارة فى ريف كسرى مدة ثم مات حاجب وخلفه ابنه ، وزال القحط وخرج بنو زرارة من بلاد كسرى قاصدين بلادهم التى أخصبت بعد جذب • فتذكر عطارد بن حاجب قوس أبيه فقصد كسرى ليطلب منه القوس • فلما دخل عليه وكلمه فى القوس قال له كسرى : ما أنت بالذى وضعتها عندى • قال عطارد : أجل أيها الملك ما أنا بالذى وضعتها • قال : فما فعل الذى وضعها ؟ قال : هلك وهو والدى وقد وفى لك بما ضمن عن قومه فرد عليّ رهنه • قال كسرى : ردوا عليه قوس أبيه انكم أصحاب وفاء •

٢ ـ قصة السموأل بن عادياء : ـ

لما أراد امرؤ القيس أن يمضى الى قيصر ملك الروم ليطلب منه النجدة ، أودع عند السموأل دروعا وسلاحاً وأمتعة تسوى ثمناً كثيرا ، فلما مات امرؤ القيس أرسل ملك كندة يطلب الودائع من السموأل ، فأبى أن يدفعها لغير صاحبها فعاوده فأبى وقال : (لا أغدر بذمتى ولا اخون امانتى ولا أترك الواجب عليّ لئلا تتحدث عنى العرب انى خفرت ذمتى وخنت أمانتى ولو كان فى ذلك حتفى أو ذهاب ملكى)

فقصد ملك كندة السموأل بعسكره وأحاط حصنه الذى احتمى بداخله وامتنع به ، وحاصره الملك حصارا عنيدا لمدة طويلة ، وكان ابن السموأل خارج الحصن يقصد صيداً ، فلما عاد ظفر به الملك وأسره ، ثم طاف حول الحصن وصاح بالسموأل فأشرف عليه من أعلى الحصن فلما رآه قال له : ان ولدك قد أسرته وها هوذا معى فان سلمت اليّ الدروع والسلاح خليّتُ عنك وسلمت اليك ولدك ، وان أبيت ذبحت ابنك وأنت

تنظر اليه ، فاختر أيهما شئت . فقال له السموأل : (ما كنت لا خفر ذمامي وابطل وفائي من أجل ولد ، فاصنع ما شئت ، فذبح ابنه وحاصر الحصن أمدا طويلا ولما أعياه الامر رجع خائبا ، واحتسب السموأل ذبح ولده واعتبره ثمنا لوفائه جريا على عادة العرب النبيلة . ولما جاء موسم الحج وحضر ورثة امرىء القيس سلم السموأل اليهم الامانة وقال :

وفيتُ بادرع الكندى انى   اذا ما خان أقوام وفيتُ

٣ ـ مع النعمان بن المنذر :

خرج النعمان يوما يتصيد على فرسه اليحموم (الاسود) فأجراه على اثر حمار وحشي فذهب به الفرس بعيداً وانفرد عن أصحابه ومطرت السماء وراح يبحث عن ملجأ فوجد بيتا يسكنه رجل من طي اسمه حنظلة ومعه زوجته ولم يكن للطائي من حطام الدنيا سوى شاة يعيش من لبنها وهو لا يعرف النعمان ، غير انه قال لزوجته : أراه رجلا ذا هيبة وما اخلقه أن يكون رجلا شريفا . فقالت له عندي شيء من طحين ادّخرتُه فاذبح الشاة لاتخذ من الطحين خبز ملة ـ خبز يشوى بالجمر والرماد الحار ـ فأخرجت المرأة الدقيق وخبزته وذبح الرجل الشاة بعد أن حلبها فاتخذ من لحمها مرقة مطبوخة باللبن وأطعمها لضيفه وجعل يحدثه بقية ليله .

فلما أصبح النعمان لبس ثيابه وركب جواده ثم قال : « يا أخا طي أنا الملك النعمان » ثم لحق الخيل ومضى نحو الحيرة ، ومكث الطائي بعد ذلك زمنا حتى أصابته نكبة وجهد ، وساءت حاله ، فقالت له زوجته : « لو قصدت الملك لاحسن اليك » فأقبل حتى انتهى الى الحيرة فوافق مجيئه يوم بؤس النعمان فاذا هو واقف في خيله والسلاح . فلما نظر اليه النعمان عرفه وساءه أن يأتي في مثل هذا اليوم ، فوقف الطائي بين يدي النعمان فقال له النعمان أفلا جئت في غير هذا اليوم ؟ قال الطائي :

أبيت اللعن وما كان علمي بهذا اليوم ! فقال النعمان : والله لو سنح لي في هذا اليوم ولدي قابوس لم أجد بدا من قتله . فاطلب حاجتك من الدنيا وسل ما بدا لك فانك مقتول ! قال أبيت اللعن وما أصنع بالدنيا بعد نفسي ؟ قال النعمان : لا سبيل اليها . قال الطائي : ان كان لابد فأجِلني حتى ألمَّ بأهلي فأوصي اليهم واهيىء لهم حالهم ثم انصرف اليك . قال النعمان : فأقم لي كفيلا بموافاتك فالتفت الطائي الى شريك بن عمرة أحد ندماء النعمان وهو واقف بجانب النعمان فقال له :

يا شريكٌ يا ابن عمره هل من الموت محاله

يا أخا كلِ مصاب يا أخا من لا أخا له

يا أخا النعمان فك اليوم ضيفاً قد أتى له

فأبى شريك أن يتكفله فوثب اليه رجل من كلب يقال له فراد بن أجدع فقال للنعمان : أبيت اللعن ! هو عَلي . قال النعمان : أفعلت ؟ قال : نعم فضمنه اياه ثم أمر للطائي بخمسمائة ناقة فمضى الطائي الى أهله وقد جعل الاجل حولا من يومه ذاك ، الى مثل ذلك اليوم من السنة التي تليه . فلما حال اليه الحول وبقي من الاجل يومٌ واحد ، قال النعمان لفراد : ما أراك الا هالكا غداً . فقال فراد :

فان يك صدر هذا اليوم ولى فان غداً لناظره قريبُ

فلما أصبح النعمان ركب في خيله ورَجِله متسلحاً كما كان يفعل حتى أتى الغريين فوقف بينهما وأخرج معه فراداً وأمر بقتله فقال له وزراؤه : ليس لك أن تقتله حتى يستوفي يومه فتركه . وكان النعمان يشتهي أن يقتل فراداً ليفلت الطائي من القتل ، فما كادت الشمس تجب وفرادٌ قائم على النطع والسياف الى جنبه حتى أقبلت امرأته وهي تنشد :

فيا عين ابكيلي فراد بن اجدع رهينا لقتلٍ لا رهيناً مودعا

فبينما هم كذلك اذ بان لهم شخص من بعيد ، وقد أمر النعمان بقتل فراد . فقيل له : ليس لك أن تقتله حتى يأتيك الشخص فتعلم من هو ؟ فكف حتى انتهى اليه الرجل فاذا هو الطائى . فلما نظر اليه النعمان شق عليه مجيئه فقال له : ما حملك على الرجوع بعد افلاتك من القتل ؟ قال : دينى : قال وما دينك ؟ قال : النصرانية . قال النعمان : اعرضها عليّ . فعرضها عليه فتنصر النعمان وأهل الحيرة أجمعون وترك القتل منذ ذلك اليوم وأبطل تلك السنة وأمر بهدم الغريين وعفا عن فراد والطائى وقال : والله ما أدرى أيهما أوفى وأكرم ؟ أهذا الذى نجا من القتل فعاد أم هذا الذى ضمن ؟ والله لا أكون ألأم الاثنين . فقال الطائى :

ما كنت اخلف ظنه بعد الذى أسدى اليّ من الفعال الخالي
ولقد دعتنى للخلاف ضلالتى فأبيت غير تمجدى وفعالي

٤ ـ قصة سفانة بنت حاتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فريقاً من جنده الميامين الى من لم يسلم من قبيلة طى يتقدمهم بطل العروبة والاسلام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ففزع عدى بن حاتم وكان فى جاهليته من أشد الناس عداوة لرسول الله ، فزع الى الشام وبقيت قبيلته فهجم علي بجنده واستاق خيلهم ونعمهم وأسر رجالهم وسبا نساءهم وأتى بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما عرض الاسرى على الرسول العربى الكريم نهضت من بينهم سفانة ابنة حاتم فقالت : يا محمد هلك الوالد وغاب الوافد فان رأيت ان تخلي عنى ولا تشمت بى أحياء العرب ! فان أبي كان سيد قومه يفك العانى ويقتل الجانى ويحفظ الجار ويحمى الذمار ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشى السلام ويحمل الكل ويعين على نوائب الدهر وما أتاه أحد فى حاجة فرده خائبا أنا ابنةُ حاتم طى

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ياجارية هذه صفات المؤمنين حقا

ولو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه . خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق . ثم أردف فقال : ارحموا عزيزا ذل وغنيا افتقر وعالما ضاع بين جهال . وامتنّ عليها فأطلق سراحها وقومها معها تكريما لها ولابيهـــا . فاستأذنته بالدعاء له فأذن لها وقال لاصحابه : اسمعوا دعاءهـــا ، فقالت : أصاب الله ببرك مواقعه ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا سلب نعمةً عن كريم قوم الا جعلك سببا فى ردها اليه .

فلما أطلقها رجعت الى أخيها عدى وهو بدومة الجندل فقالت له : يا أخي ايت الرجل ـ تقصد محمداً صلى الله عليه وسلم ـ قبل أن تعلقك حباله فاني رأيت هديا ورأيا سيغلب أهل الغلبة ، ورأيت خصالا تعجبني : رأيته يحب الفقير ، ويفك الاسير ويرحم الصغير ، ويعرف قدر الكبير . وما رأيت أجود ولا أكرم منه ، فان يكن نبيا فللسابق فضله وان كان ملكا فلن نزال فى عز ملكه .

فقــدم عــدى الى الرســول فأســلم وأســلمت ســفانة وأسلمت طى باســلامهمــا وكــان وفــاء متقــابلا من الرســول العربى ، ومن الــكريم عدى فمرحى لامة انجبتهما .

٥ ـ قصة عباس بن مرداس مع سجان عبيد الله بن زياد

تتبع عبيدالله بن زياد الخوارج فحبسهم وحبس عباس بن مرداس معهم فرأى صاحب السجن شدة اجتهاد عباس وحلاوة منطقه فقـــال له : انى ارى لك مذهبا حسنا وانى أحب أن أصنع لك معروفا ! أفرأيت أن تركتك تنصرف الى بيتك أتدلُج اليّ ؟ قال نعم فكان يفعل ذلك كل يوم .

ولكن ابن زياد لج فى حبس الخوارج وقتلهم فكلم فى الرأفة بهم فلج وأبى وقال : أقمع النفاق قبل أن يظهر ، لهؤلاء كلام اسرع الى قلوب الناس من النار الى اليراع ، وفى ذات يوم قتل رجل من الخوارج رجلا

من الشرطة فقال ابن زياد : ما أدرى ما أصنع بهؤلاء ! كلما أمرت رجلا بقتل رجل منهم فتكوا بقاتله والله لاقتلن من فى حبسى منهم جميعا .

وكان السجان قد أخرج مرداسا الى منزله كما كان يفعل ، فلما أتى مرداسا الخبر تهيأ سحرا للخروج فقال له أهله : اتق الله فى نفسك فانك ان رجعت الى السجن قتلت . فقال : انى ما كنت لالقى الله غادرا فرجع الى السجان فقال له : أما علمت بما عزم عليه صاحبك ؟ - يقصد زياداً قال عباس : نعم . ولم يكن جزاؤك أن تعاقب بسببى .

فأصبح عبيدالله يقتل الخوارج ثم دعى بمرداس فلما حضر وثب السجان فقبل قدم عبيدالله ثم قال : هب لى هذا . وقص عليه قصته فوهبه له وعفا عنهما وهذا مثال آخر يرينا الوفاء كيف يكون .

٦ - قصة العجوز مع الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر رضى الله عنهم

خرج الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر رضوان الله عليهم قاصدين حج بيت الله الحرام ففاتهم متاعهم فجاعوا وعطشوا فمرّوا بعجوز فى خباء لها فقال أحدهم هل من شراب ؟ قالت نعم . فأناخوا اليها وليس عندها الا شويهة واحدة فقالت : هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى اهيىء لكم ما تأكلون ، فقام اليها أحدهم فذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فأكلوا وأقاموا عندها حتى ابردوا فلما ارتحلوا قالوا : نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين بعون الله الى بنا فانا ان شاء الله صانعون لك خيرا وارتحلوا .

فلما عاد زوجها أخبرته بما فعلت فاستحسن صنعها وبعد زمن الجأتها الحاجة الى دخول المدينة فدخلاها وجعلا يحطبان الحطب ويعيشان منه ، فمرت العجوز ذات يوم ببعض طرق المدينة فاذا الحسن بن علي واقف بباب داره فعرفها وبعث اليها غلامه فدعا بها فقال لها : يا أمة الله

أتعرفينني ؟ قالت : لا . قال : أنا ضيفك يوم ذبح الشاة . قالت : بأبى أنت وامى ثم اشترى لها عددا من شياه الصدقة وأمر لها بمقدار من الدراهم وبعث بها مع غلامه الى أخيه الحسين . فأمر لها بمثل ذلك وبعث بها مع غلامه الى عبدالله بن جعفر . فقال لها : بكم وصلك الحسن والحسين ؟ قالت بكذا . فأمر لها بضعف عطيتهما وقال : لو بدأت بى لاتعبتهما فى العطاء وهذا مثل آخر للوفاء .

٧ ـ قصة يزيد بن المهلب :

وَجِدَ الحجاج على يزيد بن المهلب فسجنه وعذبه واغرمه مالا كثيرا لا طاقة له به فتوسل يزيد بالسجان وهربا معا الى سليمان بن عبدالملك وكان الخليفة في ذلك الوقت الوليد بن عبدالملك فلما وصل يزيد الى سليمان أكرمه وأحسن اليه وأقامه عنده فأخبر الحجاج الوليد بذلك وكتب هذا الى أخيه بذلك ، أما سليمان فقد كتب الى أخيه يقول : يا أميرالمؤمنين انى انما اجرتُ يزيد بن المهلب لانه هو وأبوه واخوته من أصحابنا قديما وحديثا ولم اجر عدوا لامير المؤمنين وقد كان الحجاج قصده وعذبه واغرمه أربعة آلاف ألف درهم، ثم طالبه بعدها بثلاثة آلاف ألف درهم وقد سار هذا الرجل اليّ مستجيرا من ظلم الحجاج فأجرته وأنا أغرم عنه ثلاثة آلاف ألف درهم فان رأى أمير المؤمنين ألا يخزينى فى ضيفى فنعم صنيعه وأهل الفضل هو . فكتب اليه الوليد : « لا والله لا اؤمنه حتى تبعث به اليّ فى وثاق . فكتب اليه سليمان : ولئن أنا بعثته اليك لاجيئن معه . فأنشدك الله الا تفضحنى ولا تخفرني ذمامى ، فكتب اليه الوليد والله لئن جئتنى لا أعفون عنه . فقال يزيد لسليمان : ابعثنى اليه فانى لا اريد أن اوقع بينكما .

فأحضر سليمان ولده أيوب فقيده ودعا بيزيد فقيده أيضا ثم شد قيد هذا الى قيد هذا بسلسلة وغلهما بغلين وحملهما الى الوليد وكتب اليه : أما بعد : يا أمير المؤمنين فانى قد وجهت اليك يزيدا وابن أخيك أيوب بن

سليمان ، وقد هممت أن أكون ثالثهما ، فان هممت يا أمير المؤمنين بقتل يزيد فبالله عليك ابدأ بأيوب قبله ثم اجعل يزيداً ثانيا ، واجعلني اذا شئت ثالثا والسلام .

فلما دخل يزيد بن المهلب وأيوب بن سليمان على الوليد مقيدين بسلسلة اطرق استحياءاً وقال : « لقد أسأنا الى سليمان ، اذ بلغنا به هذا المبلغ » . فأراد يزيد أن يتكلم ويحتج عن نفسه . فقال له الوليد : ما تحتاج الى الكلام فقد قبلنا عذرك ، وعلمنا ظلم الحجاج ، ثم أحضر حدادا وأزال القيد عنهما وأحسن اليهما ووصل بن أخيه بثلاثين الف درهم ووصل يزيد ابن المهلب بمثل ذلك وردهما الى سليمان وكتب الى الحجاج كتابا قال فيه : لا سبيل لك على يزيد بن المهلب فاياك أن تعاودني فيه بعد اليوم ، فسار يزيد الى سليمان بن عبدالملك ابن مروان في أعلى المراتب وأفضل المنازل وعاش بعدها بأمان .

٨ ـ نعمة عدوك قلادة في عنقي :

أرسل أبو جعفر المنصور الى شيخ من أهل الشام كان في بطانة هشام بن عبدالملك بن مروان فسأله عن تدبير هشام في حروبه مع الخوارج فوصف له الشيخ بعضها فقال : ـ رحمه الله ـ كذا ، وصنع ـ رحمه الله ـ كذا . فقال المنصور : قم عليك لعنة الله ، تطأ بساطي وتترحم على عدوي . فقام الشيخ وقال وهو مولٍ : ان نعمة عدوك قلادة في عنقي لا ينزعها الا غاسلي . فقال المنصور : ارجع أيها الشيخ ، فرجع . فقال المنصور : أشهد أنك حر شريف ، ارجع الى حديثك ، فعاد الشيخ الى حديثه حتى اذا فرغ دعا له بمال فأعطاه . فقال الشيخ : والله يا أمير المؤمنين ما لي اليه حاجة : ولقد مات عني من كنت بذكره اغنى فما أحوجني الى وقوف على باب أحد بعده . فقال المنصور : لله أنت فلو لم يكن لقومك غيرك لكنت أبقيت لهم مجدا وعزا باقيا .

٩ ـ لقد أمكنك الله من الوفاء :

قال صاحب شرطة المأمون : دخلت يوما على أمير المؤمنين ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد ، فلما رآني المأمون قال لي : يا عباس ، قلت لبيك أمير المؤمنين ! قال : خذ هذا الرجل اليك واحفظه عندك وبكر به الي من الغد • فدعوت جماعة فحملوه لان الغل قد منعه من الحركة • فقلت في نفسي : يجب أن يحفظ هذا في بيتي ، فأمرتهم فتركوه في مجلس بداري ، ثم أخذت أسأله عن قصته وعن حاله ومن أين يكون ؟ فقال : أنا من دمشق وأهلها خيرا • فقلت : من أنت من أهلها ؟ • قال : وعمن تسأل ؟ • قلت : أتعرف فلانا ؟ قال : ومن أين تعرفه ؟ قلت : وقعت لي معه قصة ، قال : ما كنت بالذي يعرفك خبره حتى تعرفني قصتك معه !

قال صاحب الشرطة : كنت مع بعض الولاة بدمشق فبغى أهلها وخرجوا علينا حتى أن الوالي تدلى بزنبيل من قصره وهرب هو وأصحابه ، وكنت من جملة الهاربين • فبينما أنا هارب في بعض الدروب ، اذ بجماعة يعدون خلفي ، فما زلت أعدو أمامهم حتى فتهم فمررت بهذا الرجل الذي ذكرته لك وهو جالس بباب داره فقلت : أغثني أغاثك الله ! قال : لا بأس عليك ، ادخل الدار ، فدخلت ، فقالت زوجته : ادخل تلك المقصورة فدخلتها • ووقف الرجل على باب الدار فما شعرت الا وقد دخل والرجال معه يقولون : هو والله عندك • فقال : دونكم الدار فتشوها ، ففتشوها حتى لم يبق سوى تلك المقصورة وامرأته فيها • فقالوا : هو في المقصورة • فصاحت بهم المرأة ونهرتهم فانصرفوا • وخرج الرجل وجلس على باب داره ساعة وأنا قائم ارتجف من شدة الخوف وما تحملني رجلايا • فقالت المرأة • اجلس لا بأس عليك فجلست فلم ألبث حتى دخل الرجل فقال : لا تخف قد صرف الله عنك شرهم ، وصرت الى الامن والدعة •

فقلت له جزاك الله خيرا • ثم ما زال يحسن معاشرتي وقد أفرد لي مكانا في داره ، ولم يفتر عن تفقد أحوالي •

فقمت عنده أربعة أشهر في أرغد عيش وأهنئه الى أن سكنت الفتنة وهدأت وزال أثرها • فقلت : أتأذن لي بالخروج حتى اتفقد حال غلماني فلعلي أقف منهم على خبر ؟• فأخذ عليّ المواثيق بأن أرجع اليه • فخرجت وطلبت غلماني فلم أجد لهم أثرا ولا خبرا • فرجعت اليه وأعلمته امري – وهو مع هذا كله لا يعرفني ولا يسألني ولا يكلمني الا بالكنية – فقال : علام تعتزم ؟ قلت عزمت على التوجه الى بغداد • فقال : القافلة بعد ثلاثة أيام تتحرك الى بغداد وعندها اخبرك • فقلت له : انك تفضلت عليّ هذه المدة ولك عليّ عهد لا أنسى لك هذا الفضل ما حييت ، ثم دعا غلاما له أسود وقال له : اسرج الفرس ثم جهز آلة السفر ، فقلت في نفسي : اظنه يريد الخروج الى ضيعة أو ناحية من النواحي ! فأقاموا يومهم ذاك في كد وتعب •

ولما حان يوم خروج القافلة جاءني سحرا وقال : قم فان القافلة تخرج الساعة وأكره أن تنفرد عنها • فقلت في نفسي : كيف أصنع وليس معي ما اتزود به ولا أكترى به مركوبا ، ثم قمت فاذا هو وامرأته يحملان أفخر الثياب وخفين جديدين وآلة سفر كاملة ثم جاءني بسيف ومنطقة فشدهما في وسطي ثم قدم لي بغلا محملا بصندوقين وقدم لي كذلك فرسا وقال : اركب وهذا الغلام الاسود يخدمك ويسوس مركوبك • وأقبل هو وامرأته يعتذران اليّ من التقصير في أمري • وركب معي يشيعني ، وانصرفت الى بغداد وأنا أتوقع خبره لأفي له بمجازاته ومكافأته ولهذا أسأل عنه •

فلما سمع الرجل حديثي قال : لقد أمكنك الله من الوفاء له ومكافأته على فعله ومجازاته على صنيعه بلا كلفة عليك ولا مؤنة تلزمك • فقلت :

وكيف ذلك ؟ قال : أنا ذلك الرجل . وانما الضر الذى أنا فيه غيّر عليك حالى وما كنت تعرفه منه . فما تمالكت ان قمت وقبلت رأسه . ثم قلت له : فما الذى أصارك الى ما أرى ؟ فقال : هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التى كانت فى أيامك فنُسبت اليّ ، وبعث أمير المؤمنين بجيوش فأصلحوا البلد وأخذت أنا وضربت الى أن أشرفت على الموت وقيدت وبعث بى الى أمير المؤمنين وأمرى عنده عظيم وخطبى لديه جسيم وهو قاتلى لا محالة .

وقد اخرجت من أهلى بلا وصية وقد تبعنى من غلمانى من ينصرف الى أهلى بخبرى وهو نازل عند فلان فأن رأيت أن تجعل من مكافأتك لى أن ترسل من يحضره حتى أوصيه بما أريد ؟ فان أنت فعلت ذلك جاوزت حد المكافأة وقمت لى بوفاء عهدك ؟ قلت يصنع الله خيرا . فأحضرت حدادا فك قيده وادخل الحمام والبس أفخر الثياب وارسل من يحضر ولده ، فلما رآه جعل يبكى ويوصيه . فاستدعى العباس نائبه وقال : عليّ بالافراس والهدايا ثم أمره أن يتبعه الى حدود الانبار . فقال له : ان ذنبى عند أمير المؤمنين عظيم وخطبى لديه جسيم ، وان أنت احتججت بأنى هربت بعث فى طلبى كل من ببابه فاردد واقتل . فقال العباس : انجُ بنفسك ودعنى ادبر أمرى . فقال : والله لا أبرح بغداد حتى أعلم ما يكون من خبرك فان احتجت اليّ حضرت .

فقال العباس : ان كان الامر على ما تقول فلتكن فى مكان كذا . فان أنا سلمت غداة غدٍ أعلمتك ، وان أنا قتلت فقد وفيتك حقك كما وفيتنى ، فتفرغ العباس لنفسه وجهز له كفنا .

قال العباس : فلم أفرغ من صلاة الصبح الا ورسل المأمون فى طلبى وهم يقولون هات الرجل معك وقم . فتوجهت الى دار المأمون فاذا هــو جالس ينظر فقال : أين الرجل ؟ فسكتّ ، قال ويحك أين الرجل ؟ فقلت

يا أمير المؤمنين اسمع مني • فقال : لله عليّ عهد لئن قلت انه هرب لاضربن عنقك • فقلت : لا والله يا أمير المؤمنين ما هرب ولكن اسمع حديثي وحديثه ثم شأنك وما تريد أن تفعله في أمري قال : قل • فقلت : يا أمير المؤمنين كان من حديثي معه كيت وكيت وقصصت عليه القصة كاملة وعرفته اني أريد أن أفي له واكافئه على فعله معي وقلت : أنا وسيدي أمير المؤمنين بين أمرين : أما ان يصفح عني فأكون قد وفيت وكافأت ، وأما أن يقتلني فأفيه بنفسي • وقد تحنطت وهذا كفني يا أمير المؤمنين • فلما سمع المأمون حديثي قال : لا جزاك الله عن نفسك خيرا انه فعل لك ما فعل من غير معرفة ، وتكافئه بعد المعرفة بهذا ؟ هلا عرفتني خبره فكنا نكافئه عنك ولا نقصر في وفائك له •

فقلت : يا أمير المؤمنين انه هنا وقد حلف الا يبرح بغداد حتى يعرف سلامتي فان احتجت الى حضوره حضر • فقال المأمون : وهذه منة أعظم من الاولى : اذهب اليه الآن فطيب نفسه ، وسكن روعه واعتن به حتى أتولى مكافأته •

فأتيته ، وقلت له : ليزل خوفك • ان أمير المؤمنين قال : كذا وكذا • فقال : الحمد لله الذي لا يحمد على السراء والضراء سواه • ثم قام وركب • فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين أقبل عليه وأدناه من مجلسه وحدثه حتى حضر الغذاء ، فأكل معه ، وخلع عليه ، وعرض عليه عمالة دمشق فاستعفى ، وأمر له بصلة وكتب الى عامله بدمشق يوصيه به خيرا •

١٠ ــ محمد بن صالح وحمدونة بنت عيسى بن موسى :

قال ابراهيم بن المدبر جاءني يوما محمد بن صالح بعد أن اطلق سراحه من السجن فقال لي : اريد أن أخلو بك وابثك عن أمري شيئا فقلت : افعل ، وصرفت الحاضرين وأخذ يحدثني فقال : خرجت في سنة

كذا وكذا ومعي أصحابي واستولينا على قافلة بعد أن هزمنا أصحابها ، وبينما أنا مشغول في حوزها اذ طلعت عليّ امرأة ما رأيت قط أحسن منها وجها ولا أحلى منطقا فقالت : يا فتى ان رأيت أن تدعو لي بالشريف المتولى أمر هذا الجيش ! فقلت : قد رأيته وسمع كلامك ! فقالت : بحق الله وحق رسوله أنت هو ؟ فقلت : نعم ، وحق الله وحق رسوله انى لهو ! فقالت : أنا حمدونة بنت عيسى بن موسى ولابى محل من سلطانه ، ولنا نعمة ان كنت ممن سمع بها فقد كفاك ما سمعت ، وان كنت لم تسمع بها فسل عنها غيرى ، فو الله لا استأثرت عنك بشيء أملكه ، ولك بذلك عهد الله وميثاقه عليّ وما أسألك الا أن تصونني وتسترني وهذه الف دينار معي لنفقتي فخذها وهذا حلى عليّ ثمنه خمسمائة دينار فخذه ، وما شئت بعده آخذه لك من تجار مكة أو المدينة أو أهل الموسم ، فليس منهم أحد يمنعني شيئا أطلبه ، وادفع عني واحمنى من أصحابك ومن عار يلحقنى ، فوقع قولها من قلبي موقعا عظيما ، فقلت لها : قد وهب الله لك مالك وحليك وجاهك ووهب لك القافلة بجميع ما فيها ، ثم خرجت فناديت في أصحابي فاجتمعوا فقلت : انى قد أجرت هذه القافلة وأهلها وخفرتها وحميتها ، ولها ذمة الله وذمة رسوله عليّ ، فمن أخذ منها خيطا أو عقالا فقد اذنته بحرب فانصرفوا معي وانصرفت .

فلما أخذت وحبست في عهد المتوكل جاءنى السجان يوما وقال لى : ان بالباب امرأتين تزعمان انهما من أهلك ، وقد حضر عليّ أن يدخل عليك أحد الا أنهما أعطتانى دملجا من ذهب وجعلتاه لى ان أوصلتهما اليك وقد أذنت لهما وهما بالدهليز فاخرج اليهما ان شئت .

ففكرت فيمن يجيئني في هذا البلد وأنا به غريب لا أعرف أحدا ثم قلت : لعلهما من ولد أبي أو بعض نساء أهلى فخرجت اليهما فاذا بصاحبتى، فلما رأتني بكت لما رأت من تغير خلقي وثقل حديدى، فأقبلت عليها الاخرى

فقالت : أهو هو ؟ فقالت : أى والله انه لهو ! ثم أقبلت عليّ وقالت : فداك أبى وامى والله لو استطعت أن أقيك مما أنت فيه بنفسى وأهلى لفعلت ، فوالله لا تركت المعاونة لك والسعى فى حاجتك وخلاصك بكل حيلة ومال وشفاعة ، وهذه دنانير وثياب وطيب فاستعن بها على اصلاح وضعك ورسولى يأتيك فى كل يوم بما يصلح حالك حتى يفرج الله عنك ثم أخرجت اليّ كسوة وطيبا ومائتى دينار ، وكان رسولها يأتينى كل يوم بطعام نظيف ويتواصل برها بالسجان فلا يمنع عنى شيئا اريده ، حتى منّ الله عليّ بالخلاص فخطبتها فتزوجتها •

١١ ـ وفاء دلفاء لزوجها :

قال محدث سألت أبا الندى وهو محمد بن أحمد الفندجانى رجل علم واسع ولغة وفهم ، وكان من أعلم من شاهدت بأخبار العرب فقلت : هل تعرف من شعر الدلفاء بنت الابيض فى ابن عمها وزوجها نجدة بن الاسود ؟ قال : نعم • كنت فيمن حضر جنازة نجدة حتى وضعناه فى قبره واهلنا عليه التراب وصدرنا عنه غير بعيد فاقبلت نسوة يتهادين فيهن امرأة قد فاقتهن طولا كالغصن الرطب ، واذا هى الدلفاء ، فأقبلت حتى أكبت على القبر وبكت بكاءا محرِقاً وأظهرت من وجدها ما خفن معه على نفسها، فقلن لها : يا دلفاء ، انه قد مات السادات من قومك قبل نجدة فهل رأيت نساءهم قتلن أنفسهن عليهم ؟ فلم يزلن بها حتى قامت فانصرفت عن القبر ، فلما صارت منه غير بعيد عطفت بوجهها نحوه وقالت :

سئمت حياتى حين فارقت قبره ... ورحت وماء العين ينهل هامله
وقالت نساء الحين قد مات قبله ... شريف فلم تهلك عليه حلائله
صدقن ! لقد مات الرجال ولم يمت ... كنجدة من اخوانه من يعادله
فتىً لم يضق عن جسمه لحد قبره ... وقد وسع الارض الفضاء فضائله

قال : فقلت : احسنت والله يا أبا النــدى وأحسنت فهــل تعرف من شعرها شيئا آخر ؟ • قال : نعم • كنت ممن حضر قبر نجــدة عنــد زيارة الدلفاء له في تمام الحول فرأيتها قد أقبلت على القبر ، وبكت بكاءا شديدا ثم أنشأت تقول :

يا قبر نجــدة لم أهجـرك مقليــة ... ولا جفوتك من صبرى ولا جلدى
لكن بكيتك حتى لم أجــد مــددا ... من الدمــوع ولا عونا من الكمــد
وآيستنى جفــونى من مدامعهـــا ... فقلت للعــين فيضى من دم الكبد
فلــم أزل بدمى أبكيــك جاهــدة ... حتى بقيت بلا عين ولا جســـد
والله يعلــم لولا الله مــا رضيــت ... نفسى عليك سوى قتلٍ لها بيدى

قال : فقلت : أحسنت يا أبا الندى وأحسَنتْ ، فهل تعرف من شعرها شيئا آخر ؟ قال : نعم • حضرنا فى زمن الربيع ونحن فى رياض خضرة معشبة فركب الفتيان وعقدوا الرايات الصفر فى القنا الحمر ، وجعلــوا يتجادلون • فلما أردنا الانصراف قال بعضنا لبعض : الا تجعلون طريقكم الى الدلفاء لعلها اذا نظرت اليكم تسلت بمن بقى عمن هلك • قال : فخرجنا نؤمها فأصبناها بارزة من خبائها وهى كالشمس الطالعة ، الا انه يعلوهـــا كسوف الحزن • فسلمنا عليها ، وقلنا : يا دلفاء ! الى متى يكون هذا الوجد على نجدة ؟ أما آن لكِ أن تسلــى بمن بقى من بنى عمــك عمن هلك ؟ ها نحن اولاء سادات قومك وفتيانهم ونجومهم، وفينا السادة والذادة والبأس والنجدة ، فأطرقت مليا ثم رفعت رأسها باكية وقالت :

صدقتــم انكم لنجــوم قومى ... ليوث عند مختلف العوالى
ولكن كان نجدةُ بدرَ قومى ... وكهفهم المنيف على الجبال
فما حسن السماء بلا نجوم ... وما حسن النجوم بلا هلال

ثم دخلت خباءها وأرسلت سترها فكان آخر العهد بها •

١٣ ـ قصة أبى حاضرة داعية عيسى بن زيد :

قال أبو العتاهية : حبسنى الرشيد يوما لتركى الشعر ، وغلقت عليّ الابواب . وحين ادخلت السجن دهشت كما يدهش مثلى فى تلك الحالة . فنظرت فاذا رجل جالس فى جانب من السجن مقيد ، فجعلت أنظر اليه ساعة يتمثل بقوله :

تعودت حسن الصبر حتى الفته ... فأسلمنى حسن العزاء الى الصبر
وصيرنى يأسى من الناس راجيا ... لحسن صنيع الله من حيث لا أدرى

فقلت له : أعد ـ أعزك الله ـ هذين البيتين . فقال لى : ويلك يا أبا العتاهية ما أسوأ أدبك ! وأقلّ عقلك ! دخلت عليّ السجن فما سلمت تسليم المسلم على المسلم . ولا سألت مسألة الحر للحر ، ولا توجعت توجع المبتلى للمبتلى ، حتى اذا سمعت بيتين من الشعر الذى لا فضيلة منك سواه ، لم تصبر عن استعادتهما ولم تقدم قبل مسألتك عنهما عذرا لنفسك فى طلبهما !.

فقلت : يا أخى ! انى دهشت من هذه الحال فلا تعذلنى واعذرنى متفضلا . فقال : أنا والله بالدهشة والحيرة أولى منك . لانك حبست على أن تقول الشعر الذى به ارتفعتَ ، وبلغت ما بلغتَ واذا قلته أمنتَ ، وأنا حبست على أن أدل على ابن رسول الله ليقتل أو اقتل دونه ، ووالله لا ادل عليه أبدا . والساعة يدعى بى فاقتل فأينا أحق بالدهشة ؟

فقلت : أنت والله أولى ، سلمك الله وكفاك . ولو علمت ان هذه حالك ما سألتك فقال : اذن لا أبخل عليك ثم أعاد عليّ البيتين حتى حفظتهما . ثم سألته عن اسمه فقال : أبو حاضرة : داعية عيسى بن زيد . قال : فلم نلبث الاقليلا حتى سمعنا صوت الاقفال تفتح فقام فسكب عليه

ماءا في جرة كانت عنده ولبس ثوبا نظيفا ، ودخل الحرس ومعهم الشموع فأخرجونا جميعا • وقدم قبلي الى الرشيد فسأله عن أحمد بن عيسى • فقال: لا تسألني عنه وافعل ما بدا لك فلو انه تحت ثوبي ما كشفت عنه • فأمر به فضربت عنقه ، ثم قال لي : أظنك يا أبا اسماعيل ارتعت ؟ فقلت : دون ما رأيته تسيل منه النفوس • فقال : ردوه الى محبسه فردوني •

١٣ ـ قصة الحرة المنيعة :

خرج دريد بن الصمة في فوارس من بني جشم ، يريد الغارة على بني كنانة ، فلما كان بوادٍ لهم ، رفع له رجل من ناحية الوادي ومعه ظعينة ـ امرأة ـ فلما نظر اليه قال : لفارس من اصحابه : صح به ان خل عن الظعينة ، وانج بنفسك وهو لا يعرفه فانتهى اليه الرجل والح عليه ، فلما أبى • القى زمام الراحلة ، وقال للظعينة :

سيري على رسلك سيرَ الأمنِ   سير رواح ذات جأش ساكن
ان انثنائي دون قرن شائن   ابلى بلائي واخبري وعايني

ثم حمل على الفارس فصرعه ، واخذ فرسه فاعطاها للظعينة ، نبعث دريد فارسا آخر لينظر ما صنع صاحبه فرآه صريعا فصاح به فتصام عنه ، فظن انه لم يسمع فغشيه ، فالقى زمام الراحلة الى الظعينة ثم حمل على الفارس فارداه وهو يقول :

خلِ سبيلَ الحرة المنيعة   انك لاقٍ دونَها ربيعة
في كفه خطية مطيعة   اولا فخذها طعنة سريعة
فالطعن مني في الوغى شريعة

ثم حمل عليه فقتله : فلما ابطأ على دريد بعث فارسا آخر لينظر ما صنعا فانتهى اليهما فرآهما صريعين • ونظر اليه يقود ظعينته ويَجرُ

رمحه فقال له الفارس : خلِ عن الظعينة : فقال ربيعة لظعينته : اقصدى قصد البيوت ثم أقبل عليه وقال :

ماذا تريد من شتمٍ عابسٍ الم ترَ الفارس بعد الفارس .
ارداهما عامل رمح يابس . (الشتم = الاسد)

ثم طعنه فصرعه فانكسر رمحه ، فارتاب دريد وظن انهم قتلوا الرجل واخذوا الظعينة ، فلحق بهم فوجد ربيعة بن مكدم لا رمح معه وقد دنا من الحى ، ووجد أصحابه قد قتلوا جميعا ، فقال له دريد : أيها الفارس ! ان مثلك لا يقتل ، وان الخيل ثائرة باصحابها ولا ارى معك رمحا واراك حديث السن ، فدونك هذا الرمح فانى راجع الى اصحابى فمثبطهم عنك .

فأتى دريد اصحابه فقال : ان فارس الظعينة قد حماها وقتل فوارسكم وانتزع رمحى ولا طمع لكم فيه فانصرف القوم وقال دريد :

ما أن رأيت ولا سمعت بمثله حامى الظعينة فارساً لم يقتل
اردى فوارسَ لم يكونوا نهزة ثم استمر كأنه لم يفعل
يزجى ظعينته فيسحب رمحه متوجهاً عيناه نحو المنزل
ياليت شعرى من أبوه وامه يا صاح من بك مثله لا يجهل

وبعد زمن غار بنو مالك بن كنانة وهم قومَ ربيعة بن مكدم . غاروا على بنى جشم ـ رهط دريد ـ ففتكوا فيهم وأسروا وغنموا وكان دريد بن الصمة من بين الاسرى فأخفى نفسه عنهم ، وبينما هو عندهم اذ جاء نسوة يتهادين فلما ابصرنه صرخت احداهن فقالت : هلكتم واهلكتم ماذا جرَّ علينا قومنا ؟ هذا والله الذى اعطى ربيعة رمحه يوم الظعينة . ثم القت عليه ثوبها وقالت : يا آل فراس انا جارة له منكم . هذا صاحبنا يوم الوادى. فسألوه من هو ؟ فقال انا دريد بن الصمة فما فعل ربيعة بن مكدم ؟ قالوا :

قتلته بنو سليم . قال : فمن الظعينة التى كانت معه ؟ . قالت المرأة : ريطة بنت جذل وانا هى ، فحبسه القـــوم وآمروا انفسهم وقالوا . لا ينبغى أن تكفرَ نعمة دريد عندنا ، وقال بعضهم : والله لا يخرج من أيدينا الا برضا المخارق الذى اسره فانبعثت المرأة بالليل تقول :

سنجزى دريداً عن ربيعة نعمـــة ... وكل فتى يجزى بمـا كان قدمـا
فأن كان خيراً كان خيراً جزاءه ... وان كان شراً كان شراً مترجمـا
سنجزيه نعمى لم تـكن بصغيرة ... باعطائـه الرمح السـديد المقوما
فقــد أدركت كفاه فينـا جزاءه ... وأهلٌ بأن يجـزى الذى كان انعما
فـلا تكفروه حــق نعماه فيكـم ... ولا تركبوا تلك الذى تملأ الضما
فان كان حيـاً لم يضق بثوابـه ... ذراعـاً غنيـاً كان أو كان مبرمـا
ففكوا دريـداً من أسـار مخارق ... ولا تجعلوا البؤس الى الشر سلما

فاصبح القوم فتعاونوا بينهم فاطلقوه ، وكسته ريطة وجهزته ولحق بقومه وامتنع عن غزو بنى فراس حتى هلك .

١٤ ـ قصة عمارة :ـ

كانت عند عبدالله بن جعفر جارية يقال لهـا عمارة ، وكان لها منه مكان لم يكن لاحد من جواريه ، فلما وفد عبدالله بن جعفر عـلى معاوية خرج بها معه فزاره يزيد بن معاوية فرآها فلما نظر اليها وقعت فى نفسه ، ولم يزل يكتِمُ الناس أمرها خشية من أبيه حتى مات معاوية وأفضى الامر اليه ، فاستشار بعض من قدم عليه من أهل المدينة ، وجميع من يثق به فى امرها ، وكيف الحيلة فيها ؟ . فقيل له : « ان امر عبدالله بن جعفر لا يرام ومنزلته من الخاصة والعامة ومنك ما قد علمت ، وانت لا تستجيز اكراهه ، وهو لا يبيعها بشىء ابدا وليس يغنى فى هذا الا الحيلة » فقـال : انظروا

رجلاً عراقيا له أدب وظرف ومعرفة ، فطلبوه فأتوا به ، فلما دخل رأى بياناً وحلاوة وفهماً فقال يزيد : « انى دعوتك لامر ان ظفرت به فهو حظك آخر الدهر وقد أكافئك عليها ان شاء الله ثم أخبره بأمره فقال له: عبدالله بن جعفر ليس يرام ما فى قلبه الا بالخديعة ، ولن يقدر احد على ما سألت ، فارجو ان اكونه والقوة بالله فاعنى بالمال . قال : خذ ما شئت ، فأخذ من طرف الشام وثياب مصر ، واشترى متاعاً للتجارة من مال ودواب وغير ذلك ثم شخص الى المدينة فأناخ بعرصة عبدالله بن جعفر واكترى منزلا الى جانبه ، ثم توسل اليه وقال : انى رجل من أهل العراق قدمت بتجارة واحببت أن اكون فى عز جوارك وكنفك الى أن ابيع ما جئت به .

فبعث عبدالله بن جعفر الى قهرمانه ، ان اكرم الرجل ووسع عليه فى منزله فلما اطمأن العراقى سلم عليه وعرفه بنفسه وهيأ له بغلة فارهة وثياباً من ثياب العراق والطافاً أخرى بعث بها اليه وكتب معها : يا سيدى انى رجل ونعمة الله عليّ سابغة ، وقد بعثت اليك بشيء من تحف وثياب وعطر وبعثت ببغلة خفيفة العنان وطيئة الظهر فاتخذها لركوبك ، فأنا أسألك بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قبلت هديتى ، فأن أعظم أملي فى سفرتى استفيد الانس بك والتحرم بمواصلتك .

فأمر عبدالله بقبض هديته وخرجَ الى الصلاة فلما رجع مر بالعراقى فى منزله فقام اليه وقبل يده واستكثر منه فرأى أدباً وظرفاً وفصاحة واعجب به وبنزوله عليه فجعل العراقى فى كل يوم يبعث الى عبدالله بهدية طريفة فقال عبدالله جزى الله ضيفنا هذا خيراً فقد ملأنا شكراً وما نقدر على مكافئته وبقى العراقى مستمراً على اهدائه من الظرف الى أن دعاه عبدالله يوما ودعا بعمارة فى جواريه فلما طاب لهما المجلس وسمع غناء

عمارة تعجب وجعل يزيد من عجبه فلما رأى ذلك عبدالله سربه الى أن قال له هل رأيت مثل عمارة قال لا والله يا سيدى ما رأيت مثلها وما تصلح الا لك وما ظننت أن يكون فى الدنيا مثل هذه الجارية. حُسْنُ وجه وحُسن عمل قال فكم تساوى عندك ؟ قال ما لها ثمن الا الخلافة قال : اتقول هذا لتزين لى رأياً فيها وتجتلب سرورى ؟ قال : لا يا سيدى والله انى لاحب سرورك ، وما قلت لك الا الجد، وبعد فانى تاجر أجمع الدرهم الى الدرهم طلبا للربح ولو اعطيتها بعشرة آلاف دينار لاخذتها ، فقال له عبدالله : عشرة آلاف دينار؟ قال : نعم . – ولم يكن فى ذلك الزمن جارية بهذا الثمن – فقال له عبدالله: انا أبيعها بعشرة آلاف دينار . قال العراقى : اخذتها ، قال : وقد وجب البيع وانصرف العراقى .

فلما اصبح عبدالله لم يشعر الا بالمال قد جىء به . فقيل له قد بعث العراقى بعشرة آلاف دينار وقال : هذا عن عمارة ، فرده وكتب الى العراقى يقول : انما كنت امزح معك ، ومثلى لا يبيع مثلها بكثير او قليل . فأجابه العراقى قائلا : جعلت فداك ان الجد والهزل فى البيع سواء ، فقال له عبدالله : ويحك ما أعلم جارية تساوى ما بذلت ، ولو كنت بائعها من أحد لآثرتك ولكنى كنت مازحا ، وما ابيعها بملك الدنيا لحرمتها بى وموضعها من قلبى . فقال العراقى : ان كنت مازحا فأنى كنت جادا ، وما اطلعت على ما فى نفسك وقد ملكت الجارية وبعثت اليك بقيمتها ، وليست تحل لك وما لي من اخذها بدُّ .

فمانعه اياها ، فقال له : ليست لى بينة ولكنى استحلفك عِنْدَ قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنبره . فلما رأى عبدالله الجد قال : بئس الضيف أنت ! ما طرقنا طارق ولا نزل بنا نازل اعظم بلية منك . أتحلفنى

فيقول الناس اضطهد عبدالله ضيفه وقهره والجأه الى أن استحلفه • أما والله لتعلمن انى سأعتصم فى هذا الامر بالصبر وحسن العزاء • ثم أمر قهرمانه يقبض الثمن منه ، وبتجهيز الجارية بما يشبهها من الخدم والثياب والطيب ، فجهزت بنحو من ثلاثة آلاف دينار •

فأخذ العراقى الجارية وخرج بها ، فلما برز بها من المدينة قال : يا عمارة انى والله ما ملكتك قط ، ولا أنت لي ، ولا مثلى يشترى جارية بعشرة آلاف دينار ، وما كنت لاقدم على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلبه أحب الناس اليه ، لنفسى ولكنى دسيس من يزيد بن معاوية وانت ِ له ، وفى طلبك بعثنى ، فاستترى منى •

ثم مضى بها حتى ورد دمشق فتلقاه الناس بجنازة يزيد وقد استخلف من بعده ابنه معاوية بن يزيد الاول • فأقام العراقى أياما ثم تلطف للدخول عليه وكان من ابرز رجال امية نبلاً ونسكاً ، فلما اخبره الخبر قال : هى لك وكل ما دفعه أبى اليك من مهر فهو لك، وارحل من يومك فلا اسمع بخبرك فى شىء من بلاد الشام •

فرحل العراقى ، ثم قال للجارية : انى قلت لك ِ ما قلت حتى خرجت بك من المدينة ، فاخبرتك انك ليزيد وقد صرت ِ لي وانا اشهد الله انك لعبد الله ابن جعفر وانى قد رددتك عليه فاستترى منى •

ثم خرج بها حتى قدم المدينة فنزل قريبا من عبدالله ، فدخل عليه بعض خدمه فقال له : هذا العراقى ضيفك الذى صنع بنا ما صنع وقد نزل العرصة لا حياه الله ، فقال عبدالله : مه ، انزلوا الرجل واكرموه ، فلما استقر ، بعث الى عبدالله يقول : جعلتُ فداك ان رأيتَ أن تأذن لي أن اشافهك بشىء فعلت ، فأذن له • فلما دخل سلم عليه وقبل يده ، فقربه

عبدالله منه ثم قص عليه القصة حتى اذا فرغ منها قال : قد والله وهبتها لك قبل أن أراها واضع يدى عليها ، فهى لك ومردودة عليك ، وقد علم الله تعالى أنى ما رأيت لها وجهاً الا عندك .

فبعث اليها فجاءت وجاء بما جهزت به موقراً فلما نظرت الى عبدالله خرت مغشياً عليها ، فخرج العراقى وتصايح أهل الدار فرحين بعمارة ، فجعل عبدالله يقول ودموعه تجرى : أحلم هذا أم حقيقة ؟ ما اصدق عينى أبداً ، فقال له العراقى جعلت فداك قد ردها اليك ايثارك الوفاء ، وصبرك على الحق ، وانقيادك له .

فقال عبدالله ! الحمد لله ، اللهم انك تعلم انى تصبرت عنها وآثرت الوفاء ، وأسلمت لامرك ، فرددتها علي ، فلك الحمد حتى ترضى ، ثم قال : يا أخا العراق ما فى الارض منة اعظم مما مننت ، والله اسأل أن يجازيك عنا خير الجزاء .

واقام العراقى أياما ، وباع عبدالله غنماً بثلاثة عشر الف دينار وقال لقهرمانه : احملها اليه ، وقل له أن يعذر ولو انى وصلته بكل ما املك لرأيته اهلا لاكثر من ذلك ، فرحل العراقى محموداً وافر المال .

ثانياً ـ حفظ العهد والجوار

ومن صفاتنا العربية الاصيلة التى نعتز بها ونفخر حفظ الجوار والعهد وهاك قارىء الكريم بعضاً من امثلة لا تحصى عن العهد والجوار عند العرب.

١ ـ اجاره من الموت :

أتى الاعشى الاسود العنسى وقد امتدحه فاستبطأ جائزته فقال الاسود : ليس عندنا عين ولكن نعطيك عرضا ، فاعطاه خمسمائة مثقال ذهباً ومثقالا

عنبراً ، فلما مر ببلاد بنى عامر خافهم على ما معه فأتى علقمة بن علاثة فقال لـه : أجرنى • فقال : اجرتك • قال : من الجن والانس • قال : نعم • ومن الموت ؟ • قال : لا • فأتى عامر بن الطفيل • قال : اجرنى • قال : اجرتك • قال : من الانس والجن • قال : نعم • قال ومن الموت ؟ قال : نعم • قال : وكيف تجيرنى من الموت ؟ قـال : ان متَ وانتَ بجـوارى بعثت بالدية الى اهلك • قال : الآن علمت انك اجرتنى مـن الموت • ثم مدح عامراً وهجا علقمة • فقال علقمة : لو علمت الذى اراد اعطيته اياه •

٢ ـ اغـاثـة :

جاور رجلان من هوزان بنى مرة بن عوف وكانا قد اصابا دماً فى قومهما ثم ان قيس بن عاصم المنقرى اغار على بنى مرة فاصاب واحـداً منهما فى عدة اسارى كانوا عندهم ففدى كل قـوم اسيرهم من قيس بن عاصم وتركوا الهوازنى فاستغاث اخوه بوجوه بنى مرة : سنان بن حارثة والحارث بن عوف بن ظالم ، وهاشم بن حرملة ، والحصينى بن الحمام فلم يغيثوه فركب الى موسم عكاظ فأتى منازل مذحج ليلاً ونادى :

دعوت سناناً وابـن عوف وحارثاً ... وعاليتُ دعـوى بالحصين وهاشـم
اعيذهـم فى كل يـوم وليلـة ... بترك اسـير عنـد قيس بن عاصم
حليفهـم الادنى وجار بيوتهـم ... ومن كان عما سـرَهم غـيرَ نائم
فصموا واحـداث الزمان كثـيرة ... وكم من بنى العـلات من متصامم
فيا ليتَ شعرى من لاطلاق غلمةٍ ... ومن ذا الذى يحظى به في المواسم

فسمع صوتاً من الوادى يردد هذه الابيات :ـ

الا ابهـذا الذى لـم يجب ... عليـك بحى يجلى الـكـرب
عليك بذا الحى مـن مذحج ... فانهـم للرضـا والغضـب
فنادِ يزيدَ بن عبـد المدان ... وقيسـاً وعمر بن معد يكرب

يفكـــوا اخـــاك بأمـــوالهـــم　　واقلــل بمثلهـــم فى العـــرب
اولاك الـــرؤس فـــلا تعـــدهم　　ومن يجعل الرأس مثل الذنب

فاتبع الصوت فلم ير احدا فغدا عـلى قيس بن عبد يغوث المـرادى فاخبره خبره فقال له : والله ، ان قيس بن عاصم ما صنعت معه معروفاً قط، ولا هو لى بجار ، ولكن اشتر اخاك منه وعلى الثمن ولا يمنعك غلاؤه • ثم اتى عمر بن معد يكرب • فقال له عمرو : هل بدأت بأحد قبلى ؟ قال : نعم ، بقيس بن عبـد يغوث • قال : عليك بمن بدأت بـه • فتركه وأتى يزيدَ بن عبد المدان فأخبره امره فقال له يزيد : مرحباً بك واهلاً • ابعث الى قيس بن عاصم فان هو وهب لى اخاك شكرته ، والا اغرت عليه يأتينى بأخيك ، او وهبتك كل اسير من بنى تميم بنجران لتشترى به اخاك • فقال : هذا الرضا ، فارسل يزيد الى قيس بن عاصم بهذه الابيات :

يا قيسُ ارسل اسيراً من بنى جشم　　انى بكل الذى تأتى بـــه جازى
لا تأمن الدهر أن تشجى بغصته　　فاختر لنفسك احمادى واعزازى
فافكك اخا منقر عنه وقل حسناً　　فيمـا سئلت وعقبـــه بانجـــازى

وبعث بالابيات رسولاً الى قيس بن عاصم فأنشده اياها ثم قال له : يا أبا على ! ان يزيد بن عبد المدان يقرؤك السلام ويقول لك : ان المعروف قروض ومع اليوم غد" فاطلق لى هذا الجشمى فقد استعان بأشراف بنى مرة وبعمرى ابن معد يكرب وبمكشوح المرادى فلم يصب عنـــدهم حاجته ، فاستجار بى ولو ارسلت الىّ فى جميع اسارى مضـر لقضيت حاجتك • فقال قيس لمن حضر مجلسه من بنى تميم : هذا رسول يزيد بن عبد المدان سيد مذحج وابن سيدها ومن لا يزال له فيكم يد" ، وهذه فرصة لكم فما ترون ؟ قالوا : نرى أن تغلى ثمنه عليه ، فانه لن يخذله ابداً ولو أتى ثمنه عـلى ماله كله • فقال قيس : بئس ما رأيتم امـا تخافون سجال الحروب ودول الايام ومجازاة القروض •

فلمـــا أبوا عليـه قـال : بيعونيـه ، فـاغلـوه عليـــه ، فتركه في ايديهم وكان أسيرا في يد رجل من بني سعد ، وبعث الى يزيد فاعلمه بما جـرى وان الاسير لو كان في يده ، او في يد منقرى لاخـذه وبعث به ، ولكنه في يد رجل من بني سعد .

فأرسل يزيد الى السعدى : أن ارسل الىّ بأسيرك ولك فيه حكمك. فأتى السعدى يزيدا فقال لـه يزيد : احتكم . فقال : مائة ناقة ورعاؤها . فقال له يزيد : انك لقصير الهمة ، قريب الغنى ، جاهل بأخطار بني الحارث، اما والله لقد غنيتك يا أخا بني سعد ، ولقد كنت اخاف أن يأتي ثمنه على جل أموالنا . ولكنكم يا بني تميم قصار الهمم ، وأعطاه ما احتكم وجاوره الاسير واخوه حتى ماتا .

٣ – زفر بن الحارث يجير خالد بن عتاب :ـ

استعمل الحجاج خالد بن عتاب على بلاد الرى وكانت امه ام ولد أى ليست عربيـة الاصل ، فكتب اليه الحجاج يسب امه ويقول : أنت الذى هربت عن أبيك حتى قتل ـ وكان خالد قد حلف الا يسب أحدٌ امه الا اجابه كائناً من كان ـ فكتب اليه خالد قائلاً : كتبتَ الىّ تشتم امى وتزعم انى فررت عن ابى حتى قتل ، ولعمرى لقد فررت عنه بعد أن قتل ، وحين لم أجد لى مقاتلا ، ولكن أخبرنى عنك يا لئيم حين فررت انت وابوك يـوم الحرة ـ موضع قرب المدينة وقعت فيه معركة فى عهد يزيد ـ فأيكما كان امام صاحبه ؟ .

فقرأ الحجاج كتاب خالد وقال : صدق وانشد يقول :

انا الذى فررت يوم الحرة ثـم ثنيت كـرة بفـرة
والشيخ لا يفر الا مرة .

ثم طلبه ففر الى الشام بعد ان سلم بيت المال الى وكيله ولم يأخذ منه

شيئاً وكتب الحجاج الى عبدالملك بما كان ، فلما وصل خالد الى الشام سأل عن خاصة عبد الملك فقيل له : روح بن زنباع ، فأتاه حين طلعت الشمس فقال : انى جئتك مستجيرا • فقال : انى قد اجرتك الا أن تكون خالداً • قال : فانى خالد • قال : انشدك الله الا خرجت عنى لانى لا آمن عبدالملك• فبقى عنده حتى غربت الشمس فخرج خالد فأتى زفر بن الحارث الكلابى. فقال : انى جئتك مستجيراً • قال اجرتك • قال : انا خالد بن عتاب قال: وان كنت خالداً •

فلما اصبح دعا ابنين له فتهادى بينهما ــ وقد اسن ــ فدخل علـــى عبدالملك فلما رآه دعا بكرسى له فجعله عنـد فراشه فجلس ثم قـال : يا أمير المؤمنين انى قد أجرت عليك رجلا فأجرنى • قال قد اجرنه الا أن يكون خالداً • قال : فهو خالد • قال : لا ولا كرامة •

فقال زفر لابنيه انهضانى • فلما ولّى قال : يا عبدالملك ، والله لو كنت تعلم ان يدى تطيق حمل القناة لأجرتَ من أجرتُ ، فضحك عبدالملك وقال : اجرناه وأمر لخالد بالفى درهم وعفى عنه •

٤ ــ حدثنى عن أغرب ما مرَّ بك :ــ

لما افضت الخلافة الى بنى العباس اختفى جميع رجال امية ــ ومنهم ابراهيم بن سليمان ــ فشفع له عند السفاح بعض حرسه فاعطاه الامان ثم أحله مجلسهُ وأكرم مثواه • وقال له السفاح ذات يوم : يا ابراهيم حدثنى عن أغرب ما مرَّ بك أيام اختفائك • فقال : كنت مختفيا بالحيرة بمنزل مشرف على الصحراء ، فبينما كنت يوما على ظهر ذلك البيت ابصرت اعلاما سوداء قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة ، فأوجست منها خيفة اذ حسبتها تقصدنى. فخرجت مسرعا من الدار متنكرا حتى أتيت الكوفة وانا لا اعرف من اختفى عنده ، فبقيت متحيرا فى امرى فنظرت واذا أنا بباب كبير فدخلته فرأيت

فى الرحبة رجلا وسيماً لطيف الهيأة نظيف البزة فقال لى : من أنت ؟ وما حاجتك ؟ قلت : رجل خائف عـلى دمه جاء يستجير بك . فرحب بى وادخلنى منزله ووارانى فى حجرة تلي حجرة حرمه ، فاقمت عنده ولى كل يوم ما احب من طعام وشراب ولباس ، وهو لا يسألنى عن شىء من حالى ! الا انه كان يركب فى كل يوم من الفجر ، ولا يرجع الا قبـل الظهر ، فقلت لـه يوما : اراك تدمن الركوب ففيم ذلك ؟ قال لى : ان ابراهيم بن سليمان بن عبدالملك قتل ابى ، وقد بلغنى انـه مختف بالحيرة ، فأنا اطلبه لعلى أجده وادرك منه ثأرى ، فلما سمعت ذلك ــ يا أمير المؤمنين ــ عظم خوفى وضاقت الدنيا فى عينى وقلت ، انى قد سقت نفسى الى حتفى .

ثم سألت الرجل عن اسمه واسم أبيه ، فاخبرنى عن ذلك ، فعلمت ان كلامه حق فقلت له : يا هـــذا ، انه قد وجب عـليّ حقك ، وجزاء لمعروفك لى أريد ان ادلك على ضالتك . فقال : واين هو ؟ قلت : أنا بغيتك ، انا ابراهيم بن سليمان فخذ بثأرك فتبسـم وقال : هـل اضجرك الاختفاء والبعد عن دارك واهلك فأحببت الموت ؟ قلت : لا والله ! ولكنى أقول لك الحق ، وانى قتلت أباك فى يوم كذا من اجل كذا وكذا .

فلما سمع الرجل كلامى هذا وعلم صدق قولى ، تغير لونه ، واحمرت عيناه ثم اطرق طويلا ، والتفت الىّ وقال : اما انت فسوف تلقى ابى عند حاكم عادل فيأخذ بثأره منك ، واما انا فلا اخفر ذمتى فتسبنى العرب ، ولكن ارغب أن تبتعد عنى خشية ان يغلبنى الشيطان ، وقدم لى الف دينار أبيت أن آخذها وانصرفت عنه ..

فهذه الحادثة أغرب ما مرّ بى وهذا الرجل اكرم من رأيته وسمعت عنه بعدك ــ يا أمير المؤمنين ــ .

٥ ـ هذا بغية أمير المؤمنين :ـ

اهدر المنصور دم رجل كان يسعى بفساد دولته متفقا مع الخوارج وكان من اهل الكوفة ، وجعل لمن دلّ عليه او جاء به مائة الف درهم ، ثم ان الرجل ظهر في بغداد ، فبينما هو يمشى مختفياً فى بعض طرقاتها اذ بصر به رجل من أهل مدينته فعرفه ، فأخذ بمجامع ثيابه وقال : هذا بغية أمير المؤمنين •

فبينما الرجل على هـذه الحال اذ سمع وقع حوافر الخيل ، فالتفت فاذا معن بن زائدة الشيبانى فاستغاث به وقال لـه : اجـرنى اجارك الله ! فالتفت معن الى الرجل المتعلق به وقال له : ما شأنك وهذا ؟ فقال الرجل انه بغية أمير المؤمنين الذى اهدر دمه وجعل لمن دل عليه مائة الف درهم • فقال معن : دعه ، وقال لغلامه انزل عن دابتك واحمل الرجل عليهـا • فصاح الرجل المتعلق به وصرخ واستجار بالناس وقال : أيجار بينى وبين بغية أمير المؤمنين ؟ فقـال له معن : اذهب فقل لأمير المؤمنين واخبره انه عندى •

فانطلق الرجـل الى المنصور ، فدخل وسلم عليـه واخبره بالأمر ، فأمر المنصور باحضار معن فى الساعة ، فلما وصل أمر المنصور الى معن ، دعا جميع اهل بيته ومواليه واولاده واقاربه وحاشيته وجميع من يلوذ به وقال لهم : اقسم عليكم ألا يصـل الى هذا الرجل مكروه ابدا وفيكم عين تطرف •

ثم انه سار الى المنصور فدخل وسلم عليـه فلم يرد عليـه المنصور السلام ثم قال له : يا معن أتتجرأ عليّ ؟ قال : نعم : يا أمير المؤمنين • فقال المنصور : ونعم أيضاً ! وقد اشتد غضبه • فقال معن : يا أمير المؤمنين كم من مرة تقدم فى دولتكم بلائى وحسن وفائى ، وكم مـن مرة خاطرت

بدمي وحياتي ، أفما رأيتموني اهلاً لأن يوهب لى رجل واحد استجار بى، بين الناس بوهمه أنى من المقربين عند أمير المؤمنين ، وكذلك انا ، وها أنا بين يديك •

فاطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه بعد أن سكن ما به من الغضب وقال : لقد اجرناه لك يا معن • فقال معن : ان رأى امير المؤمنين أن يجمع بين الامرين فيأمر له بصلة ، احياه واغناه • فقال المنصور :ـ قد أمرنا له بخمسين الف درهم ، فقال معن : يا أمير المؤمنين : ان صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعيـــة ، وان ذنب الرجل لعظيم فاجزل لـه صلته • قال المنصور : قد امرنا له بمائة الف درهم وعفونا عنــه • فقال معن : عجلها يا أمير المؤمنين فان خير البر عاجله ، فأمر بتعجيلها فحملها وانصرف وأتى منزله ، وقال للرجل : يا رجـل خذ هـذه صلتك والحـق بأهلك واياك ومخالفة الخلفاء فى امورهم بعد هذه •

٦ ـ ابو حنيفة يرعى الجوار :ـ

كان لأبى حنيفة جار بالكوفة يغنى فى غرفته ويسمع ابو حنيفة غناءه فيعجبه وكان كثيرا ما يغنى :

اضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسـداد ثغرى

فلقيه العسس ذات ليلة فأخذ وسجن ، ففقد ابو حنيفة صوته تلك الليلة ، فسأل عنه مـــن غدٍ فأخبر بأمره ، فدعا بسواده وقلنسوته فلبسها وركب الى عيسى بن موسى فقال له : انّ لى جاراً أخذه عسسك البارحة فحبس ، وما علمت منه الا خيراً فقال عيسى : سلموا الى ابى حنيفة كل من أخذه العسس البارحة ، فاطلق سراح جميع المساجين ، فلما خرج الفتى دعا به ابو حنيفة وقال له : الستَ كنتَ تغنى يا فتى كل ليلة :

أضاعونى وأى فتى أضاعوا فهل أضعناك ؟ قال الفتى : لا • ولـكن

احسنت وتكرمت أحسن الله جزاءك • قال : فعد الى ما كنت تغنيه فانى كنت آنس به ولم أر به بأساً • قال : افعل •

٧ ـ الحجاج يعفو عن اسير :ـ

أتى الحجاج بقوم خرجوا عليه فضرب اعناقهم واقيمت صلاة المغرب وقد بقى منهم واحد فقال الحجاج لقتيبة بن مسلم الباهلى انصرف به معك حتى تغدوا به عليّ ، قال قتيبة : فخرجب والرجـل معى فلما كنت ببعض الطريق قال لى : هل لك فى خير ؟ قلت وما ذاك ؟ قال: انى والله ما خرجت على المسلمين ولا استحللت قتالهم ، ولكن ابتليت بما ترى • وعندى ودائع وأموال ، فهل لك أن تخلى سبيلى وتأذن لى حتى آتى أهلى وارد لكل ذى حق حقه واوصى ، ولك عليّ أن أرجـع حتى أضـــع يدى فى يدك • فعجبت له ، وتضاحكت لقوله ، ومضينا هنيهة ثم عاد عليّ القول ، وقال : انى اعاهدك الله على أن أعودَ اليك • فما ملكت نفسى حتى قلت له اذهب فلما توارى شخصه اسقط فى يدى ، فقلت : مـاذا صنعت فى نفـــسى ؟ وأتيت أهلى مهموما ، فسألونى عن شأنى فأخبرتهم الخبر ، فقالوا : لقـد اجترأت على الحجاج • فبتنا بأطول ليلة ، فلما كان أذان الفجر اذ الباب يطرق ، فخرجت فاذا أنا بالرجل ، فقلت : أرجعت ؟ قال : سبحان الله ! جعلت لك عهد الله عليّ أفأخونك ولا أرجع ! فانطلقت به حتى اجلسته على باب الحجاج ودخلت •

فلما رآنى قال : يا قتيبة اين أسيرك ؟ قلت أصلح الله الامير بالباب ، وقد اتفق لى معه قصة عجيبة • قال وما هى ؟ فحدثته عنهـــا فاذن لـــه بالدخول ثم قال : يا قتيبة اتحب أن اهبه لك ؟ قلت : نعم • قال : هو لك فانصرف به معك •

فلما خرجت به قلت له : خذ أى طريق شئت فرفع طرفه الى السماء

وقال : لك الحمد يا رب ، وما كلمني بكلمة ، ولا قال لى أحسنت ولا أسأت فقلت في نفسي : مجنون والله ! فلما كان بعد ثلاثة أيام جاءني وقال لي جزاك الله خيرا ، أما والله ما ذهب عنى ما صنعت ولكن كرهت أن اشرك مع حمد الله حمد أحد .

٨ - حاتم الطائي وسعد بن حارثة :-

خرج الحكم بن أبى العاص ومعه عطور يريد الحيرة وكان بها سوق يجتمع اليها الناس كل سنة ، فمر بطريقه بحاتم بن عبدالله الطائى ، فسأله الجوار فى أرض طى حتى يصير الى الحيرة ، فأجاره ثم أمر بجزور فنحرت وطبخت ثم دعاهم الى الطعام فأكلوا ولما فرغوا من طعامهم طيّبَهُمْ الحكم من طيبه .

وكان النعمان بن المنذر قد جعل لبنى لام ربع الطريق طعمة لهم لان بنت سعد بن حارثة بن لام كانت عنده .

ومر سعد بن حارثة بحاتم ومعه قومه من بنى لام ، فوضع حاتم سفرته وقال : اطعموا حياكم الله . فقالوا : من هؤلاء الذين معك يا حاتم؟ قال : جيرانى . قال له سعد : فأنت تجير علينا فى بلادنا ؟ قال له : أنا ابن عمكم وأحق من لم تخفروا ذمته . فقالوا : لست هناك ، وأرادوا أن يفضحوه ووثبوا عليه ، وتناول سعد حاتِماً فأهوى عليه حاتِم بالسيف فأطار ارنبة أنفه ووقع الشر حتى تحاجزوا ، ثم قالت بنو لام لحاتِم : بيننا وبينك سوق الحيرة فنما جدك ، ثم وضعوا تسعة أفراس رهنا ، ووضع حاتِم فرسه رهنا عند رجل من كليب وخرجوا حتى انتهوا الى الحيرة ، وسمع بذلك أياس بن قبيصة الطائى فخاف أن يعينهم النعمان بن المنذر ويقويهم بما له وسلطانه للصهر الذى بينه وبينهم ، فجمع رهطه من بنى حية وقال : يا بنى حية ، ان هؤلاء القوم قد أرادوا أن يفضحوا ابن عمكم

في مما جدته ، فقال رجل منهم : عندى مائة ناقة سوداء ومائة ناقة حمراء ، وقام آخر وقال : عندى عشرة حصن على كل حصان منهـا مائة فارس مدجج لا يرى منه الا عيناه وقال حسان بن جبلة الخير : قد علمتم أن أبى قد مات وترك لي خيرا فعليّ كل لحم وطعام وشراب ما أقاموا بسوق الحيرة. ثم قام اياس فقال : عليّ مثلُ جميع ما أعطيتم كلكم - كل ذلك كان وحاتم لا يعلم بشيء مما فعلوا -

وذهب حاتم الى ابن عمه - وهم بن عمر - وكان منقطعا عنه لا يكلمه فقالت له زوجته : - أى وهم - هذا والله أبو سفانة حاتِم قد طلع علينا بعد غياب طويل ، فقال : مالنا ولحاتم اثبتى النظر فقالت : ها هو . فقال ويحك هو لا يكلمنى ، فما جاء به اليّ ؟ ثم نزل حتى سلم عليه . فرد سلامه وحياه ثم قال له : ما جاء بك يا حاتِم ؟. قال : خاطرت على حسبك وحسبى . قال : فى الرحب والسعة . هذا مالى وعدته تسعمائة بعير فخذها مائة مائة حتى تذهب الابل أو تصيب ما تريد . ثم ان اياس بن قبيصة قال لقومه : احملونى الى الملك وكان به نقرس فحمل حتى ادخل عليه فقال : انعم صباحا أبيت اللعن . فقال النعمان : وحياك الاهل ، فقال : اياس : أتمد اختانك بالمال والخيل وجعلت بنى ثعل فى قعر الكنانة ، أيظن اختانك أن يصنعوا بحاتِم كما صنعوا بعامر بن جوبىء ولم يشعروا ان بنى حية بالبلد ؟ فان شئت والله ناجزناك حتى يسفح الوادى دما فليحضروا أمجادهم غدا بمجمع العرب .

فعرف النعمان الغضب فى وجهه وكلامه . فقال له : يا أحلمنا لا تغضب فانى سأكفيك . وأرسل النعمان الى سعد بن حارثة والى أصحابه وقال : انظروا ابن عمكم حاتما فارضوه ، فو الله ما أنا بالذى اعطيكم مالى تبذرونه . وما أطيق بنى حية .

فخرج بنو لام الى حاتم وقالوا له : أعرض عن هذا المجاد نضع دية انف ابن عمنا • قال : لا والله لا أفعل حتى تتركوا أفراسكم ويغلب مجادكم • فتركوا دية أنف صاحبهم وأفراسهم وقالوا : قبحها الله وأبعدها، فعمد اليها حاتم فعقرها وأطعم الناس لحمها •

٩ - تستجير بقبر أبيه :-

لما ولي الحجاج تميم بن زيد القيني السند ، دخل البصرة فجعل يخرج من أهلها من نساء • فجاءت عجوز الى الفرزدق فقالت : انى استجير بقبر أبيك : فقال لها : ما شأنك ؟ قالت : ان تميم بن زيد يريد أن يفتك بابن لى معه ، ولا قرة لعيني ولا كاسب لى سواه فقال لها : وما اسم ابنك ؟ فقالت : خنيس فكتب الى تميم بن زيد يقول :

تميمُ بنَ زيد لا تكونن حاجتى ... بظهر فلا يعيا عليّ جوابها
وهب لى خنيسا واحتسب فيه حتفه ... لعبرة أم ما يسوغ شرابها
أتتنى فعاذت يا تميم بغالب ... وبالحفرة السافى عليها ترابها
وقد علم الاقوام انك ماجد ... وليثٌ اذا ما الحرب شب شهابها

فلما ورد الكتاب على تميم تشكك فى الاسم فقال : اجيش أم خنيس ؟ انظروا من له مثل هذا الاسم فى عسكرنا فاصيب ستة ما بين جيش وخنيس فوجه بهم اليه جميعا •

ثالثا - الكرم والايثار

ومن الصفات العربية الاصيلة التى ميزت امة العرب عن سواها ، الكرم وهو الجود بالنفس والنفيس فى سبيل الرفعة والمنعة والكرامة •• وها نحن أيها القارىء الكريم نسطر فى أدناه بعضا من حوادث الكرم التى انفردت بها امة يعرب من بين امم الارض فى جاهليتها وبعد اسلامها ومنها -

١ ـ ايثار ابن ماجة الايادى :ـ

خرج كعب بن ماجة الايادى يوماً ، فى قَفَل معهم رجل من بنى النمر بن قاسط وكان ذلك فى حر الصيف ، فضلوا وشح ماؤهم فكانوا يتصافنون الماء ـ وذلك بأن يطرح فى القصب حصاة ثم يصب فيه الماء بقدر ما يغمر الحصاة فيشرب كل واحد قدر ما يشرب الآخر •

ولما نزلوا للشرب ، ودار القصب بينهم ، حتى انتهى الى كعب رأى الرجل النمرى يحد النظر اليه ، فآثره بمائه على نفسه ، وقال للساقى : اسق أخاك النمرى فشرب النمرى نصيب كعب من الماء ذلك اليوم • ثم نزلوا من الغد منزلهم الآخر فتصافنوا بقية مائهم فنظر اليه النمرى كنظرة امس وقال كعب : كقوله بالامس • وارتحل القوم وقالوا : يا كعب ارتحل فلم يكن له قوة للنهوض وكانوا قد قربوا من الماء فقالوا له : يا كعب انك وارد ، فعجز عن الجواب ، ولما يئسوا منه خيموا عليه بثوب يمنعه من السبع أن يأكله وتركوه مكانه ، فمات عطشاناً ونجا صاحبه من الموت بمائه •

٢ ـ من كرم حاتم :

قالت ماوية زوجة حاتم : اصابتنا سنة اقشعرت لها الارض واغبرت لها السماء ، وراحت الابل حدبا حدابير (صفه الجوع) وضنت المراضع على اولادها وحلقت السنةُ المالَ ، وايقنا بالهلاك ، فو الله انا لفى ليلة شديدة البرد اذ تضاغى صبيتنا جوعا ، عبدالله ، وعدى وسفانا ، فقام حاتم الى الصبيين وقمت أنا الى الصبية وأقبل يعللنى بالحديث ، فعرفت ما يريد فتناومت •

فلما تهورت النجوم ، اذا شىء قد رفع كسر البيت ثم عاد • فقال حاتم من هذا ؟ قالت : جارتك فلانة ، اتيتك من عند صبية يتعوون عواء الذئاب من شدة جوعهم ، فما وجدت معولا الا عليك يا أبا عدى ، فقال : اعجليهم فقد أشبعك الله واياهم •

فأقبلت المرأة تحمل اثنين ويمشى بجانبها أربعة كأنها نعامة حولها وثالها فقام حاتم الى فرسه فوجأ ليتها بمدية فخرت على الارض ثم كشط عن جلدها ودفع المدية الى المرأة فقال لها : شأنك !. فاجتمعنا على اللحم نشوى ونأكل ثم جعل يمشى فى الحى ، يأتيهم بيتا بيتا فيقول : هبوا أيها القوم . عليكم بالنار ، فاجتمعوا والتفع فى ثوبه وجلس فى ناحية ينظر الينا . فو الله ان ذاق منها مرعة وانه لاحوج اليها منا .

فأصبحنا وما على ظهر الارض من الفرس الا عظم وحافر فأنشأ حاتم يقول :

مهلاً نورا أقلى اللوم والعذلا ... ولا تقولى لشىء فات ما فعلا
ولا تقولى لمال كنت مهلكه ... مهلا وان كنت أعطى الانس والخبلا
يرى البخيل سبيل المال واحدة ... ان الجواد يرى فى ماله سبلا

٣ - حاتم ومادية :

تزوج حاتم ماوية وكانت من أحسن نساء العالم فى حينها ولبثت عنده زمنا طويلا أنجبت له أولادا منهم عدى وعبدالله وكانت قد استكرت من زوجها كثرة بذله وافراط كرمه حتى كادت تحدث بينهما جفوة وكان لحاتم ابن عم يقال له مالك انتهز فرصة هذا الفتور وقال لماوية : (ما تصنعين بحاتم ؟ فو الله لان وجد مالا ليتلفنه ، ولئن لم يجد ليتكلفن ولئن مات ليتركن ولده عيالا على قومه طلقى حاتما وانا اتزوجك ، فأنا خير لك منه وأكثر مالا ، وأنا أمسك عليك وعلى ولدك . فقالت : صدقت انه كذلك فلم يزل بها حتى طلقت حاتما . وكان من حق النساء وقتها أن يطلقن أزواجهن ، وكان طلاقهن أن يحولن أبواب بيوتهن الى جهة معاكسة لسابقتها، فجعلت باب بيتها الى المغرب بعد أن كان مشرقا .

فأتى حاتم بيته فوجد زوجته قد حولت باب خبائها فقال لابنه : يا عدى

ما ترى امك ، ما عدا عليها ؟ قال : لا أدرى غير انها غيرت باب الخباء .

وجاء قوم فنزلوا عند باب الخباء كما كانوا ينزلون من قبل ، فعدوا فاذا هم خمسون رجلا ، فضاقت بهم ماوية ذرعا . فقالت لجارتها اذهبى الى مالك فقولى له : ان أضيافا نزلوا باب دارى وهم خمسون رجلا فأرسل الينا بناب ولبن وأوصتها قائلة انظرى الى جبينه وفمه فان شافهك بالمعروف فاقبلى منه ، وان ضرب بلحيته وزوره فارجعى ودعيه .

فلما أتت مالكا وجدته متوسدا وعطاء لبن فأيقضته وأخبرته الخبر وقالت : انما هى الليلة حتى يعلم الناس مكانك ، فأدخل يده فى رأسه وضرب بلحيته على زوره وقال : اقرئيها عنى السلام وقولى لها ، هذا الذى أمرتك أن تطلقى حاتما من أجله ، فما عندى من كبيرة قد تركت العمل ، ولا صغيرة ارخصها ، وما عندى لبن يكفى أضيافكم .

فرجعت الجارية وأخبرت ماوية بما سمعت ورأت ، وأعلمتها بمقالته ، فقالت لها ويحك ائتى حاتما فقولى له : ان أضيافك قد نزلوا بنا الليلة ولم يعلموا بمكانك فأرسل الينا بناب ننحرها ونقرهم وبلبن نسقهم ، فانما هى الليلة حتى يعرفوا مكانك .

فأتت الجارية حاتما فصرخت به فقال حاتم : لبيك قريبا دعوت . فقالت : ان ماوية تقرأ عليك السلام وتقول لك : ان أضيافك قد نزلوا بنا الليلة فأرسل اليهم بناب ننحرها ولبن نسقهم . فقال : نعم وأبى ، ثم قام الى الابل فأطلق اثنتين من عقالهما ثم صاح بهما حتى أتيا الخباء فضرب عراقيبهما ، فطفقت ماوية تصيح وتقول : هذا الذى طلقتك فيه ، تترك ولدك وليس لهم شىء . ثم عاودت زوجها وخضعت لواقعه .

٤ ـ جود عثمان بن عفان رضى الله عنه :

أصاب الناس قحط فى خلافة سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله تعالى

عنه وأرضاه فلما اشتد بهم الامر جاؤا الخليفة وقالوا : يا خليفة رسول الله ، ان السماء لم تمطر والارض لم تنبت ، وقد أدرك الناسَ الهلاكُ • فما نصنع ؟ فقال لهم : انصرفوا واصبروا فانى أرجو الله ألا تمسوا حتى يفرّج الله عنكم • فلما كان فى آخر النهار ورد الخبر بأن عيراً لعثمان بن عفان جاءت من الشام ، فلما وصلت خرج الناس يتلقونها ، فاذا هى الف بعير موسقة برّاً وزبيباً فأناخت بباب عثمان رضى الله تعالى عنه ، فلما جعلها فى داره جاءه التجار يبغون ابتياعها منه فقال لهم : ما تريدون ؟ قالوا : انك لتعلم ما نريد ، بعنا من هذا الذى وصل اليك ، فانك تعلم حاجة الناس اليه ، قال : حبا وكرامة ، كم تربحوننى على شرائى ؟ قالوا : الدرهم درهمين ، قال : اعطيت زيادة على هذا • قالوا : الدرهم أربعةً ، قال : اعطيت زيادة على هذا ، قالوا : خمسة • قال اعطيت أكثر من هذا • قالوا : يا أبا عمر ما بقى فى المدينة تجار غيرنا ، وما سبقنا اليك أحد فمن ذا الذى أعطاك ؟ قال : ان الله أعطانى بكل درهم عشرة بقوله تعالى : (ومن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها •) أعندكم زيادة ؟ قالوا : لا • قال : فانى أشهد الله انى جعلت ما حملت هذه العير صدقة لله توزع على مساكين المسلمين وفقرائهم ، فوزعت •

٥ ـ لبيد والوليد بن عقبة :

كان لبيد بن ربيعة جوادا فى الجاهلية وبعد الاسلام ، وقد آلى فى الجاهلية أن يطعم ما هبت الصبا ، ثم أدام ذلك بعد اسلامه ، وكانت له جفنتان يغدو بهما ويروح فى كل يوم على مسجد قومه فيطعمهم ـ ونزل لبيد الكوفة ـ وأميرها الوليد بن عقبة ، فبينما هو يخطب الناس ، اذ هبت الصبا فقال الوليد فى خطبته على المنبر : لقد علمتم حال أخيكم ابى عقيل وما جعل على نفسه أن يطعم ما هبت الصبا • وهو يوم من أيامه ، وقد هبت ريحها فأعينوه : وأنا أول من فعل ، ثم انصرف الوليد فبعث اليه بمائة ناقة وبهذه الابيات :

أرى الجزار يشحذ شفرتيه   اذا هبت رياح ابى عقيل
أشم الانف أصيد عامرى   طويل الباع كالسيف الصقيل

فلما وصلت الهدية الى لبيد شكره وقال : انى تركت الشعر منذ قرأت القرآن ثم قال لابنته أجيبيه فلعمرى لقد عشت دهرا وما أعياني جواب شاعر فقالت :

اذا هبت رياح أبى عقيل   دعونا عند هبتها الوليد
أشمَ الانف أصيدَ عبشميا   أعانه على مروءته لبيدا
بأمثال الهضاب كأن ركبا   عليها من بنى حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيرا   نحرناها وأطعمنا الوفودا
فعد ، ان الكريم له معاد   وظنى بابن اردى أن يعودا

فقال لبيد : أجدت وأحسنت لولا انك سألت فى شعرك . فقال : انه أمير وليس بسوقة ، ولا بأس بسؤاله ، ولو كان غيره ما سألناه . قال : أجل انه على ما ذكرتِ يابنية .

٦ ـ كرم معاوية بن أبى سفيان :

قال معاوية يوما لعقيل بن أبى طالب هل من حاجة فأقضيها لك ؟ قال نعم . جارية عرضت عليّ وأبى أصحابها أن يبيعوها الا بأربعين الفا ، فأحب معاوية أن يمازحه فقال : وما تصنع بجارية قيمتها أربعون الفا ، وأنت أعمى تجترىء بجارية قيمتها خمسون درهما . قال أرجو أن تلد لى غلاما اذا أغضبته يضرب عنقك بالسيف . فضحك معاوية وابتاع له الجارية وولدت له مسلما بن عقيل .

فلما أتت على مسلم ثمانى عشرة سنة وقد مات عقيل أبوه . قال لمعاوية : يا أمير المؤمنين . ان لى أرضا بمكان كذا فى المدينة وانى أعطيت بها مائة الف وقد أحببت أن أبيعكها . فادفع اليّ ثمنها ، فأمر معاوية بتسلم الارض ودفع الثمن اليه .

فبلغ ذلك الحسين بن عليّ رضي الله عنه . فكتب الى معاوية : أما بعد. فانك غررت غلاما من بنى هاشم فابتعت منه أرضا لا يملكها فاقبض من الغلام ما دفعته واردد الينا أرضنا .

فبعث معاوية الى مسلم ، فأخبره بذلك وأقرأه كتاب الحسين وقال معاوية : (اردد الينا مالنا وخذ أرضك فانك بعت مالا تملك . فقال مسلم: دون ذلك أن أضرب رأسك بالسيف ، فاستلقى معاوية ضاحكا يضرب الارض برجليه ثم قال : يا بنى هذا والله كلام قاله لى أبوك حين ابتعت له امك .

ثم كتب الى الحسين انى قد رددت عليكم الارض وسوغت مسلما ثمنها .

فقال الحسين : أبيتم يا آل سفيان الا كرما .

٧ ـ أسخى من البحر اذ زخر :

حبس معاوية عن الحسين بن علي صلاته حتى ضاقت عليه حاله فقيل له : لو وجهت الى ابن عمك عبدالله بن العباس ، فانه قدم بنحو الف الف درهم .

فقال الحسين : وأين تقع الف الف من عبد الله ؟ فو الله لهو أجود من الريح اذ عصفت وأسخى من البحر اذا زخر . ثم وجه اليه مع رسوله كتابا ذكر فيه حبس معاوية صلاته عنه وضيق حاله ، وانه يحتاج الى مائة الف درهم ، فلما قرأ عبدالله كتابه . وكان أرق الناس قلبا والينهم عطفا انهملت عيناه بالدموع ثم قال : يا معاوية ويل يداك من الاثم : حين أصبحت لين المهاد رفيع الضماد ، والحسين يشكو ضيق المال وكثرة العيال .

ثم قال لقهرمانه : احمل الى الحسين نصف ما أملك من فضة وذهب

وثوب ودابة وأخبره اني شاطرته مالي ، فان يكفه ذلك والا فارجع واحمل اليه الشطر الآخر ، فقال القيم : فهذه المؤن التي عليك من أين تقوم بها ؟ قال : اذا بلغنا ذلك دللتك على أمر تقيم به حالك •

فلما أتى الرسول برسالته الى الحسين قال : انا لله حملت والله على ابن عمي ، ما حسبته يتسع لنا بهذا كله • فأخذ الشطر من ماله وهو أول من فعل ذلك في الاسلام •

٨ ـ يجود على مقدار نفسه :

خرج عبدالله بن العباس مرة من المدينة يريد معاوية في الشام • فأصابته السماء فنظر الى خباء عن يمينه فقال لغلامه مل بنا اليها •

فلما أتياها اذا شيخ ذو هيئة رثة فقال له : أنخ ، انزل ، حيت ودخل الى منزله • فقال لامرأته : هيئي شأنك ما يصلح شأن هذا الرجل فقد توسمت فيه الخير • فان يكن من مضر فهو من بني عبدالمطلب • وان يكن من اليمن فهو من بني آكل المرار فقالت له : قد عرفت حال صبيتي وان معيشتهم من هذه الشاة وأخاف الموت عليهم ان فقدوها فقال : موتهم أحب الي من اللؤم ثم قبض على الشاة ، فأخذ الشفرة بيده وأنشد :

قرينتي لا توقظي بنيه ان يوقظوا ينسحبوا عليه
وينزعوا الشفرة من يديه أبغض هذا أن يرى لديه

ثم ذبحها وكشط جلدها وقطعها ارباعا وقذفها في القدر حتى اذا استوت ثرد في جفنة فعشاهم ثم غداهم وأراد عبدالله الرحيل فقال لغلامه: ارم للشيخ ما معك من نفقة • فقال الغلام : ذبح لك شاة فكافأته بثمن عشرة أمثالها وهو لا يعرفك • فقال عبدالله : ويحك ! فانا أعرف نفسي ارم بهااليه فكانت خمسمائة دينار •

ثم ارتحل عبدالله ، فأتى معاوية • فقضى حاجته ثم أقفل راجعا الى

المدينة حتى اذا قرب من ذلك الشيخ قال لغلامه مل بنا ننظره فى أية حالة هو فانتهينا اليه ، فاذا برجل يسر عنده دخان عال ورماد كثير وابل وغنم ففرح بذلك وقال له الشيخ انزل بالرحب والسعة : فقال له عبدالله : أتعرفنى فقال لا والله فمن أنت فقال : أنا نزيلك ليلة كذا وكذا فقام اليه وقبل رأسه وقال : قد قلت أبياتا أتسمعها منى ؟ فقال هات فأنشد :

توسمته لما رأيت مهابة ... عليه وقلت : المرء من آل هاشم
والا فمن آل المرار فأنهم ... ملوك عظام من كرام أعظم
فقمت الى عنز بقية أعنز ... لاذبحها فعل امرىء غير نادم
فعوضنى عنها غناى ولم يكن ... تساوى عنزى غير خمس دراهم
فقلت لاهل فى الخلاء وصبيتى ... أحقا أرى أم تلك أحلام نائم

فضحك عبدالله وقال : أعطيتنا أكثر مما أخذت منا . يا غلام أعطه مثلها : وبلغت فعلته معاوية فقال : لله در عبدالله من أى بيضة خرج ؟ وفى أى عش درج !

٩ ـ من حيل الكرماء :

أهدى معاوية الى عبدالله بن العباس حللا كثيرة ومسكا وآنية من ذهب وفضة ووجهها اليه مع حاجبه ، فلما وضعها بين يديه نظر الى الحاجب وهو يطيل النظر منها ـ فقال : هل فى نفسك منها شىء قال نعم ، والله ان فى نفسى منها ما كان فى نفس يعقوب من يوسف.

فضحك عبدالله وقال : هى لك ، قال : جعلت فداك أنا أخاف أن يبلغ ذلك معاوية ، فيغضب لذلك : قال فأختمها بخاتمك وارفعها الى الخازن وهو يحملها اليه ليلا ، فقال : الحاجب : والله ان هذه الحيلة فى الكرماء لاكثر من الكرم وقعا على النفس ولوددت انى لا أموت حتى أراك مكانه ـ يقصد معاوية .

فطن عبدالله انها مكيدة منه فقال : دع هذا الكلام . أنا مِنْ قوم نفي بما عقدنا ولا ننقض بما أكدنا .

١٠ ـ يد عند عبدالله بن العباس :

أتى رجل عبدالله بن العباس وهو بفناء داره فقال : يا ابن العباس ان لى عندك يداً وقد احتجت اليها . فصعّد فيه بصره وصوبه فلم يعرفه ثم قال له : ما يدك عندنا ؟ قال رأيتك واقفا بزمزم وغلامك يمتح لك من مائها والشمس قد صهرتك فظللتك بطرف كسائى حتى شربت . قال : انى لأذكر ذلك ، وانه يتردد فى خاطرى وفكرى . ثم قال : لقيمه ما عندك ؟ قال مائتا دينار وعشرة آلاف درهم قال : ادفعها اليه . وما أراها تفى بحق يده علينا .

قال له الرجل : والله لو لم يكن لاسماعيل ولد غيرك لكان فيه ما كفاه فكيف « وقد ولد سيد الاولين والآخرين محمدا صلى الله عليه وسلم ؟ » .

١١ ـ اختبار الاجواد :

تمارى ثلاثة فى أجواد الاسلام . فقال رجل : أسخى الناس فى عصرنا هذا عبدالله بن جعفر بن أبى طالب ، وقال آخر : أسخى الناس عرابةُ الاوسى وقال ثالث : بل قيس بن سعد بن عبادة وأكثروا الجدال فى ذلك وعلا ضجيجهم وهم بفناء الكعبة .

فقال لهم رجل : قد أكثرتم الجدال فى ذلك ، فما عليكم أن يمضى كل واحد منكم الى صاحبه يسأله ، حتى ننظر ما يعطيه ونحكم على العيان .

فقام صاحب عبدالله اليه ، فصادفه قد وضع رجله فى غرز ناقته يريد ضيعة له ، فقال : يا ابن عم رسول الله ! قال : قل ما تشاء . قال : أنا ابن

سبيل ومنقطع به ، فأخرج رجله من غرز الناقة ، وقال له : ضع رجلك واستو على الراحلة وخذ ما فى الحقيبة واحتفظ بالسيف فانه من سيوف عليّ بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه .

فجاء بالناقة . والحقيبة فيها مطارف خز وأربعة آلاف دينار وأعظمها وأجلها السيف .

ومضى صاحب قيس بن سعد بن عبادة فصادفه نائما . فقالت الجارية: هو نائم فما حاجتك اليه ؟ قال : انا بن سبيل ومنقطع به . قالت : حاجتك أهون من ايقاظه هذا كيس فيه سبعمائة دينار ، والله يعلم ان ما فى دار قيس غيره وامض الى معاطن الابل : الى ابل لنا بعلامتنا فخذ راحلة من رواحلنا وما يصلحها للسفر وامضِ لشأنك . ولما انتبه قيس من رقدته أخبرته بما صنعت فأعتقها .

ومضى صاحب عرابة الاوسى اليه ، فألفاه قد خرج من منزله يريد الصلاة وهو يمشى على عبدين وقد كف بصره فقال : يا عرابة أنا ابن سبيل ومنقطع به : فخلى العبدين وصفق بيمناه على يسراه وقال : اواه اواه ما تركت الحقوق لعرابة مالا ، ولكن خذهما يعنى العبدين قال : ما كنت بالذى اقص جناحيك ! قال ان لم تأخذهما فهما حران ، فان شئت تأخذ وان شئت تعتق وأقبل يلتمس الحائط راجعا الى منزله .

فأخذهما صاحبه ورجع بهما الى رفاقه فقالوا : ان هؤلاء الثلاثة أجود عصرهم الا ان عرابة أكثرهم جودا لانه أعطى جهده .

١٢ ــ ان هذا لاسخى منى :

خرج عبدالله بن جعفر الى ضيعة له ، فنزل على نخيل قوم ، فيها غلام يقوم عليها ، وعنده ثلاثة أقراص خبز ، فدخل كلب فدنا منه ، فرمى اليه بقرص فأكله، ثم رمى اليه بالثانى فأكله ثم بالثالث فأكله وعبدالله ينظر اليه،

فقال عبدالله : ياغلام كم قوتك اليومي؟ قال : ما رأيتَ ، قال : فلِمَ أثرت الكلب ؟ قال : لان أرضنا ليست بأرض كلاب ، وأخاله قد جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده قال : فما كنت صانعا اليوم قال : أطوى يومي هذا ، فقال عبدالله بن جعفر : والله ان هذا لاسخى منى ، فاشترى النخل والغلام وأعتقه ووهب النخل له •

١٣ ـ عمارة وعبدالملك بن مروان :

قال عمارة كنت اجالس عبدالملك بن مروان كثيرا في ظل الكعبة ، فبينا أنا معه ذات يوم اذ قال لى : يا عمارة • ان تعش قليلا فسترى الاعناق اليَّ مائلة والآمال نحوى سامية ، واذا كان ذلك فلا عليك أن تجعلنى لرجائك بابا ولاملك ذريعة فو الله ان فعلت لاملأن يديك غبطة ولاكسونك نعمة سابغة •

ثم ان عبدالملك سار الى دمشق ، وصارت اليه الخلافة ، فخرجت اليه زائرا واستأذنت فأذن لى ، ودخلت فسلمت عليه فلما انقضى سلامى قال : مرحبا بأخي ، ونادى أحد غلمانه فقال : بوئه دارا وأحسن مهاده ونزهه وآثره على خصتي •

ففعل ، وأقمت عنده عشرين ليلة أحضر غداءه وعشاءه ، فلما أردت الانصراف والاوبة الى أهلى ، أمر لى بعشرين ألف دينار ومائتى الف درهم ومائة ناقة بكسوتها ، وقال لى : أترانى يا عمارة ملأت يديك غبطة ؟ فقلت : يا سبحان الله ، يا أمير المؤمنين ، وانك لذاكر لذلك ؟ قال : نعم ، والله لا خير فيمن ينسى ما وعد به ويذكر ما أوعد • كم لهذا الامر يا عمارة ؟ قلت : والله لكأنه بالامس ، وله دهر يا أمير المؤمنين ، قال : فو الله ما كان ذلك عن خبر سمعناه ولا حديث كتبناه ، ولا أثر رويناه ، غير انى عقلت في الحداثة أنباء رجوت أن يرفع الله بها درجتى وينشر بها ذكرى •

قلت : وما هي يا أمير المؤمنين : قال : كنت لا أشارى ولا امارى ولا أهتك سترا ستره الله دونى ، ولا ارتكب محرما حظره الله عليّ ، ولا حسدت ولا بغيت وكنت من قومى واسطة القلادة ، وكنت أكرم جليسى وان كان ذميما وأرفع قدر الاديب واكـرم ذا الثقـة وادارى السفيـه ، وأرحم الضعيف فبذلك رفع الله قدرى يا عمارة ، خذ اهبة السفر وامضِ راشدا .

١٤ ـ احتكموا واكثروا :

استعمل الوليد بن عبدالملك عثمان بن حيان المرى على المدينة وأمره بالغلظة على أهل الظنة من سكانها ، فلما استخلف سليمان بن عبدالملك أخذه بألفى درهم ، فاجتمعت القيسية فى ذلك فتحملوا شطرها وضاقوا ذرعا بالشطر الثانى ، ووافق ذلك استعمال يزيد بن المهلب على العراق فقال عمر بن هبيرة : عليكم بيزيد بن المهلب فمالها أحد غيره .

فذهب الى يزيد عُمر بن هبيرة والقعقاع بن حبيب والهذيل بن زفر بن الحارث ، وسار معهم عثمان نفسه ، فاستأذن لهم حاجبه ، فخرج يزيد الى الرواق فقرب ورحب ، ثم دعا بالغذاء لهم فأكلوا .

فلما تغدوا تكلم عثمان بن حيان ـ وكان لسنا مفوها ـ فقال : زادك الله فى توفيقك ، أيها الامير ، ان الوليد وجهنى الى المدينة عاملا عليهـا وأمرنى بالغلظة على أهل الظنة فيها ، وان سليمان أغرمنى غرما ـ والله ـ ما يسعه مالى ولا تحمله طاقتى فأتيتك لتحمل من هذا المال ما خف عليك وما بقى ـ والله ـ ثقيل عليّ .

ثم تكلم كل منهم بما حضره ، فقال يزيد بن المهلب : مرحبا بكم وأهلا ان خير المال ما قضى به الحقوق ، وحملت به المغارم ، وانما لى من المال ما فضل عن اخوانى وايم الله لو علمت أن أحدا املا بحاجتكم منى لهديتكم اليه فاحتكموا واكثروا .

فقال عثمان : النصف أصلح الله الامير ، قال : نعم وكرامة ، اغدوا على مالكم فخذوه ، فشكروا له وقاموا فخرجوا • فلما صاروا على باب السرادق قال عمر بن هبيرة : قبح الله رأيكم ، والله ما يبالى يزيد انصفها يحمل أم كلها فمن لكم بالنصف الباقى ؟•

قال القوم : هذا والله الرأى • وسمع يزيد مناجاتهم ، فقال لحاجبه : انظر يا يحيى ان كان بقى على القوم شىء فليرجعوا •

فرجعوا اليه ، وقالوا : فان رأيت ان تحملها كلها فأنت أهلها ، وان أبيت فما لها أحد غيرك ، قال : قد فعلت • وغدا يزيد بن المهلب الى سليمان فقال : يا أمير المؤمنين : أتانى عثمان بن حيان وأصحابه • قال : امسك فى المال ؟ قال : نعم قال سليمان لآخذنه منهم • قال يزيد : انى قد حملته • قال فأده : قال يزيد : والله ما حملته الا لأؤديه • ثم غدا يزيد بالمال على الخزان فدفعه اليهم •

فدخلوا على سليمان فأخبروه بقبض المال ، فقال وفيت يمينَ سليمان ، احملوا الى أبى خالد ماله •

١٥ ـ أنت أخو الندى وحليفهُ :

قال بعض مشيخة قريش : أذن الوليد بن عبدالملك يوما للناس فدخلوا عليه ، وأذن للشعراء فكان أول من بدر بين يديه عويق القوافى الفزارى فاستأذنه فى الانشاد فقال : ما بقيت لى بعد ما قلت لاخى بنى زهرة ؟ قال : وما قلت له مع ما قلت لامير المؤمنين ؟ قال : الست الذى تقول :

يا طلحُ أنت أخو الندى وحليفه ... ان الندى من بعد طلحة ماتا
ان العقال اليك أطلق رحله ... فبحيث بتَ من المنازل باتا

وقال : ألست الذى تقول ؟

اذا ما جـاء يومك يا ابن عوف فلا مطرت على الارض السمـاء
تساقى الناس بعدك يا ابن عـوف ذريـع المـوت ليس لـه شـفاء

الم تقم علينا الساعة التى قامتْ عليه ؟ لا والله لا أسمع منك شيئا ولا أنفعك بنافعة أبدا اخرجوه عنى .

فلما اخرج قال له القرشيون والشاميون وما الذى أعطاك طلحة حتى استخرج هذا منك ؟ قال : أما والله لقد أعطانى غيره أكثر من عطيته ولكن لا والله ما أعطانى أحـد قط أحلى فى قلبى ، ولا أبقى شـكرا ولا أجدر الا انساها من عطيته : قالوا : وما أعطاك ؟ قال :

قدمت المدينة ومعى بضيعة لى لا تبلغ عشرة دنانير ، اريد أن ابتاع مقودا من قعدان الصدفة ، فاذا برجل فى صحن السوق على طنفسة قـد طرحت له واذا الناس حوله ، واذا بين يديه ابل ، فظننت انه عامل السوق فسلمت عليه فأثبتنى وجهلته ، فقلت : رحمك الله ، هل أنت معينى عـلى مقود من هذه القعدان أن تبتاعه لى ؟ فقال : نعم أومعك ثمنه ؟ فقلت : نعم. فأهوى بيده الي فأعطيته بضيعتى فرفع طنفسته والقاها تحتها، ومكث طويلا ثم قمت اليه فقلت : رحمك الله انظر فى حاجتى ! فقال : ما منعنى منك الا النسيان ، أمعك حبل ؟ قلت نعم ، قال افرجوا فأفرجوا عنه حتى استقبل الابل التى بين يديه ، فقال : اقرن هذه وهذه وهـذه ، فما برحت حتى أمر لى بثلاثين بكرة ادنى بكرة منها خير من بضاعتى ! ثم رفع طنفسته فقال : وشأنك ببضاعتك فاستعن بها على قضاء حاجتك ثم بعث معى نفرا فأطردوها ، حتى أطلعوها من رأس الثنية فو الله لا انساها ما دمت حيـا أبـدا .

١٦ معن بن زائدة :

قال معن بن زائدة الشيبانى : لما هربت من المنصور خرجب من باب

حرب بعد أن أقمت فى الشمس أياما وخففت لحيتى ولبست جبة صوف غليظة ، وركبت جملا وخرجت عليه لامضى على البادية فتبعنى رجل متقلدا سيفا حتى اذا غبت عن الحرس قبض على خطام الجمل فأناخه وقبض عليّ ، فقلت : ما شأنك ؟ فقال: أنت بُغيةُ أمير المؤمنين فقلت له : ومن أنا حتى يطلبنى أمير المؤمنين ؟ فقال : أنت معن بن زائدة ، فقلت : يا هذا اتق الله ، وأين أنا من معن ؟ فقال : دع هذا عنك ، فانا والله أعرف بك . فقلت له : فان كانت القصة كما تقول ، فهذا جوهر حملته معى بأضعاف ما بذله لمن جاء بى ، فخذه ولا تسفك دمى .

فقال : هاته ، فأخرجته اليه ، فنظر اليه ساعة وقال : صدقت فى قيمته ولست قابله حتى أسألك عن شىء ، فان صدقتنى أطلقتك ، فقلت : قل ! فقال : ان الناس وصفوك بالجود فاخبرنى ، هل وهبت قطُّ مالك كله ؟ قلت لا . قال : فنصفه قلت لا . حتى بلغ العشر فاستحييت وقلت : نعم أظن انى قد فعلت هذا ، فقال : ما ذلك بعظيم ، انا والله راجل ورزقى من أبى جعفر عشرون درهما ، وهذا الجوهر قيمته الف دينار وقد وهبته لك ووهبتك لنفسك ، ولجودك المأثور بين الناس ، ولتعلم ان فى الدنيا من هو أجود منك ، فلا تعجبك نفسك ، ولتحقر بعد هذا كل شىء تفعله ولا تتوقف عن مكرمة ، ثم رمى بالعقد اليّ وخلى خطام الجمل وانصرفَ .

فقلت يا هذا قد فضحتنى ، ولسفك دمى أهون عليّ مما فعلت ، فخذ ما دفعته اليك ، فانى عنه فى غنى ، فضحك ، ثم قال : أردت أن تكذبنى فى مقامى هذا فو الله لا آخذه ولا آخذ لمعروف ثمنا أبدا ومضى .

فو الله لقد طلبته بعد أن أمنت ، وبذلت لمن يجىء به ما شاء فما عرفت له خبرا وكأن الارض ابتلعته .

١٧ ـ ما ولدت العرب أكرم منك :

قال الاصمعي : قَصَدْتُ في بعض الايام رجلا كنت أغشاهُ لكرمه فوجدت على بابه بوابا فمنعني من الدخول اليه ، ثم قال : والله يا أصمعي ما اوقفني على بابه لامنع مثلك الا لرقة حاله ، وقصور يده ، فكتبت رقعة فيها :

اذا كان الكريم له حجاب فما فضل الكريم على اللئيم

ثم قلت له : أوصل رقعتي اليه ، ففعل وعاد بالرقعة وقد وقع على ظهرها :

اذا كان الكريم قليل مال تحجب بالحجاب على الغريم

ومع الرقعة صرة فيها خمسمائة دينار .

فقلت : والله لاتحفن المأمون بهذا الخبر ، فلما رآني قال : من أين يا أصمعي قلت : من عند رجل من أكرم الاحياء حاشا أمير المؤمنين ، قال: ومن هو ؟ فدفعت اليه الورقة والصرة ، وأعدت عليه الخبر . فلما رأى الصرة قال : هذا من بيت مالي ، ولابد لي من الرجل ! فقلت : والله يا أمير المؤمنين ، اني استحيي أن تروعه برسلك . فقال : لبعض خاصته ، امض مع الاصمعي ، فاذا أراك الرجل ، فقل له : أجب أمير المؤمنين من غير ازعاج .

فلما حضر الرجل بين يدي المأمون قال له : أنت الذي رفعت لنا بالامس ، وشكوت رقة الحال ، وان الزمان قد اناخ عليك بكلكله فدفعنا اليك هذه الصرة لتصلح بها حالك ؟ فقصدك الاصمعي ببيت واحد فدفعتها اليه ؟

فقال : نعم يا أمير المؤمنين ! والله ما كذبتُ فيما شكوت لاميرالمؤمنين من رقة الحال . لكني استحيت من الله تعالى أن اعيد قاصدي الا كما أعادني أمير المؤمنين .

فقال له المأمون : لله أنت ؟ فما ولدت العرب أكرم منك • فأكرمه حتى كفاه •

١٨ ـ الاصمعى يطلب القرى :

قال الاصمعى : سرت فى تطوافى فى العرب بجبلى طى ، فقدمت الى قوم منهم يحتلبون اللبن ، ثم يصيحـون : الضيف الضيف ! فان جـاء من يضيفهم ، والا أراقـوه ، فلا يذوقون منـه شيئا دون الضيف الا أن يجهدهم الجوع •

ثم وقفت الى رجل من ولد حاتم بن عبدالله ، فسألته القرى ، فقال : القرى والله كثير ، ولكن لا سبيل اليه ، فقلت : ما أحسب عندك شيئا ، فأمر بالجفان ، فاخرجت مكرمة بالثريد ، عليها وذر اللحم واذا هو جاد فى المنع ، فقلت : والله ما أشبهت أباك حيث يقول :

وابرزُ قِدرى بالفناء ، قليلها   يرى غير مضنون به وكثيرهـا

فقال :ـ

الا اشبهه فى هذا ، فقد أشبهته فى قوله :

أماويـة أما مانع فمبينى   واماّ عطاءٌ لا بنهنهة الزجر

فانا والله مانع مبين • فرحلت عنه •

ودفعت الى امرأة من ولد ابن هرثمة فسألتها القرى ، فقالت : انى والله مُرمِلَةٌ مسنة، ما عندى شىء، فقلت: أما عندك جزور ؟ فقالت: والله ولا شاة ولا دجاجةٌ ، ولا بيضة ! فقلت : أما ابن هرثمة أبوك؟ فقالت: بلى والله انى لمن صميمهم ، قلت : قاتل الله اباك ! ما كان أكذبه حيث يقول :

لا امنع العود بالفصال ولا   ابتـاع الا قريبـة الاجل

انى اذا ما البخيل آمنهـا   بانت ضمورا منى على وجل

ووليت ، فنادت : ارجع أيها الراكب ، فعلـه والله ذلك أقله عندنا

فقلت : الا تكونى اوسعتينا قرى فقد اوسعتينا جوابا .

١٩ ـ ولقد أبيت على الطوى :

قال تميم بن عدى اليربوعى كنت مع عبدالله بن العباس، عند مُنْصَرَفِهِ من دمشق ، فسألته فى بعض الايام ، وقلت له بماذا يتم عقل الرجل ؟ فقال : اذا صنع المعروف مبتدئا به ، وجاد بما هو محتاج اليه ، ويتجاوز عن الذلة ، وجازى على المكرمة ، وتجنب مواطن الاعتذار ، فقد تم عقله . فحفظت ذلك منه والصقته بقلبى .

ثم بعد أيام نزلنا منزلا ، فطلبنا طعاماً فلم نجده ولا قدرنا عليه ـ فان زيادا كان قد نزل بذلك المنزل قبلنا بأيام قليلة فى جمع كثير ، فأتوا على ما كان فيه من الطعام ـ فقال عبدالله لوكيله : اخرج الى هذه البرية ، فلعلك تجد راعيا معه طعام ، فمضى الوكيل ومعه غلمان ، فأطالوا التوقف ، فما كادوا يرجعون حتى لاح لهم خباء ، فأموه ، فوجدوا فيه عجوزا ، فقالوا لها : هل عندك طعام نبتاعه منك ؟ فقالت : أما طعام بيع فلا . ولكن عندى أكلة لى ، وبأولادى اليها أمس حاجة ، قالوا : وأين أولادك ؟ قالت : فى رعيهم ، وهذا وقت عودتهم . قالوا : فما أعددت لهم ؟ قالت : خبزة تحت ملتها انتظر بها مجيئهم ، قالوا لها : فجودى علينا بنصفها ، قالت : لا ولكن بها كلها ، قالوا لما منعت النصف وجدت بها كلها ولا خبز عندك غيرها ؟ قالت : ان عطاء الشطر من خبزة نقيصة ، فأنا أمنع ما ينقصنى وأجود بما يرفعنى ، فأخذوا الخبزة لفرط حاجتهم اليها وانصرفوا ، ولم تسأل من هم ولا من أين جاؤا .

فلما أتوا عبدالله ، وأخبروه خبر العجوز عجب من ذلك ، وقال : ارجعوا اليها ، فاحملوها فى دعة ، وأحضروها ، فرجعوا اليها وقالوا لها : ان صاحبنا أحب أن يراك ، قالت : ومن صاحبكم ؟ قالوا عبدالله بن العباس

قالت ما أعرف هذا الاسم • قالوا : العباس بن عبدالمطلب ، وهو عم النبى• قالت : والله ان هذا لشرف عال وذروته الرفيعة ، وماذا يريد منى ؟ قالوا: يريد أن يكافئك على ما كان منك • قالت : لقد أفسد الهاشمى ما أثل له ابن عمه عليه السلام ، والله لو كان ما فعلت معروفا ما أخذت عليه ثوابا ، وانما هو شىء يجب على كل انسان أن يفعله • قالوا : فانه يحب أن يراك ويسمع كلامك ، قالت أصير اليه لانى أحب أن أرى رجلا فى جناح النبى صلى الله عليه وسلم وعضوا من أعضائه •

فلما سارت اليه رحب بها وأدنى مجلسها وقال : ممن أنت ؟ قالت : من كلب • قال : كيف حالك ؟ قالت : لم يبق من الدنيا ما يفرح الا وقد بلغته وانى الآن أعيش بالقناعة وأصون القرابة ، وأنا أتوقع مفارقة الدنيا صباح مساء • قال : اخبرينى ، ما الذى أعددت لاولادك عند انصرافهم بعد أخذنا الخبزة ؟ قالت أعددت لهم قول العربى :

ولقد أبيت على الطوى وأظله   حتى أنال به كريم المأكل

فأعجبه قولها ، وقال لبعض غلمانه ، انطلق الى خبائها ، فاذا أقبل بنوها فجئنى بهم ، فقالت للغلام : انطلق ، فكن فى فناء البيت ، فانهم ثلاثة ، فاذا رأيتهم تجد أحدهم دائم النظر نحو الارض ، عليه شعار الوقار ، فاذا تكلم أفصح ، واذا طلب أنجح ، والآخر حديدى النظر ، كثير الحذر ، اذا وعد فعل ، وان ظلم قتل ، والآخر كأنه شعلة نار ، وكأنه يطلب بثأر ، فذلك الموت المائت والداء الكابت ، فاذا رأيت هذه الصفة منهم فقل لهم عنى : لا تجلسوا حتى تأتونى •

فانطلق الغلام فأخبرهم الخبر ، فما بعد أمده حتى جاؤا ، فأدناهم عبدالله وقال : انى لم أبعث اليكم والى والدتكم الا لاصلح من أمركم ، واصنع ما يروقكم ، فقالوا : ان هذا لا يكون الا عن مسألة أو مكافأة فعل

جميل نقدم ولم يصدر منا واحدة منهما ، فان كنت أردت التكرم مبتدئا ، فمعروفك مشكور ، وبرك مقبول مبرور ، فأمر لهم بسبعة آلاف درهم ، وعشر من النوق ، فقالت لهم العجوز : ليقل كل واحد منكم بيتا من قوله :

فقال الاكبر :

شهدت عليك بحسن المقال   وصدق الفعال وطيب الخبر

وقال الاوسط :

تبرعت بالبذل قبل السؤال   فعال كريم عظيم الخطر

وقال الاصغر :

وحق لمن كان ذا فعله   أن يسترق رقاب البشر

وقالت العجوز :

فعمرك الله من ماجد   ووقيت ما عشت شر القدر

ثم ودعوه وانصرفوا •

قال تميم اليربوعي : فالتفت الي عبدالله وقال لى : يا تميم ، وددت لو وجدت مزيدا فى ابتداء المعروف الى هذه المرأة وبنيها ، وجعل هو يتأوه من تقصيره عن مراده فى ذلك ، فقلت له : لقد أحسنت وأرجحت وقد شهد فعلك بما سبق من قولك ، فأنت أتم الناس عقلا وأكملهم مروءة •

٢٠ ـ غسان بن عباد وعلي بن عيسى :

كانت بين غسان بن عباد وعلى بن عيسى عداوة عظيمة ، وكان على ابن عيسى ضامنا أعمال الخراج والضياع ببلدة ما ، فبقيت عليه بقية قدرها أربعون الف دينار فألح المأمون عليه بطلبها ، الى أن قال لعلى بن صاحب الحاجب : امهله ثلاثة أيام فان أحضر المال والا فاضربه بالسياط حتى يؤدى المال أو يتلف •

فانصرف علي بن عيسى من دار المأمون آيسا من نفسه ، وهو لا يدرى وجها يتجه اليه ، فقال له كاتبه : لو عرجت على غسان بن عباد وعرفته خبرك . لرجوت أن يعينك على أمرك ! فقال له : على ما بيني وبينه من العداوة ؟ قال نعم : فان الرجل اريحي كريم .

فدخل على غسان ، فقام اليه وتلقاه بالجميل ، وأوفاه حقه من الخدمة ثم قال له : الحال بيني وبينك كما علمت ، ولكن دخولك الى دارى له حرمة" فوجب بلوغ' ما رجوته مني ، فان كانت لك حاجة فاذكرها :

فقص عليه القصة ، فقال : أرجو أن يكفيكه الله تعالى ، ولم يزد على ذلك شيئا . فنهض علي بن عيسى ، وخرج آيسا نادما على قصده غسان ، وقال لكاتبه : ما أفدتني بالدخول على غسان غير تعجيل الشماتة .

فلم يصل علي بن عيسى الى داره حتى حضر اليه كاتب غسان ومعه البغال عليها المال فتقدم وسلمه ، وبكر الى دار أمير المؤمنين ، فوجد غسانا قد سبقه اليها ودخل على المأمون وقال : يا أمير المؤمنين ان لعلي بن عيسى بحضرتك حرمة وخدمة وسالف أصل ولقد لحقه من الخسران في ضمانة ما تعرفه الناس ، وقد توعدته بضرب أطار عقله وأذهب لبه ، فان رأى أمير المؤمنين أن يجزيني على حسن كرمه ببعض ما عليه ، فهي صنيعة علي تحرس ما تقدمها من احسانه ، ولم يزل يتلطف الى أن حط عنه النصف ، واقتصر على عشرين الف دينار .

فقال غسان : على أن يجدد عليه أمير المؤمنين الضمان ، ويشرفه بخلعة تقوى نفسه ، وترهف عزمه ، ويعرف بها مكان الرضا عنه ، فأجابه المأمون الى ذلك . قال : فيأذن أمير المؤمنين ان أحمل الدواة الى حضرته ليوقع بما رآه من هذا الانعام ؟ قال : افعل . فحمل الدواة الى أمير المؤمنين : فوقع بذلك وخرج علي بن عيسى بالخلعة والتوقيع بيده .

فلما حضر فى داره حمل من المال عشرين الف دينار ، وأرسلها الى غسان وشكر له جميل فعله معه ، فقال غسان لكاتبه : والله ما شفعت عند أمير المؤمنين الا لتوفر عليه وينتفع بها ، فامضِ بها اليه ، فلما ردها كاتبه الى علي بن عيسى علم قدر ما فعله معه غسان ، فلم يزل يعرفها له الى آخر العمر .

٢١ - لقد كان ذلك الرجل شؤماً :

خرج معن بن زائدة فى جماعة من خواصه للصيد فاعترض طريقهم قطيع ظباء فتفرقوا فى طلبه ، وانفرد معن خلف ظبى حتى انقطع عن اصحابه ، فلما ظفر به نزل فذبحه ، فرأى شيخا مقبلا من البرية على حمار ، فركب فرسه واستقبله فسلم عليه فقال : من أين ؟ والى أين ؟ قال : أتيت من أرض اجذبت منذ عشرين عاما وقد اخصبت فى هذه السنة ، فزرعتها مقثاة ، فاجرجت القثاء فى غير اوان ، فجمعت منها ما استحسنته ، وقصدت به معن بن زائدة لكرمه المشكور وفضله المشهور ومعروفه المأثور ، واحسانه الموقور .

قال : وكم أملت منه ؟ قال : ألف دينار قال : فان قال لك كثيرا ! قال : خمسمائة ، قال : فان قال لك كثير ! قال : ثلاثمائه ، قال : فان قال لك كثير ! قال : مائة ، فما زال به حتى قال : لا أقل من الثلاثين ، قال فان قال لك كثير ، قال : ادخل قوائم حمارى فى عينيه وارجع الى اهلى خائبا .

فضحك معن ، وساق جواده حتى لحق بأصحابه ، ونزل فى منزله وقال لحاجبه اذا أتاك شيخ على حمار بقثاء فادخل به عليّ .

فأتى الرجل بعد ساعة ، فلما دخل عليه لم يعرفه لهيبته وجلاله ، وكثرة حشمه وخدمه وهو متصدر فى دسته ، والخدم قيام عن يمينه وشماله وبين يديه .

فلما سلم عليه قال : ما الذى أتى بك أخا العرب ؟ أملت الامير وأتيته بقثاء فى غير أوان ، فقال : كم أملت فينا ؟ قال : الف دينار ! قال : كثير ! فقال الشيخ فى نفسه والله لقد كان ذلك الرجل شؤما عليّ ! ثم قال خمسمائة ، قال : كثير ، ثم ما زال به الى أن قال : خمسين دينارا ، فقال له كثير ! فقال : ألا أقل من الثلاثين ، فضحك معن .

فعلم الاعرابى انه صاحبه، فقال : ياسيدى ان لم تجب الى الثلاثين فالحمار مربوط بالباب ، وها هو ذا معن جالس . فضحك معن حتى استلقى على فراشه ثم دعا بوكيله فقال : اعطيه الفاً وخمسمائة وثلاثمائة ومائة وخمسين ، وثلاثين ودع الحمار مكانه .

٢٢ ـ قل لكرام ببابنا يلجوا :

بينا عبدالله بن جعفر فى أزقة المدينة اذ سمع غناءاً فأصغى اليه فاذا بصوت شجى رقيق لقينة تغنى .

قل لكرام ببابنا يلجو ما فى التصابى على الفتى حرج

فنزل عبدالله عن دابته ودخل على القوم بلا اذن ، فلما رأوه قاموا له اجلالا ورفعوا منزله ، ثم قال صاحب المنزل : يا ابن عم رسول الله ، دخلت علينا منزلنا بلا اذن وما كنت لهذا بخليق ! فقال عبد الله : لم ادخله الا باذن ، قال : ومن اذن لك ؟ قال : قينتك هذه سمعتها تغنى .

قل لكرام ببابنا يلجوا

فان كنا كراما فقد أذن لنا ، وان كنا لئاما خرجنا مذمومين ، فضحك صاحب الفندق وقال : صدقت جعلتُ فداك ، ما أنت الا من اكرم الاكرمين .

ثم بعث عبدالله الى جارية من جواريه ، فقال لها : غنى ، فغنت فطرب لها الجمع ، وطرب عبدالله نفسه ، فدعا بثياب وطيب ، فكسا القوم وصاحب

المنزل وطيبهم ووهب لـه الجارية ، وقال له : هـذه احذق بالغناء من جاريتك •

٢٣ ـ حاتم يقرى الضيف بعد موته :

مر نفر من عبد القيس بقبر حاتم ، فنزلوا قريبا منه ، فقام اليـه رجل يقال له أبو الخيبر لانه ولد فى خيبر ، وجعـل يركل برجله قبره ويقول : اقرئنا ابا عدى ! فقال له بعضهم ، ويلك ! ما يدعوك أن تعرض لرجل قد مات ؟ قال ان طيا تزعم انه ما نزل به احد الا قرأه ، ثم أجنهم الليل فناموا •

فقام أبو الخيبر من نومه فزعا وهو يقول : واراحلتاه ! فقالوا له : مالك ، قال : أتانى حاتم فى النوم ، وعقر ناقتى بالسيف ، وانا انظر اليها ، ثم انشدنى شعرا حفظته يقول فيه :

أبـا الخيبـر وانت امـرؤ ظلـوم العشـيرة شـتامهـا
أتيت بصحبك تبغي القـرى لدى حفـرة قـد صدت هامها
أتبغى لى الـذم عنـد الميت وحـولك طى وانعامهـا
فانـا لنشبـعُ اضيـافنـا وتـأتـى الخطـى فنعتامهـا

فقاموا ، واذا ناقة الرجـل نكوس عقيراً ، فانتحروها وباتوا يأكلون لحمها ، وقالوا قرانا حاتم حيا وميتا •

واردفوا صاحبهم غداة صبح وانطلقوا سائرين ، واذا برجل راكبا بعيرا ويقود آخر ، وهو يقول : أيكم ابو الخيبرى ؟ قال الرجل أنا قال : فخذ هذا البعير ، أنا عدى بن حاتم ، جاءنى حاتم اليوم فى منامى وزعم أنه قرأكم بناقة ابى الخيبر ، وامرنى ان احملك ، فشأنك والبعير ! ودفعه اليهم وانصرف •

٢٤ ـ عقيد المجد والجود :

كان لمعن بن زائدة شاعر يغشى مجلسه في كل يوم ، فانقطع عنه أياما فلما دخل عليه قال : ما ابطأك عن مجلسنا ؟ قال ولد لي مولود قال : فمـا سميته ؟ قال :

سميت معناً بمعن ، ثم قلت له هذا سمي عقيد المجـد والجود

قال معن : يا غلام أعطه الف دينار ، وقل بيتا آخر ، فقال :

سما بجودك جود النـاس كلهم فصار جودك محراب الاجـاويد

قال معن : يا غلام أعطه الف دينار أخرى وقل بيتا آخر ، فقال :

أنت الجواد ومنك الجـود أوله وان فقدتَ فما جودٌ بموجود

قال : يا غلام أعطه الفا ثالثة وقل بيتا آخر ، فقال :

من نور وجهك تضحى الارض مشرقة ومن بنانك يجرى الماء في العدد

قال : يا غلام أعطه الفا رابعة ، وقل بيتا آخر ، فقال الغلام مخاطبا الشاعر لا تقل شيئاً بعد ذلك ، والله لم يبق في بيت ماله الا ما أخذت ، فأخذ المال وانصرف شاكرا معجبا .

ثالثا ـ العفو عند المقدرة

ومن صفات العرب الاصيلة العفو عند المقدرة لان العفو عن المسيء ضرب من ضروب الشجاعة والكرم وهما صفتان عربيتان لا يتمارى فيهما اثنان ، وهاك قارئي الكريم بعض الامثلة الواقعية على ما جبلت عليه النفس العربية من عفو وصفح عمّن أساء اليها عندما يقع في قبضتها ضعيف لا حول ولا طول له الا رحمة من أساء اليه وهذه بعض الامثلة .

١ ـ مكرُمـة :

حدث عمر بن العلاء فقال : جلس النعمان بن المنذر يوما وعليه حلة

مرصعة بالدر ، وبما كرم من الاحجار لم ير مثلها من قبل واذن للعربى بالدخول عليه وكان فيهم اوس بن حارثة ، فجعلت العرب تنظر الى الحلة وكل منهم يقول لصاحبه : ما رأيت مثل هذه الحلة قط ، ولا سمعت أن احدا من الملوك ملك مثلها ـ واوس بن حارثة مطرق لا ينظر اليها ـ فقال له النعمان : ما أرى كل من دخل عليّ الا استحسن هذه الحلة وتحدث مع صاحبه فى امرها الا أنت ، ما رأيتك استحسنتها ولا نظرت اليها .

قال اوس : اسعد الله الملك ! انما تستحسن الحلة اذا كانت فى يد التاجر ـ اما اذا كانت على الملك ـ واشرق فيها وجهه فنظرى مقصود عليه لا عليها . فاسترجح عقله .

فلما عزموا على الانصراف قال لهم النعمان : اجتمعوا غدا اليّ فانى معط هذه الحلة لسيد العرب منكم ، فانصرف العرب عنه ، وكل يزعم ان البدلة ستكون غدا له وسيصبح سيد العرب .

فلما أصبحوا تزينوا بأفخر الملابس وتقلدوا بأحسن السيوف ، وركبوا اجود الخيل ، وحضروا الى النعمان ، وتأخر عنه أوس بن حارثة، فقال له صحبه : مالك لا تغدو مع الناس الى مجلس الملك ، فلعلك تكون صاحب الحلة ، فقال اوس : ان كنت سيد قومى فما أنا بسيد العرب ، وان حضرت ولم أفز بها انصرفت منقوصا ، وان كنت المطلوب لها فسيعرف مكانى ، فامسكوا عنه .

ونظر النعمان فى وجوه القوم فلم ير أوس بن حارثة بينهم ، فاستدعى بعض خاصته ، وقال له : اذهب لتعرف خبر اوس ، فمضى رسول النعمان واستخبر بعض اصحابه فأخبروه بمقالته ،فعاد الى النعمان فأخبره بذلك ، فبعث النعمان عليه ، وقال : احضر آمنا مما خفت عليه فحضر

اوس بثيابه التى حضر بها بالامس ، وكانت العرب قد استبشرت بتأخره خوفا من أن يكون آخذ الحلة •

فلما حضر وأخذ مجلسه ، قال له النعمان : انى لم أرك غيرت ثيابك فى يومك فالبس هـذه الحلة لتتجمل بها ، ثم خلعها والبسها أياه ، فاشتد ذلك على العرب وحسدوه وقالو : لا حيلة لنا فيها الا ان نرغب الشعراء بأن يهجوه بقبيح الفعل ، فانه لا يخفض رفعته الا الشعر فجمعوا فيما بينهم خمسمائة ناقة وآتوا بها الى رجل يقال جرول وقالوا له : خذ هذه واهج لنا اوس بن حارثة •

وكان جرول يومها اشعر العرب واقواهم هجاءاً ، فقال لهم يا قوم كيف اهجو رجلا حسيبا نسيبا لا ينكر بيته وكريما لا ينقطع عطاؤه وفيصلا لا يطغى على رأيه وشجاعا لا يضام نزيله ومحسنا لا أرى فى بيتى شيئا الا من اريحية فضله واحسانه •

فسمع بذلك بشر بن ابى حازم ـ وكان شاعرا ـ فرغب فى البذل وأخذ الابل ، وهجاه وذكر امه سعدى ، فسمع اوس بذلك ، فوجه فى طلبه ، فهرب وترك الابل ، فأتوا بها الى اوس بن حارثة ، فأخذها وشد فى طلبه ، وجعل بشر بن حازم يطوف فى احياء العرب يلتمس عزيزا يجيره على اوس ، وكل من قصده يقول : قد اجرتك الا من اوس بن حارثة فانى لا اقدر أن اجير عليه ـ وكان اوس قد بعث عليه العيون ، فرآه بعض من كان يرصده ، واتى به الى اوس ، فلما مثل بين يديه قال له ويلك اتذكر امى وليس فى عصرنا مثلها ؟ قال : قد كان ذلك أيها الامير ! فقال : والله لاقتلنك قتلة تحيا بها سعدى ـ يعنى امه •

ثم دخل اوس الى امه سعدى ، وقال : قد أتيتك بالشاعر الذى هجاك وقد آليت لاقتلنه قتلة تحيينَ بها ! قالت : يا بنى، او خير من ذلك؟

قال: وما هو؟ قالت: انه لم يجد ناصرا منك • ولا مجيرا عليك، وانا قوم لا نرى في اصطناع المعروف من بأس ، فبحقي عليك الا أطلقته ورددت عليه ابله ، واعطيته من مالك مثل ذلك ، ومن مالي مثله وارجعه الى اهله سالما فانهم آيسون منه •

فخرج لـه اوس ، وقال : ما تقـول انى فاعل بك ؟ قال : تقتلني لا محالة ! قال : افتستحق ذلك ؟ قال نعم ، قال : ان سعدى التى هجوتها قد اشـارت بكذا وكذا ، وأمر بحل كتافه وقال لـه : انصرف الى اهلك سالما وخذ ما أمرت لك به •

فرفع بشر يده الى السماء وقال اللهم أنت الشاهد على ألا أعـود الى شعرٍ الا أن يكون مدحا فى أوس به حارته •

٢ ـ ارحموا عزيزا ذل :

وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى طى فريقا من جنده ، يتقدمهم علي بن أبى طالب عليه السلام ، ففزع عدى بن حاتم وكان من أشد الناس عداءً لرسول الله فزع الى الشام ، فصبح على القوم واستاق خيلهم ونعمهم ورجالهم ونساءهم الى رسول الله •

فلما عرض عليـه الاسرى نهضت من بين القـــوم سفانة بنت حاتم فقالت : يا محمد ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فان رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بى أحياء العرب ، فأن أبى كان سيد قومه ، يفك العانى ، ويقتل الجانى ، ويحفظ الجار ، ويحمى الذمار ، ويفرج عن المكروب ، ويطعـم الطعام ، ويفشى السلام ويحمل الكل ، ويعين على نوائب الدهر ، وما أتاه احد فى حاجة فرده خائبا ، أنا بنت حاتم طى •

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : يا جارية ، هذه صفات المؤمن حقـا ولو كان أبوك مسلما لترحمنا عليـــه ، « خلوا عنها » فأن أباها كان يحب

مكارم الاخلاق ثم قال : (ارحموا عزيزا ذل ، وغنيا افتقر ، وعالما ضاع بين جهال) . وامتنَ عليها بقومها فأطلقهم تكريما لها . فاستأذنته فى الدعاء له : فأذن لها ، وقال لاصحابه : اسمعوا وعوا فقالت : أصاب الله ببرك مواقعه ، ولا جعل لك الى لئيم حاجة ، ولا سلب نعمة عن كريم قوم الا جعلك سببا فى ردها اليه .

فلما أطلقها رجعت الى أخيها عدى وهـــو بدومة الجندل فقالت له : يا أخى أيت هذا الرجل قبل أن تقلقك حبائله فأنى قـــد رأيت هدبا ورأيا سيغلب أهل الغلبة ، ورأيت خصالا تعجبنى : رأيته يحب الفقير ، ويفـك الاسير ، ويرحم الصغير ، ويعرف قدر الكبير ، وما رأيت أجود ولا أكرم منه ، فأن يكن نبيا فللسابق فضله ، وان يكن ملكا فلن نزالَ فى عز ملكه، فقَدِمَ عدى الى رسول الله فأسلم وأسلمت سفانة ومعهما طى كلها .

٣ ـ معاوية يعفو :

لما استعمل معاوية زياد بن أبيه على العراق كتب اليه : اما بعد فأنظر عبدالله بن هاشم بن عتبة ، فشد يده الى عنقه ، ثم ابعث به الي .

فحمله زياد من البصرة مقيدا مغلولا الى دمشق ، فادخل على معاوية ، وعنده عمرو بن العاص ، فقال معاوية لعمرى : هل تعرف هذا ؟ قال لا ! قال : هذا الذى يقول أبوه يوم صفين :

انى شريف النفس لمـــا اعتلا　　　وأكثر اللـــــؤم ما أقـــــلا
اعور يبغى أهـــــله ممـــــلا　　　قـد عالج الحيـــاة حتى مـــلا
لابد أن يَفُـــلَ أو يُغـــل　　　تيلهم بـــذى الكعوب تـــلا
لا خير عندى فى كرم ولى

فقال عمرو متمثلا :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى　　　وتبقى حزازات النفوس كما هيا

دونك يا أمير المؤمنين الضب االضب فاشخب أوداجه على أسباجه فلا ترده الى العراق ، فأنه لا يصبر على النفاق ، وهم أهل غدر وشقاق وأن له هوىً سيوديه ، ورأيا سيطغيه ، وبطانة ستغويه ، وجزاء سيئة سيئة مثلها .

فقال عبدالله : أما والله يا عمرو ، ان اقتل فرجل اسلمه قومه وأدركه يومه ، أفلا كان هذا منك ، أو تحيد عن القتال ونحن ندعوك الى النزال !

فقال عمرو : أما والله لقد وقعت ولا أحسبك منفلتاً من مخاليب امير المؤمنين .

فقال عبدالله : أما والله يا ابن العاص ، أنك لبطل في الرخاء ، جبان عند اللقاء ، غشوم اذا وُلِيتَ ، هيّاب اذا لقيتَ ، أفلا كان هذا منك ، اذ غمرك أقوام لم يعنفوا صغارا ولم يمزقوا كبارا ، لهم أيد شداد وألسنة حداد .

فقال عمرو : أما والله لقد رأيت أباك يومئذ تخفق أحشاؤه من الخوف

فقال عبدالله : يا عمرو انا قد بلوناك ومقالتك ، فوجدنا لسانك كذوبا غادرا ، خلوتَ بأقوام لا يعرفونك ، وجندٍ لا يسأمونك ، ولو رمت المنطق في غير أهل الشام لجحظ اليه عقلك ، ولتَلَجلَجَ لسانك ولاضطرب فخذاك اضطراب القعود الذي أثقله حمله :

فقال معاوية : ايهاً عنكما وأمر باطلاق عبدالله ، جريا على عادة العرب عندما يظفرون بأعدائهم ويعلنون التوبة أو الندم أو يتوخون أمراً أهم من قتلهم في سبيل المصلحة العامة . وهنا أنشد عمرو :

أمرتك أمـــراً حازمــاً فعصيتني وكان من التوفيق قتل ابن هاشم
أليس أبـوه ، يا معـــاوية الذي أعـان علياً يوم حــز الغلاصم
فلم تَنْثَنِ حتى جرت من دمائنا بصفين أمثـال البحـور الخضارم
وهذا ابنـه والمـرء يشبه شيخه ويوشك أن يقرع به سِنّ نادم

فقال عبدالله يجيبه :

معاوية ان المــرء عمراً أبت له ... ضغينته صــدر غشـها غـير نائـم
يرى لك قتلي يابن هنــد وانمـا ... يرى ما يرى عمرو ملوك الاعاجم
على انهـم لا يقتـلون أسـيرهم ... اذا منعت منــه عهــود المسالم
وقد كان منـا يوم صـفين نصرة ... عليك خبــاها هاشم وابن هاشـم
قضى ماانقضى منها وليس الذي مضى ... ولا مــا جـرى الا كأضغان حالم
فان تعف عني تعف عن ذى قرابة ... وان تـر قتلي تستحلُ محـارمى

فقال معاوية :

أرى العفو عن عليا قريش وسيلة ... الى الله فى اليوم العصيب القماطر
ولست أرى قتل العُداة ابن هاشم ... بادراك ثأرى فى لـؤى وعامـــر
بل العفو عنه بعد ما بان جــرمه ... وزلت به احدى الجدود العــوائر
فكان أبوه يوم صفين جمـــرة ... علينا فاردته رماح نهايرـالمهالك

٤ ـ هذا بغية امير المؤمنين :

أهدر أمير المؤمنين المنصور دم رجل ، كان يسعى بفساد دولتـه مع الخوارج من أهل الكوفة ، وجعل لمن دلّ عليه ، أو جاء به مائة الف درهم ثم أن الرجل ظهر فى بغداد ، فبينما هو يمشى متخفيا فى بعض نواحيها ، بصرَ به رجل من أهل الكوفة ، فعرفه ، فأخذ بمجامع ثيابه ، وقال:هذا بغية أمير المؤمنين •

فبينما الرجل على هذه الحال ، اذا سمع وقع حوافر الخيل ، فالتفت فاذا معن بن زائدة ، فاستغاثَ به وقال له ، أجرنى أجارك الله : فالتفت معن الى الرجل المتعلق به وقال له : ما شأنك وهـذا ؟ فقال له : أنه بغيـة أمير المؤمنين الذى أهدر دمه وجعل لمن دل عليه مائة الف درهم ، فقال دعه : وقال لغلامه : انزل عن دابتك وأحمل الرجل عليها •

فصاح الرجل المتعلق به وصرخ واستجار بالناس ، وقال : أيحـال

بيني وبين بغية أمير المؤمنين ؟ فقال له معن : اذهب فقـــل لأمير المؤمنين ، وأخبره أنه عندي .

فانطلق الرجل الى المنصور وأخبره فأمر المنصور باحضار معـــن في الساعة ، فلما وصل أمر المنصور الى معن ، دعا جميع أهل بيته ومواليـــه وأولاده وأقاربه وحاشيته ، وجميع من يلوذ به ، وقال لهم : أقسم عليكم ألا يصل الى هذا الرجل مكروه ابدا ، وفيكم عين تطرف .

ثم انه سار الى المنصور ، فدخل عليه وسلم ، فلم يرد عليه المنصـــور السلام . ثم قال له : يا معن ، أتتجرأ علي ؟ قال : نعم . يا أمير المؤمنين ! فقال المنصور : ونعم ايضا ؟ وقد اشتد غضبه ، فقال معن : يا أمير المؤمنين كم من مرة تقدم في دولتكم بلائي ، وحسن غنائي ؟ وكم من مرة خاطرت بدمي ؟ أفما رأيتموني أهـــلا لأن يوهب لي رجل واحـــد استجار بي بين الناس ، بوهمه اني ذو حضوة عند أمير المؤمنين ، فمر بما شئت ، وها أنذا بين يديك .

فأطرق المنصور ساعة ، ثم رفع رأسه ، وقد سكن ما به من الغضب ، وقال له : قد أجرناه لك يا معن ، فقال له معن : ان رأى أمير المؤمنين أن يجمع بين الأجرين فيأمر له بصلة أحياه ' وأغناه ' .

فقال المنصور : قد أمرنا له بخمسين الف درهم . فقال له معن يا أمير المؤمنين ان صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية ، وأن ذنب الرجل لعظيم ، فأجزل له صلته . قال : قد أمرنا له بمائة الف درهم . فقال معن : عجلهـــا يا أمير المؤمنين فأن خير البر عاجله ، فأمر بتعجيلها ، فحملها وانصرف ، وأتى منزله وقال للرجل :

يا رجل خذ صلتك ، والحق بأهلك ، وأياك ومخالفة الخلفاء في أمورهم بعد هذه .

٥ ـ أموى عند الرشيد :

رفع الى هارون الرشيد أن رجلا بدمشق من بقايا بنى أمية عظيم المال كبير الجاه ، مطاع فى البلد ، له جماعة وأولاد ومماليك يركبون الخيل ويحملون السلاح ، ويغزون الروم ، وانه سمح جواد ، وانه لا يؤمن منه ، فعظم ذلك على الرشيد .

فقال لخادمه منارة : اخرج الساعة وابدأ بالرجل فقيده وجئنى به ، واجعله فى مَحْمَلٍ تقعد أنت فى نصفه ويقعد هو فى الاخرى ، وتفقد داره ، واحفظ ما يقوله الرجل حرفا بحرف .

قال منارة : فأتيت بيت الرجل ، ودخلت بغير أذنه ، فلما رأى القوم ذلك سألوا بعض من معى عنى ، فلما صرت فى صحن الدار نزلت ، ودخلت مجلسا رأيت فيه قوما جلوسا ، فظننت أن الرجل فيهم ، فقاموا ورحبوا بى ، فقلت : أفيكم فلان ؟ قالوا : نحن أولاده وهو فى الحمام ، فقلت استعجلوه ، فمضى بعضهم يستعجله ، وأنا أتفقد الدار والاحوال والحاشية ، فوجدتها ماجت موجا كبيرا . فلم أزل كذلك حتى خرج الرجل بعد أن طال مكثه ، واسترِبتُ فى أمره ، واشتد خوفى وقلقى من أن يتوارى ، الى أن رأيت شخصا بزى الحمام يمشى فى صحن الدار وحوله جماعة كهول وأحداث وصبيان ، وهم أولاده وغلمانه ، فعلمت انه الرجل .

فجاء وسلم وسألنى عن أمير المؤمنين واستقامة أمر حضرته ، فأخبرته بما وجب وما قضى كلامه حتى جاؤا بأطباق فاكهة فقال : تقدم يا منارة وكل معنا فقلت : ما لي الى ذلك من سبيل ، فلم يعاودنى وأكل هو ومن معه ، ثم جاؤا بمائدة حسنة ، فقال : يا منارة ، ساعدنا على الاكل ، فامتنعت عنه فما عاودنى .

فلما فرغ من أكله قام الى الصلاة فصلى وأكثر من الدعاء والابتهال

ثم قال لي : ما أقدمك يا منارة ؟ فأخرجت كتاب أمير المؤمنين ، فدفعته اليه ففضه وقرأه ثم أمر أولاده بالانصراف وقال : هـــذا كتاب أمير المؤمنين ولست أقيم بعد نظرى فيه ساعة واحدة ، هات قيودك يا منارة ، فدعوت بها وقيدته وحملته، وركبت في الشق الآخر من المحمل، وسرت بالرجل، وليس معه أحد حتى صرنا بظاهر دمشق فبدأ يحدثني بانبساط حتى انتهينا الى بستان حسن في الغوطة ، فقال : لي : أترى هذا ؟ قلت نعم ، قال انه لي ، وفيـه من غرائب الاشجار كيت وكيت ثم انتهى الى آخر ، فقال مثـل ذلك ، ثم انتهى الى مزارع حسان وقرى ، فقال مثل ذلك .

فاشتد غيظي منه وقلت : ألست تعلم أن أمير المؤمنين أهمه أمرك حتى أرسل اليك من انتزعك من بين أهلك ومالك وولدك ، وأخرجك فـريدا مقيدا لا تدرى الى ما يصير اليه أمرك ، ولا كيف يكون ! وأنت فارغ القلب من هذا حتى تصف ضياعك وبساتينك ؟.

فقال : انا لله وانا اليه راجعون : اخطأت فراستي فيك ، لقد ظننتك أنك رجل كامل العقل ، وأنك ما حللت من الخلفاء هذا المحل ، الا لمـــا عرفوك بذلك ، فاذا بكلامك يشبه كلام العوام ، والله المستعان .

أما قولك في أمير المؤمنين وازعاجـــه واخراجه أياى الى بابه على صورتي هذه فاني على ثقة من الله عز وجل الذى بيده ناصية أمير المؤمنين ، ولا يملك أمير المؤمنين لنفسه نفعـــا ولا ضرا الا بأذن الله عز وجل ، ولا ذنب لي عند أمير المؤمنين أخافه ، وبعد ، اذا عـرف أمير المؤمنين أمـرى ، وعرف سلامتي وصلاح ناحيتي سرحني مكرما ، فأن الحساد والاعـــداء رموني عنده بما ليس فيّ وتقولون علي الاقاويل ـ حسدا منهم ـ فلا يستحل دمي فيردني معززا ويقيمني في بلاده مبجلا ، وان كان قد سبق في علم الله عز وجل انه يبدر الي منه بادرة سوء ، وقد حضر أجلي ، وكان سفك دمي

على يده ، فانى أحسن الظن بالله الذى خلق ورزق ، وأجار وأمان ، وأن الصبر والرضا والتسليم الى من يملك الدنيا والآخرة ، وقد كنت أحسب أنك تعرف هذا ، فاذ عرفت مبلغ فهمك فانى لا أكلمك بكلمة واحدة حتى يفرق بيننا أمير المؤمنين ان شاء الله تعالى .

قال منارة : ثم أعرض عنى فما سمعت منه لفظة غير التسبيح أو طلب المال أو الحاجة حتى شارفنا الكوفة .

ودخلت على الرشيد ، وقبلت الارض بين يديه ووقفت ، فقال : هات ما عندك يا منارة ، فسقت له الحديث من أوله الى آخره ، فلما جئت على آخره قال : صدق الله ! ما هذا الرجل الا محسودُ النعمة مكذوب عليه ، ولعمرى لقد أزعجناه وآذيناه وروعنا أهله ، فبادر بنزع قيوده وأئتنى به، وأدخلته على الرشيد ، فما رآه حتى رأيت ماء الحياء يجول فى وجه الرشيد ، فدنا الاموى وسلم بالخلافة ووقف ، فرد عليه الرشيد ردا جميلا وأمره بالجلوس فجلس ، فأقبل عليه الرشيد وسأله عن حاله ، ثم قال له : بلغنا عنك فضل هيئة وأمور أحببنا معها أن نراك ونسمع كلامك ، ونحسن اليك فاذكر حاجتك ، فأجاب الاموى جوابا جميلا ، وشكر ودعا ثم قال : يا أمير المؤمنين أن تردنى الى بلدى وأهلي وولدى ، قال : نفعل ذلك ، ولكن سل ما تحتاج اليه فى مصالح جاهك ومعاشك ، فأن مثلك لا يخلو أن يحتاج شيئا من هذا ، فقال يا أمير المؤمنين عمالك منصفون ، وقد استغنيت بعدلهم عن مسألتى ، فأمورى مستقيمة وكذلك أهل بلدى بالعدل الشامل فى ظل أمير المؤمنين .

فقال الرشيد : انصرف محفوظا الى بلدك ، واكتب الينا بأمر ان عرض لك فودعه الاموى وانصرف .

قال منارة : فلما خرج قال الرشيد : يا منارة احمله من وقتك وسر به

راجعا كما جئت به ، حتى اذا وصلته الى مجلسه الذى أخذته منه فدعه وانصرف •

٦ ـ أفضل الاصحاب :

كان محمد بن حميد الطوسى على غذائه يوما مع جلسائه واذا بصيحة عظيمة على باب داره ، فرفع رأسه وقال لبعض غلمانه ما هذه الضجة ؟ من كان على الباب فليدخل •

فخرج الغلام ثم عاد اليه ، وقال : ان فلانا أخذ وأوثق بالحديد ، والغلمان ينتظرون أمرك فيه ، فرفع يده من الطعام فقال رجل من جلسائه : الحمد لله الذى أمكنك من عدوك ، فسبيله أن تسقى الارض من دمه ، وأشار كل من جلسائه عليه بقتله • ثم قال : يا غلام فك عنه وثاقه ، ويدخل الينا مكرما •

فادخل عليه رجل لا دم فيه ، فلما رآه هش اليه ، ورفع مجلسه وأمر بتجديد الطعام ، وبسطه بالكلام الطيب حتى انتهى الطعام ثم أمر له بكسوة حسنة ، وصلة ، وأمر برده الى أهله مكرما عزيزا ولم يعاتبه على جرم ولا جناية •

ثم التفت الى جلسائه وقال لهم : ان أفضل الاصحاب من حَضَّ الصاحب على المكارم ، ونهاه عن ارتكاب المآثم ، وحسن لصاحبه أن يجازى الاحسان بضعفه ، والاساءة بصفحة ، انا اذا جازينا من أساء الينا بمثل ما أساء فأين موقع الشكر على النعمة فيما أتيح من الظفر ! انه ينبغى لمن حضر مجالس الملوك أن يمسك الا عن قول سديد وأمر رشيد فأن ذلك أدوم للنعمة، واجمع للألفة، ان الله تعالى يقول : «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ، يصلح لكم أعمالكم ، ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما » •

٧ ـ ابراهيم بن المهدى والمأمون :

قال الواقدى : كان ابراهيم بن المهدى قد ادعى الخلافة لنفسه فى بلاد الرى وملكها سنة وأحد عشر شهرا واثنى عشر يوما وله أخبار كثيرة احسنها عندى ما حكاه لي قال : لما دخل المأمون الرى فى طلبى ، وجعل لمن أتاه بى مائة ألف درهم ، خفت على نفسى وتحيرت فى امرى ، فخرجت من دارى وقت الظهيرة ، وكان يوما صائفا ، وما ادرى أين اتوجه ، فوقفت فى شارع نافذ وقلت (انا لله وانا اليه راجعون) ان عدت على أثرى يرتاب فى أمرى •

ثم رأيت فى صدر الشارع رجلا قائما على باب داره فتقدمت اليه وقلت : هل عندك موضع اقيم فيه ساعة من نهار ؟ فقال نعم وفتح الباب فدخلت الى بيت نظيف فيه بسط ووسائد جلود الا انها نظيفة ، ثم اغلق الباب عليّ ومضى ، فتوهمته قد سمع الجعالة فىّ وانه خرج ليدل عليّ ، فبقيت على مثل النار •

وبينما أنا كذلك اذ أقبل ومعه حمال عليه كل ما يحتاج اليه من خبز ولحم وقدر جديدة وجرة نظيفة ، وكيزان جدد ، فحط عن الحمال ثم التفت اليّ وقال : جعلنى الله فداك أنا رجل حجام وانا أعلم انك تتقذرنى لما اتولاه من معيشتى فشأنكَ بما لم تقع عليه يد •

وكان بى حاجة الى الطعام ، فطبخت لنفسى قدرا ما أذكر انى أكلت مثلها ولما قضيت أربى من الطعام قال : يا سيدى : ليس من قدرى أن أسألك الغناء ، فان رأيت أن تشرفنى فلكَ علو الرأى فقلت من أين عرفت انى أحسن الغناء فقال : سبحان الله • مولانا اشهر من ذلك ، أنت ابراهيم ابن المهدى خليفتنا بالامس ، الذى جعل المأمون لمن دل عليه ألف درهم فلما قال ذلك : عظم فى عينى وثبتت مروءته عندى فناولته العودَ وأصلحته وقد مر بخاطرى فراق أهلي وولدى فقلت :ـ

وعسى الذى أهدى ليوسف أهله — وأعـزه فى السجن وهو أسـيـر
أن يستجيب لنا فيجمـع شملنـا — والله رب العـالمـين قـديـر

فاستولى عليه الطرب المفرط ، وطاب عيشه كثيرا ، ومن شدة سروره وطربه قال : يا سيدى أتأذن لى أن اغنى ما سنح بخاطرى ، وان كنت من غير أهل هذه الصناعة ، فقلت : هذا زيادة فى أدبك ومروءتك فأخذ العود وغنى وقال :

شـكونا الى احبابنا طـول ليلنـا — فقالوا لنا : ما أقصر الليل عندنـا
وذاك لان النوم يغشـى عيونهـم — سريعا ولا يغشى لنا النوم أعينـا
اذا ما دنا الليل المضر بذى الهوى — جزعنا وهـم يستبشرون اذا دنـا
فلو أنهم كانوا يلاقون مثل مـا — نلاقى لكانوا فى المضاجع مثلنـا

فو الله لقد أحسست بالبيت قد سار بى ، وذهب عنى ما كان بى من الهلع وسألته أن يغنى مرة ثانية فغنى :

تعيرنـا انـا قليـل عـديدنـا — فقلت لها : ان الكـرام قليـل
وما ضـرنا انا قليـل وجارنـا — عزيز وجـار الاكثرين ذليـل
وانا لقوم لا نرى القتـل سبة — اذا ما رأته عامـر وسـلول
يقرب حب المـوت آجالنا لنا — وتكرهــه آجالهـم فتطـول

فداخلنى من الطرب ما لا مزيد عليه ، ثم عاجلنى النوم فلم أستفق الا بعد الغروب .

فعادنى فكرى فى نفاسة هذا الحجام وحسن أدبه وظرفه فقمت وغسلت وجهى وايقظته وأخذت خريطة كانت صحبتى ، فيها دنانير لها قيمة فرميت بها اليه وقلت له : استودعتك الله ، فانى ماضٍ من عندك وأسألك أن تنفق ما فى هذه الخريطة ، ولك عندى المزيد ان أمنت من خوفى .

فأعادها علىّ منكرا ، وقال : يا سيدى ! ان الصعاليك منا لا قدر لهم

عندك ، أآخذ على ما وهبنيه الزمان من قربك وحلولك عندى ثمناً • والله لئن راجعتنى فى ذلك لاقتلن نفسى ، فأعدت الخريطة الى كمى وقد أثقلنى حملها •

ولما هممت بالخروج قال لى : يا سيدى ، ان هـــذا المكان أخفى لك من غيره • وليس فى مؤنتك علىّ ثقل ، فأقم عندى الى أن يفرج الله عنك ، فرجعت وسألته أن ينفق من تلك الخريطة فلم يفعل • فأقمت عنده أياما على تلك الحالة فى ألذّ عيش ثم تذممت فى الاقامــة عنده واحتشمت من التثقيل عليه ، فتركته ـ وقد مضى يجدد لنا حــالا • وقمت فتزينت بزى النساء وخرجت، فلما سرت فى الطريق داخلنى من الخوف أمر شديد وجئت لاعبر الجسر ، فاذا انا بموضع مرشوش بالماء فأبصرنى جندى ممن كــان يخدمنى فعرفنى وقال : حاجة المأمون • ثم تعلق بى ، فدفعته هو وفرسه ، فرميتها فى ذلك الزلق فصار عبرة، وتبادر الناس اليه فاجتهدت فى المشى حتى قطعت الجسر، ودخلت شارعا فوجدت باب دار وامرأة واقفة فى دهليز، فقلت: يا سيدة النساء ، احقنى دمى ، فانى رجل خائف • فقالت : عــلى الرحب والسعــة واطلعتنى الى غرفة مفروشة ، وقدمت لى طعاما ، وقالت : ليهدأ روعك فما علم بك مخلوق ، واذا الباب يدق دقا عنيفا فخرجت وفتحت الباب ، واذا بصاحبى الذى دفعته على الجسر ، وهو مشدوخ الرأس ودمــه عــلى ثيابه وليس معه فرس ! فقالت : يا هذا ما دهاك ؟ فأخبرهــا بمــا وقع له منى ، فأخرجت خرقا ، وعصبته بها ، وفرشت له فنام عليلا ، ثم طلعت الىّ وقالت أظنك صاحب القصة ، فقلت : نعم •

فقالت : لا بأس عليك ، ثم جددت لى الكرامة وأقمت عندها ثلاثا ، ثم قالت لى : اننى خائفة عليك من هذا الرجل وأخشى أن ينم بك ، فانج بنفسك • فسألتها المهلة الى الليل ففعلت ، فلما دخل الليل لبست زى النساء وخرجت من عندها ، فأتيت الى بيت مولاة كانت لنا ، فلمــا رأتنى بكت وتوجعت

وحمدت الله على سلامتى ، وخرجت كأنها تريد السوق للاهتمام بالضيافة فظننت خيرا ، فما شعرت الا واحد رجال المأمون بخيله ورجاله ، والمولاة معه حتى سلمتنى اليه فرأيت الموت عيانا وحملت بالزى الذى أنا فيه الى الى المأمون . فجلس مجلسا عاما ، وأدخلنى اليه ، فلما مثلت بين يديه سلمت عليه بالخلافة فقال : لا سلم الله عليك . ولا حياك ولا رعاك ، فقلت له : على رسلك يا أمير المؤمنين : ان ولىّ الثأر محكم بالقصاص والعفو أقرب للتقوى ، وقد جعلك الله فوق كل عفو ، كما جعل ذنبى فوق كل ذنب ، فان تأخذ فبحقك ، وان تعف فبفضلك ثم أنشدت :

ذنبى اليك عظيم وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أولا فاصفح بحلمك عنه
ان لم أكن فى فعالى من الكرام فكنه

فرفع الىّ رأسه فبدرته وقلت :

أتيت ذنبا عظيما وأنت للعفو أهل
فان عفوت فحسن وان جزيت فعدل

فرق المأمون واستروحت روائح الرحمة من شمائله ثم أقبل علىّ ابنه العباس وأخوه أبو اسحاق وجميع من حضر من خاصته فقال : ما ترون فى أمره . فكل أشار بقتلى الا انهم اختلفوا فى طريقة القتل كيف تكون . ثم قال المأمون لاحمد بن أبى خالد : ما تقول يا أحمد ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ان تقتله وجدنا مثلك من قتل مثله ، وان عفوت عنه لم نجد مثلك من عفا عن مثله . فنكس المأمون رأسه وجعل ينكت فى الارض وأنشد متمثلا .

قومى هم قتلوا اميم أخى فاذا رميت رميت بعينى سهمى

فكشفتُ المقنعة عن رأسى ، وكبرت تكبيرة عظيمة ، وقلت : عفا ـ والله ـ عنى أمير المؤمنين . فقال المأمون : لا بأس عليك ياعم ! فقلت :

ذنبي يا أمير المؤمنين أعظم من أن اتفوه معه بعذر ، وعفوك أعظم من أن أنطق معه بشكر ، ولكن أقول :

ان الذى خلق المكارم حازها　　فى صلب آدم للامام السابع
ملئت قلوب الناس منك مهابة　　وتظل تكلؤهم بقلب خاشع
ما ان عصيتك والغواة تمدنى　　أسبابها الابنية طائع
فعفوت عمن لم يكن عن مثله　　عفو ولم يشفع اليك بشافع
ورحمت أطفالا كأفراخ القطا　　وحنين والدة بلب جازع

فقال المأمون : لا تثريب عليك اليوم ، قد عفوت عنك ، ورددت عليك مالك وضياعك فقلت :

رددت مالى ولم تبخل علىّ به　　وقبل ردك مالى قد حقنت دمى
فلو بذلت دمى - أبغى رضاك به -　　والمال ، حتى اسل النعل من قدمى
ما كان ذاك سوى عادية رجعت　　اليك لولم تعرها كنت لم تُلَم
فان جحدتك ما أدليت من كرم　　انى الى اللؤم أولى منك بالكرم

فقال المأمون : ان من الكلام لدرا ، وهذا منه ، وخلع علىّ وقال : يا عم ان أبا اسحاق والعباس أشارا بقتلك ، فقلت : انهما نصحاك يا أمير المؤمنين ! ولكن اثبتَ بما أنت أهله ، ودفعت ما خفتُ بما رجوت ، فقال المأمون : أمتَّ حقدى بحياة عذرك وقد عفوت عنك ولم اجرعك مرارة امتنان الشافعين ، ثم سجد طويلا ورفع رأسه وقال : يا عم أتدرى لِمَ سجدتُ ؟ قلت شكرا لله الذى أظفرك بعدو دولتك . فقال : ما أردت هذا ، ولكن شكرا لله الذى الهمنى العفو عنك ، فحدثنى الآن حديثك ، فشرحت له ما كان من أمرى ، فأمر باحضار امرأة الجندى وأدخلها الى القصر وقال : هذه امرأة عاقلة تصلح للمهمات ، وأحضر الحجام فقال له: لقد ظهر من مروءتك ما يوجب المبالغة فى اكرامك ، ثم خلع عليه واجرى له الف دينار فى كل عام ، ولم يزل فى تلك النعمة الى أن مات .

٨ ـ المأمون يعفو عن الحسين بن الضحاك :

قال محمد بن أبي الازهر : كنت بين يدى المأمون واقفا فأدخل عليه ابن البواب الحاجب رقعة فيها أبيات ، وقال : ان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى انشادها ! فظنها له ، فقال هات فانشدها :

أجرنى فانى قد ظمئت الى الوعد ‏ متى تنجز الوعد المؤكد بالعهد ؟
أعيذك من خلق الملوك وقد بدا ‏ تقطع انفاس عليك من الوجد
ايبخل فرد الحسن عنى بنائل ‏ قليل ، وقد أفردته بهوى فرد

الى أن بلغ الى قوله :

رأى الله عبدالله خير عباده ‏ فملكه والله أعلم بالعبد
الا انما المأمون للناس عصمة ‏ مميزة بين الضلالة والرشد

فقال المأمون : أحسنت يا عبدالله ! فقال : يا أمير المؤمنين بل أحسن قائلها . قال : ومن ؟ قال : عبدك الحسين بن الضحاك ، فغضب ثم قال : لا حيا الله من ذكرت ولا بياه ولا قربه ولا انعم عليه به عينا أليس هو القائل :

أعينى جواد وابكيا لى محمدا ‏ ولا تذخرا دمعا عليه واسعدا
فلا تمت الاشياء بعد محمد ‏ ولا زال شمل الملك فيه مبددا
ولا مرحَ المأمونُ بالملك بعده ‏ ولا زال فى الدنيا طريدا مشردا

هذا بذاك ولا شيء له عندنا ، فقال له ابن البواب فأبى فضل أمير المؤمنين ، وسعة حلمه ، وعادته فى العفو .

فأمره باحضاره ، فلما حضر سلم فرد عليه ردا جافيا ثم أقبل عليه فقال: اخبرنى عنك . هل عرفت يوم قتل أخي محمد ـ رحمه الله ـ هاشمية قتلت أو هتكت ؟ قال : لا . قال فما معنى قولك :

وسربُ ظباءٍ من دؤابة هاشم ‏ هتفن بدعوى خير حى وميت
ارد يداً منى اذا ما ذكرته ‏ على كبد حرى وقلب مفتت

فلا بات ليل الشامتين لغبطـــــه   ولا بلغـــت آمالهـــم ما تمنت

فقال : يا أمير المؤمنين : لوغة غلبتنى ، وروعة فاجأتنى ، ونعمة فقدتها بعد أن غمرتنى ، واحسان شكرته فأنطقنى وسيد فقدته فأقلقنى ، فان عاقبت فبحقك ، وان عفوت بفضلك .

فدمعت عينا المأمون وقال : لقد عفوت عنك ، وأمرت برد رزقك ، واعطائك ما فات منها ، وجعلت عقوبة ذنبك امتناعى من استخدامك .

٩ ـ ان قريشا تحدث انك من أحلمها :ـ

كتب معاوية الى واليه بالكوفة أن يحمل اليه أم الخير بنت الحريش البارقية برحلها ، وأعلمه انه مجازيه بقولها فيه : بالخير خيرا وبالشر شرا .

فلما ورد عليه كتابه ، ركب اليها فأقرأها اياه ، فقالت : أما أنا فغير زائفة عن طاعة، ولا معتلة بكذب ، ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لامور تختلج فى صدرى .

فلما حملها وأراد مفارقتها ، قال لها : يا أم الخير ، ان أمير المؤمنين كتب الىّ : انه يجازينى بقولك فيّ بالخير خيرا وبالشر شرا ، فما عندك ؟ قالت : يا هذا ، لا يطمعنك برك بى أن اسرك بباطل، ولا تؤنسنّك معرفتى بك أن أقول غير الحق .

فسارت خير مسير ، حتى قدمت على معاوية ، فانزلها مع حريمـــه ثلاثا ثم اذن لها فى اليوم الرابع ، وعنده جلساؤه ، فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، قال لها : وعليك السلام يا ام الخير ، وبالرغم منكِ دعوتينى بهذا الاسم ، قالت : مهِ يا أمير المؤمنين لكل أجل كتاب .

قال : صدقت ، فكيف حالك يا خالة ؟ وكيف كنتِ فى مسيرك ؟ قالت : لم أزل فى عافية وسلامة حتى صرت اليك ، فأنا فى عيش أنيق عند

ملك رقيق ، قال معاوية : بحسن نيتي ظفرت بكم ، وأعنتُ عليكـــم ! قالت : يا أمير المؤمنين اعيذك بالله من دحض المنال وما تردى عاقبته قال : ليس لهذا أردناك ، قالت : انما أجرى فى ميدانك ، فاسأل عما بدا لك ! قال : اخبريني كيف كان كلامك يوم قتل عمار بن ياسر ، قالت: لم أكن والله زرته قبل، ولا رويته بعد ، وانما كانت كلمات نفثهن لسانى حين الصدمة، فان شئت أن أجد لك مقالا غير ذلك فعلت ، قال : لا أشاء ذلك •

ثم التفت الى أصحابه فقال : أيكم يحفظ كلام أم الخير ؟ فقال رجل من القوم : أنا أحفظه يا أمير المؤمنين كحفظى سورة الحمد ، قال : هاته ، قال : نعم ، كأنى بها يا أمير المؤمنين فى ذلك اليوم عليها برد زبيدى كثيف الحاشية وهى على جمل أرمك ، وقد احيط حولها حواء ، وبيدها سوط منتشر الضفر وهى كالفحل يهدر فى شقشقته تقول :

(يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم ، ان الله قد أوضح الحق ، وأبان الدليل ، ونور السبيل ، ورفع العلم ، فلم يدعكم فى عمياء مبهمة ، ولا سوداء مدلهمة ، فالى أين تريدون رحمكم الله ! أفرارا عن أمير المؤمنين أم فرارا من الزحف ، أم رغبة عن الاسلام ، أم ارتدادا عن الحق ، أما سمعتم قول الله عز وجل (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) •

ثم رفعت رأسها الى السماء وهى تقول :

قد عيل الصبر ، وضعف اليقين ، وانتشر الرعب ، وبيدك يا رب ازمة القلوب • فاجمع الكلمة على التقوى ، وألف القلوب على الهدى ، واردد الحق الى أهله ، هلموا رحمكم الله الى الامام العادل ، والوصى الوفى ، والصديق الاكبر ، انها إحن بدرية ، وأحقاد جاهلية ، وضغائن أُحدية ، وثب بها معاوية حين الغفلة ليدرك بها ثارات بنى عبد شمس •

ثم قالت : (قاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون) صبرا

معشر المهاجرين والانصار ، قاتلوا على بصيرة من ربكم ، وثبات من دينكم، وكأني بكم غدا قد لَقِيتُم أهل الشام كحمر مستنفرة فرت من قسورة، لا تدرى أين يسلك بها من فجاج الارض ، باعوا الآخرة بالدنيا ، واشتروا الضلالة بالهدى ، وباعوا البصيرة بالعمى ، وعما قليل ليصبحن نادمين حتى تحل بهم الندامة ، فيطلبون الاقالة : انه والله فى ضل عن الحق وقع فى الباطل ، ومن لم يسكن الجنة نزل النار .

أيها الناس ، ان الاكياس استقصروا عمر الدنيا فرفضوها واستبطؤا مدة الآخرة فسعوا لها : فالله الله أيها الناس ، قبل أن تبطل الحقوق، وتعطل الحدود ، ويظهر الظالمون ، وتقوى كلمة الشيطان ، فالى أين تريدون - رحمكم الله - عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته وابى ابنيه ! خلق من طينته وتوزع عن نبعته ، وخصه بسره وجعله باب مدينته ، فلم يزل كذلك يؤيده الله بمعونته ، ويمضى على سنن استقامته ، وهو مفلق الهام ومكسر الاصنام ، اذ صلى والناس مشركون ، واطاع والناس مرتابون ، فلم يزل كذلك حتى قتل مبارزى بدر ، وأفنى أهل احد ، وفرق جمع هوازن ، فيالها وقائع زرعت فى قلوب قوم نفاقا وردة وشقاقا ، وقد اجتهدتُ فى القول ، وبالغت فى النصيحة ، وبالله التوفيق ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فقال معاوية : والله يا ام الخير ما اردت بهذا الا قتلى ! والله لو قتلتك ما لامنى أحد بذلك .

فقالت : والله ما يسوءنى يا ابن هند ان يجرى الله ذلك على يدى من يسعدنى الله بشقائه ، قال : هيهات ! يا كثيرة الفضول ! ما تقولين فى عثمان ابن عفان ؟ قالت : وما عسيت أن أقول فيه ! استخلفه الناس وهم كارهون وقتلوه وهم راضون ، فقال : ايها يا ام الخير ، هذا ثناؤك الذى تثنين ؟ قالت:

لكن الله يشهد وكفى بالله شهيدا ، ما أردت بعثمان نقصا ، ولقد كان سباقا الى الخيرات ، وانه لرفيع الدرجات .

قال : فما تقولين فى طلحة بن عبيد الله ؟ قالت : وما عسى أن أقول فى طلحة ؟ اغتيل من مأمنه ، واتى من حيث لم يحذر ، وقد وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، قال : فما تقولين فى الزبير ؟ قالت : يا هذا لا تدعنى كرجيع الصبيغ يُعرَكُ فى الركن ، قال : حقا لتقولنَّ ذلك ، وقد عزمت عليك قالت : وما عسيت أن أقول فى الزبير ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، ولقد كان سباقا الى كل مكرمة فى الاسلام ، وانى اسألك بحق الله يا معاوية ، فان قريشا تُحَدِّثُ انك من احلمها ، ان تسعنى بفضل حلمك ، وان تعفينى من هذه المسائل ، وامض لما شئت من غيرها ، قال : نعم ، وكرامة قد اعفيتك ، وردها مكرمة الى بلدها .

١٠ ـ مثلك من قدر فعفا :

لما وليَ معاوية الخلافة ، وانتظمت اليه الامور ، وامتلأت منه الصدور ، واذعن لامره الجمهور ، وساعده الله فى مراده ، استحضر ليلة خواص أصحابه وذاكرهم وقائع أيام صفين ، ومن كان يتولى كبر الكريهة من المعروفين ، فانهمكو فى القول الصحيح والمريض ، وآل حديثهم الى من كان يَجتَهِدُ فى ايقاد نار الحرب عليهم بزيادة التحريض فقالوا : امرأة من أهل الكوفة تسمى الزرقاء بنت عدى ، كانت تعتمد الوقوف بين الصفوف ، وترفع صوتها صارخة : يا أصحاب عليّ ، تسمعهم كلاما كالصوارم ، مستحثة لهم بقول لو سمعه الجبان لقاتل ، والمدبر لاقبل والمسالم لحارب ، والفار لكر ، والمتزلزل لاستقر .

فقال لهم معاوية : ايكم يحفظ كلامها ؟ قالوا : كلنا نحفظ قال : فما

تشيرون عليّ فيها ؟ قال نشير بقتلها ، فانها أهل لذلك فقال لهم معاوية : بئس ما اشرتم به ، وقبحا لما قلتم ، ايحسن أن يشتهر عنى انى بعدما ظفرت وقدرت قتلت امرأة قد وفت لصاحبها • انى اذن للئيم، لا والله لا فعلت ذلك أبدا •

ثم دعا بكاتبه فكتب كتابا الى وليه بالكوفة : أن انفذ الى الزرقاء بنت عدى ، مع نفر من عشيرتها وفرسان قومها ، ومهد لها وطاءاً ليناً ومركبا ذلولا :

فلما ورد عليه الكتاب وقرأه عليها ، فقالت بعد قراءة الكتاب : ما أنا بزائغة عن الطاعة • فحملها فيهودج ، وجعل غشاءه خزاً مبطناً ثم احسن صحبتها •

فلما قدمت ، على معاوية قال لهـا : مرحبا واهلا ، خير مقدم قدمه وافد • كيف حالك يا خالة ؟ وكيف رأيت سيرك ؟ قالت ربيبة بيت او طفلا ممهدا ، فقال : بذلك أمرناهم ، هل تعلمين لم بعثت اليك ؟ قالت : وانى لى بعلم ما لم اعلم ؟ لا يعلم الغيب الا الله سبحانه وتعالى قال : الست الراكبة الجمل الاحمر يوم صفين ؟ وانت بين الصفوف توقدين نار الحرب وتحرضين عـلى القتال ؟ قالت : نعم ، قال : فما حملك على ذلك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، انه قـد مات الرأس وبتر الذنب ، ولن يعود ما ذهب ، والدهر ذو غير ، ومن تفكر ابصر والامر يحدث بعده الامر •

فقال : صدقت ، فهل تعرفين كلامك وتحفظين ما قلت ! قالت لا والله ولقد نسيته ، قـال : لله ابوك ، فلقد سمعتك تقولين أيهـا الناس ، ارعووا وارجعوا انكم اصبحتم فى فتنة غشتكم جلاليب الظلم ، و جـاءت بكم عن قصد المحجةفيالها فتنةعمياء صماء بكماء لا تسمع لناعقها ولا تسلس لقائدها،

ان المصباح لا يضيىءفى الشمس ، وان الكواكب لا تنير مع القمر ،

وان البغل لا يسبق الفرس ، ولا يقطع الحديد الا بالحديد ألا من استرشدنا ارشدناه ومن سألنا اخبرناه .

أيها الناس ان الحـــق كان يطلب ضالته فاصابها ! فصبرا يا معشـــر المهاجرين والانصار على الغصص ! فكأنكم وقد التأم شمل الشتات وظهرت كلمة العدل ، وغلب الحق باطله ، فانه لا يستوى المحق والمبطل . افمن كان مؤمنا كما كان فاسقا ؟ لا يستوون ، فالنزل النزال ، والصبر الصبر ! الا ان خضاب النساء الحناء ، وخضاب الرجال الدماء . والصبر خـــير الامور عاقبة . ائتوا الحرب غير ناكصين فهذا يوم له ما بعده .

ثم قال : يا زرقاء اليس هذا قولك وتحريضك ؟ قالت : لقـــد كان ذلك ! قال : لقد شاركت عليا فى كل دم سفكه : فقالت أحسن الله بشارتك يا أمير المؤمنين ، وادام سلامتك . فمثلك من بشر بخير وسر جليسه .

فقال معاوية : اويســـرك ذلك ؟ قالت : نعم . والله لقد سرنى قولك وانى لى بتصديق الفعل ؟ فضحك معاوية وقال : والله لوفاؤكم له بعد موته اعجب عندى من حبكم له فى حياته ، اذكرى حاجتـــك ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين انى آليت على نفسى ألا أسأل أحدا بعده ابدا . فقال : قد اشار عليّ بعض من عرفك بقتلك . فقالت : لؤم من المشير ، ولو اطعته لشاركته، قال : كلا ، بل نعفو عنك ونحسن اليك ونرعاكِ ، فقالت : يا أمير المؤمنين كرم منك ومثلك من قدر فعفا ، وتجاوز عمن اساء ، واعطى من غـــير مسألة فاعطاها كسوة ودراهم ، واقطعها ضيعة تغل لها فى كل سنة عشرة آلاف درهم ، واعادها الى وطنها سالمة ، وكتب الى والى الكوفة بالوصية بها وبعشيرتها .

خامساً ـ الصراحة والجرأة الادبية

ومن صفاتنا العربية الاصيلة الصراحـة في القول والجرأة في ذكر الحقيقة مهما كانت نتائجها مرة وهي ولا شك ضرب من ضروب الشجاعة الادبية ونسطر ادناه بعض الامثلة على ذلك .

١ ـ واعظ الرشيد :

قال الفضل بن الربيع حدثني هارون الرشيد يوما فقال : وقد حاكَ في نفسي شيء فانظر لي رجلا ! فقلت ها هنا سفيان بن عينيه فقال : امضِ بنا اليه ، فأتيناه فقرعت الباب ، فقال : من ذا ؟ فقلت : أَجِبْ أمير المؤمنين فخرج مسرعا ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لو ارسلت الي لاتيتك ! فقال له : لا بأس عليك . وحادثه ساعة ثم قال لـه : هل عليك دين ؟ فقال : نعم ، فقال يا عباسيُ اقض دينه .

فلما خرجنا قال لي : ما اغنى صاحبـك عني شيئاً ، انظرلي رجـلا اسأله قلت : ها هنا عبدالرزاق بن همام ! قال امضِ بنا اليه فأتيناه فقرعت الباب فقال : من هذا ؟ قلت أَجِبْ أمير المؤمنين ! فخرج مسرعا ، فقال : يا أمير المؤمنين لو أرسلت الي لاتيتك:فقال خذ لما جئناكا له ، فحادثه ساعة. ثم قال له : أعليك دين ؟ قال نعم ! قال : يا عباسيُ اقضِ دينه .

فلما خرجنا قال : ما اغنى صاحبك عني شيئا ، انظرلي رجلا اسأله ! قلت ها هنا الفضل بن عياض ، قال : امضِ بنا اليـه ، فاتيناه فاذا هو قائم يصلي ، ويتلو آية من القرآن يرددهـا قال : اقرع الباب ، فقرعت الباب ، فقال : من هذا ؟ قلت : أَجِبْ أمير المؤمنين ! فقال : مالي ولامير المؤمنين ! فقلت : سبحان الله اما عَلَيْكَ طاعته؟فنزل وفتح الباب ثم ارتقى الى الغرفة، فأطفأ السراج ، ثم التجأ الى زاوية من زوايا البيت ، فدخلنا فجعلنا نجول عليه بايدينا ، فسبقت كف هارون اليه قبلي .

فقال : يا لها من كف ! ما الينهـا ! ان نجت غدا من عذاب الله عز وجل . فقلت في نفسي ليكلمه الليلة بكلام من قلب تقي ، فقال له : ان عمر بن عبدالعزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبدالله ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال : لهم اني قد ابتليت بهذا البلاء فاشيروا علي – فعد الخلافة بلاءا وعددتها انت واصحابك نعمة –

فقال له سالم بن عبدالله : ان اردت النجاة من عذاب الله فصم الدنيا وليكن ، فطارك منها الموت ، وقال محمد بن كعب : ان اردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المؤمنين عندك أبا ، واوسطهم عندك أخا ، واصغرهم عندك ولداً فوقر أباك ، واكرم اخاك ، وتحنن على ولدك .

وقال له رجاء بن حيوة : ان اردت النجـاة غدا من عذاب الله عـز وجل فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك ، واكره لهم ما تكره لنفسك ، ثم مت اذا شئت واني اقول لك : اني اخاف عليك أشد الخوف يوم تزل الاقدام فهـل معك – رحمك الله – مثل هؤلاء ؟ او من يشير عليك بمثل هـــذا ؟ فبكى هارون بكاءاً شديدا حتى غشي عليه فقلت له : ارفق يا أمير المؤمنين – رحمك الله – فقال : يا أمير المؤمنين ! بلغني ان عاملا لعمر ابن عبدالعزيز شكي اليه، فكتب اليه عمر : يا أخي : اذكرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الابد ! واياك ان ينصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد بك ! وانقطاع الرجاء منك ، قال : فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم عـلى عمر بن عبدالعزيز ! فقـال له : ما اقدمك ؟ قـال : خلعت قلبي بكتابك لا أعـــود الى ولاية حتى القى الله عـــز وجـــل ، فبكى هـارون بكاءا شديدا ثم قال : زدني – رحمك الله – !

فقال له : يا أمير المؤمنين ، ان العباس عـم النبي جاء اليه فقال له : يا رسول الله أمّرني على امارة ، فقال له النبي : ان الامارة حسرة وندامة

يــوم القيامـــة ، فان استطعت الا تـكون أميرا فافعل . فبكى هـارون بكاءاً شديدا ثم قال : زدني ـ رحمك الله ـ !

فقال : يا حسن الوجـه ، انت الذى يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة ، فان اردت ان تقى هذا الوجه من النار ، فاياك ان تصبح وتمشى وفى قلبك غش على أحد من رعيتك ، فان النبى قال : من أصبح لهم غاشا لم يرح رائحة الجنة ، فبكى هارون ، وقال له : عليك دين ؟ قال: دين لربى لم يحاسبنى عليه ! فالويل لى ان سألنى ، والويل لى ان لم الهم حجتى ، قال : انما اعنى من دين العباد ! قال : ان ربى عز وجل لم يأمرنى بهذا ، انمـا أمرنى أن اصدق دعواه واطيع امره فقـال : وما خلقت الجن والانس الا ليعبدونى ، ما اريد منهم من رزق وما اريد أن يطعمون ، ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين .

فقال له : هذه الف دينار ، خذها فانفقها على عيالك وتقوى بها على عبادة ربك ! فقال : سبحان الله : انا ادلك على طريق النجاة ، وانت تكافئنى بمثل هذا ؟ سلمك الله ووفقك ثم قمنا ولم يكلمنا بعدها .

فخرجنا من عنده ، فلما صرنا على الباب ، قال هارون يا عباسى اذا دللتنى على رجل فدلنى على مثل هذا ! هذا سيد المسلمين .

فدخلت عليه امرأة من نسائه ، فقالت : يا هذا ، قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال ، فلو قبلت هـذا المال فتفرجنا به ، فقال لها : مثلى ومثلك كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه فلما كبر نحروه وأكلوا لحمه .

فلما سمع هارون هذا الكلام قال : ندخل فعسى أن يقبل المال ، فلما علم الفضل خرج فجلس فى السطح على باب الغرفة ، فجاء هارون فجلس الى جنبه ، فجعل يكلمه فلا يجيب .

قال الفضل : فبينما نحن كذلك اذ خرجت جارية سوداء ، فقالت :

يا هذا قد آذيت الشيخ منذ الليل ، فانصرف رحمك الله فانصرفنا .

٢ ـ سودة بنت عمارة عند معاوية :

وفدت سودة بنت عمارة على معاوية بن ابى سفيان ، فاستأذنت عليه فأذن لها ، فلما دخلت سلمت عليه ، فقال لها : كيف انت يا سودة ؟ قالت: بخير يا أمير المؤمنين ! قال لها : انت القائلة يوم صفين :

شمر كفعل أبيك بابن عمارة	يوم الطعان وملتقى الاقران
وانصر علياً والحسين ورهطه	واقصد لهند وابنها بهوان
ان الامام اخا النبي محمد	علم الهدى ومنارة الايمان
فقه الحتوف وسر امام لوائه	قدما بأبيض صارم وسنان

قالت : اى والله ، ما مثلى من رغب عن الحق ، أو اعتذر بالكذب !

قال لها : فما حملك على ذلك ؟ قالت حب عليّ ، واتباع الحق ، قال : فو الله ما أرى عليك من أثر عليّ شيئا ، قالت : انشدك الله يا امير المؤمنين ، مات الرأس ، وبتر الذنب ، فدع عنك اعادة ما مضى ، وتذكار ما قد نُسى ! قال : هيهات ! ليس مثل مقام أخيك ينسى ! وما لقيت من أحد ما لقيت من قومك وأخيك ! قالت : صدق فوك والله يا امير المؤمنين ، ما كان أخى دميم المقام ، ولا خفى المكان ولكن كما قالت الخنساء :

وان صخراً لتأتم الهداة به كأنه علم فى راسه نار

وبالله اسألك يا امير المؤمنين اعفائى مما استعفيت منه . قال : قد فعلنا قولى حاجتك ! قالت : يا امير المؤمنين ، أنك أصبحت للناس سيداً ولامورهم متقلدا ، والله سائلك ، عما افترض عليك من حقنا ، ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ، ويبطش بسلطانك ، فيحصدنا حصاد السنبل ، ويدوسنا دياس البقر، ويسومنا الخسيسة ، ويسلبنا الجليلة ، هذا ابن ارطأة قدم علينا من قبلك فقتل رجالى ، وأخذ مالى ، يقول لي : فوهى بما استعصم الله منه ،

والجأ اليه فيه ، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة ، فاما عزلته فشكرناك واما لا فعرفناك .

فقال معاوية : اياي تهددني بقومك ! والله لقد هممت أن اردك اليه على قَتَبٍ اشرس ، فينفذ حكمه فيك ، فأطرقت تبكي ، ثم انشأت تقول :

صلى الاله على روح تضمنه ... قبر فاصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به بدلا ... فصار بالحق والايمان مقرونا

قال لها : ومن ذلك ؟ قالت : علي بن ابى طالب رحمه الله تعالى ! قال : وما صنع بكِ حتى صار عندك كذلك ؟ قالت : أتيته يوما فى رجل ولاه صدقاتنا فكان بيننا وبينه ما بين الغث والسمين ، فوجدته قائما يصلي ، فانفتل عن الصلاة ثم قال برأفة وتعطف : ألك حاجة ؟ فأخبرته خبر الرجل ، فبكى ، ثم رفع يديه الى السماء ، فقال : اللهم انك أنت الشاهد عليّ وعليهم ، أنى لم آمرهم بظلم خلقك ، ولا بترك حقك ، ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب ، فكتب فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم : (قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، ولا تعثوا فى الارض مفسدين، بَقِيَّةُ اللهخير لكمان كنتم مؤمنين، وما أنا عليكم بحفيظ) اذا أتاك كتابى هذا فاحتفظ بما فى يديك حتى يأتى من يقبضه منك والسلام .

فأخذته منه يا امير المؤمنين ، ما خزمه بخزام ، ولا ختمه بختام ، فقرأته فقال معاوية : اكتبوا بالانصاف واالعدل عليها ! قالت : الي خاصة أم لقومى عامة ؟ قال : وما انتِ وغيرك ؟ قالت : هى والله اذن الفحشاء واللؤم ، ان كان عدلا شاملا ، والا يسعنى ما يسع قومى !

قال : هيهات ! لقد علمكم ابن ابى طالب الجرأة وغركم قوله :

فلو كنت بوابا على باب جنة ... لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

اكتبوا لها ولقومها .

٣ - نبهكم علي :

يروى أن عكرشة بنت الاطرش دخلت على معاوية متوكئة على عكاز لها ، فسلمت عليه بالخلافة ، ثم جلست ، فقال لها معاوية : الآن صرت عندكِ امير المؤمنين ؟ قالت : نعم ، اذ لا علي حي ! قال : ألست المتقلدة حمائل السيف بصفين وانت واقفة بين الصفين تقولين :

أيها الناس عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ، ان الجنة لا يحزن من قطنها ، ولا يهرم من سكنها ، ولا يموت من دخلها ، فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ، ولا تنصرم همومها ، وكونوا قوما مستبصرين فى دينهم مستظهرين على حقهم .

ان معاوية دلف اليكم بعجم العرب ، لا يفقهون الايمان ، ولا يدرون ما الحكمة ، دعاهم الى الباطل فأجابوه ، واستدعاهم الى الدنيا فلبوه ، فالله الله عباد الله فى دين الله ؟ واياكم والتواكل فان ذلك ينقص عُمر الاسلام ويطفى نور الحق ، هذه بدرُ الصغرى والعقبة الاخرى ، يا معشر المهاجرين والانصار ، امضوا على بصيرتكم ، واصبروا على عزيمتكم ، فكأنى بكم غدا وقد لقيتم أهل الشام كالحمر الناهقة تقصع قصع البعير .

ثم قال : فكأنى أراك على عصاك هذه قد انكفأ عليك العسكران يقولون : هذه عكرشة بنت الاطرش ، فان كدت لتغلبن أهل الشام لولا قدر الله ، وكان أمر الله قدرا مقدورا ، فما حملك على ذلك ؟ .

قالت : يا أمير المؤمنين ، يقول الله جل ذكره : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم ، وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم » وان اللبيب اذا كره أمرا لا يحب اعادته .

قال : صدقت : فاذكرى حاجتك ،قالت : كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فترد على فقرائنا ، وقد فقدنا ذلك ، فما يجبر لنا كسير ، ولا ينعش لنا فقير ، فان كان عن رأيك فمثلك من انتبه من الغفلة وراجع التوبة ، وان كان عن غير رأيك فما مثلك من استعان بالخونة ، ولا استعمل الظلمة .

قال معاوية : يا هذه ، انه ينتابنا من امور رعيتنا ثغور تنفتق وشرور تندفق ، قالت : سبحان الله ! والله ما فرض الله لنا حقا فجعل فيه ضررا لغيرنا وهو علام الغيوب . قال معاوية : هيهات يا أهل العراق ! نبهكم على فلن تطاقوا ، ثم أمر برد صدقاتهم عليهم وانصافهم .

٤ ـ وهل أحل عندك محل علي ؟

حج معاوية ذات سنة ، فسأل عن امرأة من بنى كنانة كانت تنزل بالحجون ، يقال لها دارمية الحجونية ، وكانت سوداء كثيرة اللحم ، فاخبر بسلامتها ، فبعث اليها فجيء بها ، فقال : ما حالك يا بنية حام ؟ فقالت : لست لحام ان عبتنى ، انما انا امرأة من بنى كنانة ، شعبة من بنى أبيك ، قال : صدقت ، اتدرين لم بعثت اليك ؟ قالت : لا يعلم الغيب الا الله . قال : بعثت اليك لاسألك : علام احببت علياً وابغضتيني ، وواليتيه وعاديتيني ؟ قالت : او تعيفنى يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا اعفيك ، قالت : اما اذا أبيت فانى ، احببت عليا على عدله فى الرعية ، وقسمه بالسوية ، وابغضتك على قتال من هو اولى منك بالامر ، وطلبتك ما ليس لك بحق وواليت علياً على ما عقد له رسول الله فى الولاء ، وعلى حبه المساكين ، واعظامه لاهل الدين ، وعاديتُكَ على سفكك الدماء ، وشقك العصا ، وجورك فى القضاء ، وحكمك بالهوى .

قال : فلذلك انتفخ بطنك ! قالت : يا هذا بهند والله كان يضرب

المثل فى ذلك لابى ، قال معاوية : يا هـــذه اربعى فانا لم نقل الا خيرا فرجعت وسكتت •

فقال لها : يا هذه هل رأيت علياً ؟ قالت : اى والله لقد رأيته • قال : فكيف رأيتيه ؟ قالت : رأيته والله لـم يفتنه الملك الذى فتنك ، ولـم تشغله النعمة التى شغلتك • قال هل سمعت كلامه ؟ قالت : نعم والله ، فكان يجلو القلوب من العمى ، كما يجلو الزيتُ الصدأ •

قال : صدقت ، فهل لك من حاجة ؟ قالت : اوتفعل اذا سألتك ؟ قال نعـم • قالت : تعطينى مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيهـا ، قال : تصنعين فيها ماذا ؟ قالت : اغذى بالبانها الصغار ، واستحى بهـا الكبار ، واكتسب بها المكارم واصلحُ بها بين العشائر ، قال : فان اعطيتك ذلك فهل أحل عندك محل علي ؟ قالت : ماء ولا كصدأ ، ومرعى ولا كالسعدان ، وفتى ولا كمالك • سبحان الله اوددته ! فانشأ معاوية يقول :

اذا لـم اعـــد بالحلم منى عليكم   فماذا الذى بعـدى يؤمل للحلم
خذيها هنيئا ، واذكرى فعل ماجد   جزاك على حرب العداوة بالسلم

ثم قال : أما والله لو كان عـليّ حياً ما اعطاك منها شيئا ، قالت : لا والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين •

٥ ـ نبحتنى كلابك :

استأذنت بكارة الهلالية على معاوية بن ابى سفيان فاذن لها ـ وهو يومئذ بالمدينة ـ وعنده مروان بن الحكم ، وعمرو بن العاص ، فدخلت عليه ، وكانت امرأة قد اسنت وعشى بصرهـا ، وضعفت قوتها ، ترعش بين خادمين لها ، فسلمت وجلست فرد عليها معاوية السلام • وقال : كيف أنت يا خالة ؟ فقالت : بخير يا أمير المؤمنين ! قال : غيرك الدهر ، قالت : كذلك هو ذو غير ، من عاش كبر ، ومن مات قُبر ! قال عمرو بن العاص : هى والله القائلة يا أمير المؤمنين يوم صفين •

يا زيد دونك فاحتفر من دارنا سيفا حساما فى التراب دفينا
قد كنت اذخره ليوم كريهة فاليوم ابرزه الزمان مصونا

قال مروان : هي والله القائلة يا أمير المؤمنين :

اترى ابن هند للخلافة مالكا هيهات ! ذاك - وان اراد بعيد
منتك نفسك في الخلاء ضلالة اغراك عمرو للنقا وسعيد

قال سعيد بن العاص : هى والله القائلة

قدكنت اطمع أن اموت ولا ارى فوق المنابر من امية خاطبا
فالله أخّر مدتى فتطاولت حتى رأيت فى الزمان عجائبا
فى كل يوم للزمان خطيبهم بين الجميع لآل احمد عائبا

ثم سكتوا فقالت بكارة : نبحتنى كلابك يا أمير المؤمنين واعتورتنى فقصرت محجتى ، وكثر عجبى ، وعشى بصرى .

وانا والله قائلة ما قالوا لا ادفع ذلك بتكذيب ، وما حقى عليك من اكثر ، فامض لشأنك ، فلا خير بالعيش بعد أمير المؤمنين فضحك معاوية، وقال : ليس يمنعنا ذلك من برك ! اذكرى حاجتك قالت : اما الآن فلا .

٦ - اروى بنت الحارث :

دخلت اروى بنت الحارث بن عبد المطلب على معاوية ، وهى عجوز فلما رآها معاوية قال : مرحبا بك واهلا يا عمة ! فكيف كنت بعدنا ؟ قالت : يابن اخى ، لقد كفرت بالنعمة ، وأسأت لابن عمك الصحبة ، وتسميت بغير اسمك ، وأخذت غير حقك ، من غير بلاء كان منك ولا من آبائك ، ولا سابقة في الاسلام ، بعد أن كفرتم برسول الله (صلى الله عليه وسلم) فاتعس الله منكم الجدود ، واجزع منكم الخدود ، ورد الحق الى أهله ، ولو كره المشركون .

وكانت كلمتنا هى العليا ، ونبينا (صلى الله عليه وسلم) هو المنصور

على من ناوأه ولو كره المشركون ، فكلنا ـ أهل البيت ـ اعظم الناس فى الدين حظاً ونصيبا وقدرا ، حتى قبض الله نبيه ، فوليتم علينا من بعده ، وتحتجون بقرابتكم من رسول الله ، ونحن اقرب اليه منكم ، واولى بهذا الامر ، فكنا فيكم بمنزلة بنى اسرائيل من آل فرعون ، وكان عليّ بن ابى طالب ـ رحمه الله ـ بعد نبينا بمنزلة هرون من موسى ، فغايتنا الجنة وغايتكم النار •

فقال لها عمرو بن العاص : كفى ايتها العجوز الضالة ! واقصرى من قولك وغض من طرفك !

فقالت : وانت يا عمرو تتكلم عما بنفسك • فوالله ما انت من قريش فى اللباب فى حسبها ، ولا كريم منصبها ، فقالت : وانت أيضا يابن الزرقاء تتكلم ! ثم التفتت الى معاوية فقالت : والله ما جرأ على هؤلاء غيرك : وان امك القائلة فى قتلِ حمزة :

نحن جزيناكم بيوم بدر   والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عُتبة لى من صبر   أبى وعمى وأخى وصهرى
شفيت وحشى غليل صدرى   شفيتَ نفسى وقضيت نذرى
فشكر وحشى على دهرى   حتى ترم اعظمى فى قبرى

فقال معاوية لمروان وعمرو : ويلكما انتما عرضتمانى لها واسمعتانى ما اكره ، ثم قال لها : يا عمة اقصدى قصد حاجتك ، ودعى عنك اساطير النساء ! قالت : تأمر لى بالفى دينار والفى دينار والفى دينار ! قال : ما تصنعين يا عمة بالفى دينار ؟ قالت : اشترى بها عينا خرخارة فى ارض خوارة تكون لولد الحارث بن عبدالمطلب ! قال : نعم الموضع وضعتيها ! قال : فما تصنعين بالفى ينار ؟ قالت : استعين بها على عسر المدينة وزيارة بيت الله الحرام ! قال : نعم الموضع وضعتيها ! قال : فما تصنعين بالفى دينار ؟ قالت : ازوج بها فتيان عبدالمطلب من اكفائهم ! قال : نعم الموضع

وضعتيها هي لك : ثم قال لها : والله لو كان عليّ ما أمر لك بها ! قالت : صدقت ! ان عليا أدى الامانة ، وعمل بأمر الله ، واخذ به ، وانت ضيعت امانتك وخنت الله في ماله ، فاعطيت ما ل الله من لا يستحقه ، وقد فرض الله في كتابه الحقوق لاهلها وبينها فلم تأخذ بها ، ودعانا عليّ الى اخذ حقنا الذي فرض الله لنا فشغل بحربك عن وضع الامور مواضعها . وما سألتك من مالك شيئا . فتمن به انما سألتك من حقنا ، ولا نرى اخذ شيء غير حقنا ! اتذكر عليا ! فض الله فاك ثم علا نحيبها وقالت :

الا يا عـين ويحك اسعدينـا ... الا وابكي أمـير المؤمنـينـي
رزينا خـير مـن ركب المطـايا ... وفارسـها ومـن ركب السفينا
ومن لبس النعـال او احتذاهـا ... ومـن قـرأ المثـانى والمثينى

فأمر لها بستة آلاف دينار ، وقال لها : يا عمة ، انفقي هـذه فيما تحبين ، فاذا احتجت فاكتبي الى ابن اخيك يحسن صفدك ، ومعونتك ان شاء الله .

٧ ـ ام سنان تشكو مروان :

حبس مروان بن الحكم وهو والى المدينة ، غلاما من بنى ليث في جناية جناها بالمدينة ، فأتته جـدة الغلام ـ وهى ام سـنان بنت خيثمة المذحجية ـ فكلمته في الغلام ، فاغلظ لها ، فخرجت الى معاوية ، فدخلت عليه ، فانتسبت له فعرفها ، وقال لهـا : مرحبا بابنت خيثمة ، ما اقدمك ارضنا وقد عهدتك تشنين قربى وتحضين عليّ عدوى .

قالت ! يا أمير المؤمنين : ان لبنى عبد مناف اخلاقا طاهرة واحـلاما وافرة ، لا يجهلون بعد علم ، ولا يسفهون بعد حلم ، ولا ينتقمون بعد عفو وان اولى الناس باتباع ما سن آباؤه لأنت . قال صدقت ، نحن كذلك فكيف قولك :

عزب الرقاد فمقلتي لا ترقد ... والليل يصدر بالهموم ويورد
يا آل مذحج لا مُقامَ فشمروا ... ان العدو لآل احمد يقصد
هذا عليّ كالهلال تحفه ... وسط السماء من الكواكب اسعُد
خير الخلائق وابن عم محمد ... ان يهدكم بالنور منه تهتدوا
ما زال مذ شهد الحروب مظفرا ... والنصر فوق لوائه ما يفقد

قالت : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ، وأرجو أن تكون لنا خلفا .

فقال رجل من جلسائه : كيف يا أمير المؤمنين وهي القائلة أيضا :

اما هلكت أبا الحسن فلم تزل ... بالحق تعرف هاديا مهديا
فاذهب عليك صلاة ربك ما وعت ... فوق الغصون حمامة قمريه
قد كنت بعد محمد خلفا كما ... أوصى اليك بنا ، فكنت وفيا
فاليوم لا خلف يؤمل بعده ... هيهات نمدح بعده انسيا

قالت : يا أمير المؤمنين ، لسان نطق وقول صدق ، ولئن تحقق فيك ما ظننا ، لحظك الاوفر ، والله ما ورث السنان في قلوب الناس الا هؤلاء فادحض مقالتهم ، وابعد منزلتهم ، فانك ان فعلت ذلك تزدد من الله قربا ، ومن المؤمنين حبا .

قال : وانك لتقولين ذلك ! قالت يا سبحان الله ! والله ما مثلك مدح بباطل ، ولا اعتذر اليه بكذب ، وانك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلوبنا :

كان والله علي أحب الينا منك ، وأنت أحب الينا من غيرك ، قال : ممن قالت : من مروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص ، قال : وبم استحققت ذلك عندك ؟ قالت : بسعة حلمك ، وكريم عفوك . قال فانهما يطمعان في ذلك ؟ قالت : هما والله من الرأي على مثل ما كنت عليه لعثمان بن عفان رحمه الله تعالى .

قال : والله لقد قاربت ، فما حاجتك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين : ان

مروان أقام فى المدينة اقامة من لا يريد البراح، لا يحكم بعدل، ولا يقضى بسنة ، يتبع عثرات المسلمين ، ويكشف عورات المؤمنين ، حبس ابن ابنى فأتيته ، فقال : كنتِ وكنتِ ، فألقمته أخشن من الحجر ، والعقته أمر من الصبر ، ثم رجعت الى نفسى باللائمة ، وقلت : لم لا اصرف ذلك الى من هو أولى بالعفو عنه ؟

فأتيتك يا أمير المؤمنين ، لتكون فى أمرى ناجزا وعليه معديا قال : صدقتِ ، لا أسألكِ عن ذنبه ، ولا عن القيام بحجته ، اكتبوا لها باطلاقه

قالت : يا أمير المؤمنين وأنى لى بالرجعة ، وقد نفد زادى وكلت راحلتى ، فأمر لها براحلة وخمسة آلاف درهم .

٨ ـ سليمان بن عبدالملك وأبو حازم :

دخل سليمان بن عبدالملك المدينة ، فأقام بها ثلاثا ثم قال : أما هنا رجل ممن أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ؟ فقيل له بلى ! هاهنا رجل يقال له أبو حازم فبعث اليه فجاءه .

فقال له سليمان بن عبدالملك : يا أبا حازم ما هذا الجفاء ؟ فقال له أبو حازم : وأى جفاء رأيت منى ؟ قال له سليمان : أتانى وجوه أهل المدينة كلهم ولم تأتنى ! فقال له : اعيذك بالله أن تقول ما لم يكن ، ما جرى بينى وبينك معرفة ، آتيك هكذا ! فقال سليمان : صدق الشيخ .

ثم قال سليمان : يا أبا حازم ، مالنا نكره الموت ؟ فقال أبو حازم لانكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم ، فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العمران الى الخراب ، قال صدقت يا أبا حازم ، كيف القدوم على الله ؟ فقال : أما المحسن فكالغائب يقدم أهله ، وأما المسيىء فكالآبق يقدم على مولاه . فبكى سليمان ، وقال : ليت شعرى ما لنا عند الله يا أبا حازم ، أين نصيب تلك المعرفة فى كتاب الله عزوجل ؟ قال أبو حازم . عند قوله

تعالى (ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم) فقال سليمان : يا أبا حازم : فأين رحمة الله ؟ فقال أبو حازم : قريب من المحسنين •

قال سليمان : يا أبا حازم : من أحمق الناس ؟ قال أبو حازم : من باع آخرته بدنيا غيره • فقال سليمان : ما أسمع الدعاء ؟ قال : دعاء المختبى قال سليمان: ما أزكى الصدقة؟ فقال أبو حازم جهد الْـمُـقِلِّ • فقال سليمان: نصيحة بُلِّغْتَـهَا • قال أبو حازم : ان اناسا أخذوا هذا الامر من غير مشورة من المؤمنين ، ولا اجماع فى رأيهم ، فسفكوا فيها الدماء على طلب الدنيا ، ثم ارتحلوا عنها ، فليت شعرى ما قالوا ! وما قيل لهم ! فقال بعض جلسائه : بئس ما قلت يا شيخ ، فقال أبو حازم : كذبتَ ، ان الله تبارك وتعالى أخذ على العلماء ليبيننهُ للناس ولا يكتمونه ، فقال سليمان : يا أبا حازم ، كيف الأخذُ بذلك ؟ قال أبو حازم تأخذه من حقه وتضعه فى أهله، فقال سليمان:

أصبحنا يا أبا حازم ، تصيب منا ونصيب منك ، فقال : اعيذك من ذلك، قال سليمان : ولم ؟ قال : أخاف أن اركنَ اليكم شيئا قليلا، فيذيقنى الله منها ضعف الحياة وضعف الممات •

قال سليمان : يا أبا حازم ، انصحنى • فقال أبو حازم : اتق الله أن يراك حيث نهاك ، أو يفقِدُك حيث أمرك • قال سليمان : يا أبا حازم ادع لنا بخير • فقال أبو حازم : اللهم ان كان سليمان وليك فبشره بخير الدنيا والآخرة ، وان كان عدوك فخذ الى الخير بناصيته • فقال سليمان : عظنى يا أبا حازم ، فقد أوجزت ، فقال : ان كنت وليه فحسبك وان كنت عدوه فما ينفعك اذا رُمي بقوس بغير وتر •

فقال سليمان : يا غلام ، ائت بمائة دينار، ثم قال : خذها يا أبا حازم ، فقال أبو حازم : لا حاجة لى بها ، انى أخاف ان تكون أعطيتها لما سمعت من كلامى ، ان موسى عليه السلام لما هرب من فرعون وورد ماءمدين ،

وجد عليه جاريتين تذودان ، قال ما خطبكما ؟ قالتا : لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير ، فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال : رب انى لما أنزلت الي من خير فقير • ولم يسأل على عون الله أجرا على دينه فلما اكد ذلك أبوهما وقال : ما أعجلكما ؟ قالتا : وجدنا رجلا صالحا فسقى لنا ، قال : فما سمعتماه يقول ؟ قالتا : سمعناه يقول :

« ربى انى لما انزلت الي من خير فقير » فقال ينبغى أن يكون هذا جائعا ، تنطلق احداكما فتقول له : « ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا » •

فجزع من ذلك موسى ـ عليه السلام ـ وكان طريدا فى فيافى الصحراء ، فأقبل والجارية أمامه ، فهبت ريح فكشفتها له ـ وكانت ذات خلق ـ فلما بلغ الباب دخل واذا طعام موضوع • قال شعيب : اصب يا فتى من هذا الطعام ، قال موسى عليه السلام : أعوذ بالله • قال شعيب : ولم ؟ قال موسى لاننا من بيت لا نبيع ديننا بملء الارض ذهبا • قال شعيب عليه السلام لا والله ولكنها عادتى وعادة آبائى نطعم الطام ، ونقرى الضيف • فجلس موسى وأكل •

فان كانت هذه الدنانير عوضا لما سمعت من كلامى ، فانا أرى أكل الميتة والدم فى حال الضرورة أحب الي من أخذها •

فكان سليمان أعجب بابن حازم ، فقال بعض جلسائه ، يا أميرالمؤمنين أيسرك أن يكون الناس كلهم مثله ؟ قال الزهرى انه لجارى منذ ثلاثين سنة ما كلمته بكلمة قط ، قال له أبو حازم صدقت ، انك نسيت الله فنسيتنى ، ولو أحببت الله لاحببتنى ، قال الزهرى • اتشتمنى ؟ قال سليمان : أنت شتمت نفسك ، أما علمت أن للجار على جاره حقا : قال أبو حازم : ان بنى اسرائيل لما كانوا على الطور كانت الامراء تحتاج الى العلماء ، وكانت العلماء

تضن بدينها على الامراء فاستغنت الامراء عن العلماء ، واجتمع القوم على المعصية ، فشغلوا وانتكسوا ، ولو كان علماؤنا هؤلاء يصونون علمهم لهابهم الامـــراء . قال الزهـــرى : كأنك لي تريد ، وبى تعرض قال : هـــو ما تسمع .

٩ ـ المنصور وابن طاووس :

قال مالك بن أنس : بعث الي أبو جعفر المنصور والى ابن طاووس ، فدخلت عليه وهو جالس على فرش قد نضدت له وبين يديه فرش من جلد قد بسطت وجلادون بأيديهم السيوف ، لضرب رقاب الناس ، فأومأ الينا بالجلوس وأطرق عنا طويلا ، ثم التفت الى ابن طاووس ، فقال له : حدثنى عن أبيك . قال : نعم ، سمعت أبى يقول : قال رسول الله صلى الله عليــه وسلم : « ان أشد الناس عذابا يوم القيامة ، رجل أشركه الله فى حكمه ، فأدخل عليه الجور فى عدله ثم أمسك ســاعة ، قال مالك : فضممت ثيابى مخافة أن يملأنى دمه .

ثم التفت اليه أبو جعفر ، فقال : عضنى يا ابن طاووس ، قال : نعم ، أما سمعت الله يقول : « ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد ، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذى الاوتاد الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد » .

قال مالك : فضممت ثيابى أيضا مخافــة أن يلأنى دمـــه ، فأمسك المنصور ساعة حتى اسود ما بيننا وبينــه ، ثم قــال : يا ابن طاووس ناولنى الدواة فأمسك ابن طاووس ولم يناوله اياها وهى فى يده ، فقال المنصور : ما يمنعك أن تناولنيها ؟ قال ابن طاوس : أخشى أن تكتب بهــا معصيــة لله فأكون شريكك فيها ، فلما سمع المنصور قال : قوما عنى !

قال ابن طاووس : ذلك ما كنا نبغي ! قال مالك : فما زلت أعرف لابن طاووس بعدها فضله •

١٠ ـ اوارث انت بنى امية ؟

قال أحمد بن موسى : ما رأيت رجلا أثبت جنانا من رجل رفع فيه عند المنصور وقالوا : ان عنده ودائع وأموالا وسلاحا لبنى امية ، فأمر المنصور حاجبه الربيع باحضاره بين يديه •

فقال له المنصور : قد رفع الينا ان عندك ودائع وأموالا وسلاحا لبنى امية ، فاخرج لنا ما عندك ، واحمل جميع ذلك الى بيت المال ، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين ، أنت وارث بنى أمية ؟ قال : لا ، قال : فوصى أنت ؟ قال : لا • قال : فلم تسأل عن ذلك ؟ فأطرق المنصور ساعة وقال : ان بنى امية ظلموا الناس واغتصبوا أموال المسلمين ، وأنا آخذها فأردها الى بيت مال المسلمين ، قال الرجل : يحتاج أمير المؤمنين الى اقامة بينة يقبلها الحاكم ، ان المال الذى لبنى امية هو الذى فى يدى ، وانه هو الذى اغتصبوه من الناس ، وأمير المؤمنين يعلم ان بنى امية كانت معهم أموال لانفسهم غير الاموال التى اغتصبوها على ما يزعم أمير المؤمنين •

قال : فسكت المنصور ساعة ثم قال : يا ربيع ، صدق الرجل ما يجب لنا عليه شيء ، ثم قال للرجل ألك حاجة ؟ قال : نعم قال : ما هى ؟ قال : ان تجمع بينى وبين من سعى بى اليك ، فوالله يا أمير المؤمنين ما لبنى امية عندى ودائع ولا مال ولا سلاح ، ولما حضرت بين يدى امير المؤمنين ، وعلمت ما هو عليه من العدل والانصاف ، واتباع الحق واجتناب الباطل ، ايقنت ان هذا الكلام الذى صدر منى هو انجح واصلح لما سألنى عنه واقرب الى الخلاص •

فقال المنصور للربيع : اجمع بينه وبين الرجل الذى اتهمه ، ولما

جيء بالرجل عرفه ، وقال : هذا غلامى أخذ لي خمسمائة دينار وهرب ، ولى عليه كتاب بها ، ثم استنطق المنصور الغلام ، فأقر انه غلامه ، وانه أخذ المال الذى ذكره مولاه ، وابق به ، وسعى بمولاه ليجرى عليه امر الله ، ويسلم هو من الوقوع فى يده ، فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، قد وهبتها له لاجلك ، وادفع له خمسمائة دينار اخرى لاجل حضوره مجلس أمير المؤمنين .

فاستحسن المنصور فعله ، وكان فى ذلك الوقت يقول : يا ربيع ، ما رأيت من حاجتى مثله .

١١ ـ أنا بالله ثم بالقاضى :

أتت امرأة يوما شريك بن عبدالله قاضى الكوفة ، وهو فى مجلس الحكم ، فقالت : أنا بالله ثم بالقاضى ! قال : من ظلمك ؟ قالت : الامير موسى ابن عيسى عم أمير المؤمنين ، كان لى بستان على شاطىء الفرات ، فيه نخل ورثته عن أبى ، وقاسمت اخوتى ، وبنيت بينى وبينهم حائطا ، وجلعت فيه رجلا يحفظ النخل ويقوم به ، فاشترى الامير موسى بن عيسى من جميع اخوتى ، وساومنى ورغبنى ، فلم أبعه ، فلما كانت هذه الليلة بعث بخمسمائة غلام فاقتلعوا الحائط ، فأصبحت لا أعرف من نخلى شيئا ، واختلط بنخل اخوتى :

فقال : يا غلام أحضر طينة ، فأحضر ، فختمها ، وقال : امضِ الى بابه حتى يحضر معك ، فأخذها الحاجب ، ودخل على موسى ، فقال : قد أعدى القاضى عليك ، وهذا ختمه ، فقال : ادع لى صاحب الشرطة فدعا به فقال : امضِ الى شريك ، وقل : يا سبحان الله ! ما رأيت أعجب من أمرك! امرأة ادعت دعوى لم تصح اعديتها عليِ ! قال صاحب الشرطة : ان رأى الامير أن يعفينى من ذلك ؟ فقال : امضِ ، ويلك ! فخرج .

وقال لغلمانه ! اذهبوا واحملوا لى الى حبس القاضى بساطا وفراشا وما تدعو الحاجة اليه ، ثم مضى الى شريك ، فلما وقف بين يديه أدى الرسالة فقال لغلام المجلس : خذ بيده فضعه فى الحبس ، فقال صاحب الشرطة : والله قد علمت انك تحبسنى فقدمت ما احتاج اليه فى الحبس !

وبلغ موسى بن عيسى الخبر ، فوجه الحاجب اليه ، وقال له : رسول ادى رسالة أى شيء عليه ! فقال شريك ، اذهبوا به الى رفيقه الى الحبس فحبس •

فلما صلى الامير العصر بعث الى اسحاق بن الصباح الاشعثى والى جماعة من وجوه الكوفة من أصدقاء شريك : أبلغوه السلام ، وأعلموه انه استخف بى ، وانى لست كالعامة ، فمضوا اليه وهو جالس فى مسجده بعد صلاة العصر ، فأبلغوه الرسالة ، فلما انقضى كلامهم ، قال لهم : مالى أراكم جئتمونى فى جمع من الناس ، فكلمتونى من هاهنا من فتيان الحى ؟ فأجابه جماعة من الفتيان فقال : ليأخذ كل واحد منكم بيد رجل فيذهب به الى الحبس • ما أنتم الا فتنة وجزاؤكم الحبس ! قالوا له : أجاد أنت ؟ قال : حتى لا تعودوا لرسالة ظالم • فحبسهم •

فركب موسى بن عيسى ، الليلة الى باب السجن ، وفتح الباب ، وأخرجهم كلهم ، فلما كان من الغد وجلس شريك للقضاء جاءه السجان فأخبره ، فدعا بالقمطر فختمه ووجه به الى منزله ، وقال لغلامه : الحق بثقلى الى بغداد والله ما طلبنا هذا الامر منهم ، ولكن اكرهونا عليه ، ولقد ضمنوا لنا الاعزاز اذ تقلدناه لهم ومضى نحو قنطرة الكوفة الى بغداد ، وبلغ الخبر الى موسى بن عيسى ، فركب فى موكبه فلحقه وجعل يناشده ويقول : يا أبا عبدالله تثبت ، انظر اخوانى اتحبسهم ! دع اعوانى ، قال : نعم، لانهم مشوا لك فى أمر لم يجز لهم المشى فيه ، ولست ببارح أو يردوا جميعا ، والا مضيت الى أمير المؤمنين المهدى فاستعفيته مما قلدنى •

فأمر موسى بردهم الى الحبس ، وهو واقف والله مكانه حتى جاء السجان فقال : قد رجعوا جميعا الى الحبس ، فقال لاعوانه : خذوا بلجام دابته بين يدى الى مجلس الحكم ، فمروا به بين يديه حتى ادخل المسجد ، وجلس فى مجلس القضاء ، فجاءت المرأة المتظلمة ، فقال : هذا خصمك قد حضر ، فقال موسى وهو مع المرأة بين يديه : قبل كل امرٍ أنا قد حضرت ، واولئك يخرجون من الحبس ، فقال شريك : أما الآن فنعم ! اخرجوهم من الحبس ، فقال : ما تقول فيما تدعيه هذه المرأة ؟ قال : صدقت ، قال : ترد ما أخذت منها ، وتبنى حائطها سريعا كما كان ، قال أفعل ذلك ، قال لها : أبقى لك عليه دعوى ؟ قالت : لا . وبارك الله عليك، وجزاك خيرا قال : قومى ، فقامت من مجلسه .

فلما فرغ قام وأخذ بيد موسى بن عيسى وأجلسه فى مجلسه ، وقال السلام عليك أيها الامير ، أتأمر بشىء ؟ فقال : أى شىء آمر ؟ وضحك ، فقال له شريك : أيها الامير ، ذاك حق الشرع ، وهذا القول الآن حق الادب فقام الامير وانصرف الى مجلسه .

١٢ ـ قاضٍ لا يقبل شهادة خليفة :

وكل سعيد بن عبدالرحمن الداخل عند ابن بشير القاضى وكيلا يخاصم عنهلشىء اضطر اليه ، وكانت بيده وثيقة فيها شهادات شهود قد ماتوا ولم يكن فيها من الاحياء الا الامير الحكم ، وشاهد آخر ، فشهد لسعيد ذلك الشاهد وضربت على وكيله الآجال فى شاهد ثانٍ ، وجد به الخصام ، فدخل سعيد بالكتاب على الحكم ، وأراه شهادته فى الوثيقة ، وقد كان كتبها قبل الخلافة فى حياة أبيه وعرفه حاجته الى أدائها عند قاضيه خوفا من بطلان حقه .

وكان الحكم يعظم عمه سعيدا ، ويلتزم مبرته ، فقال له : يا عم أنا لسنا من أهل الشهادات ، وقد التبسنا من هذه الدنيا بما لا تجهله ، ونخشى أن

توقفنا من القاضى موقف مخزاة كنا نفيد بما نملك ، فصر فى خصامك حيث صيرك الخصم اليه ، وعلينا رد ما انتقصك •

فأبى عليه وقال : سبحان الله وما عسى أن يقول قاضيك فى شهادتك وأنت وليته وهو حسنة من حسناتك ؟ وقد لزمك أن تشهد لى بما علمته ولا تكتمنى ما أخذ الله عليك •

فقال بلى : ان ذلك لمن حقك كما تقول ، ولكنك تدخل علينا بـــه داخلة ، فان أعفيتنا منه فهو أحب الينا وان اضطررتنا لم يمكنا عقوقك •

فعزم عليه عزم من لم يشك ان قد ظفر بحاجته ، فأرسل الحكم عند ذلك الى فقيهين من فقهاء زمانه ، وخط شهادته بيده فى قرطاس ، وختم عليها بخاتمه ، ودفعها الى الفقيهين ، وقال لهما ، هذه شهادتى بخطى ، فادياها الى القاضى •

فأتياه بهـــا الى مجلسه ، وقت قعوده للسماع مـــن الشهود فأدّياها اليه فقال لهما : قد سمعت منكما فقوما راشدين فى حفظ الله •

وجاء وكيل سعيد وتقدم اليه مدلا واثقا وقال له : أيها القاضى ، قد شهد عندك الامير ــ أصلحه الله تعالى ــ فما تقول ؟ فأخذ كتـاب الشهادة ونظر فيه ثم قال للوكيل : هذه شهادة لا تقبل عندى ، فجئنى بشاهد عدل!

فَدُهِشَ الوكيل، ومضى الىسعيد فأعلمه، فركب من توه الى الحكم ، وقال : ذهب سلطاننا وازيل بهاؤنا ، يجترىء هذا القاضى على رد شهادتك والله سبحانه وتعالى قد استخلفك على عباده ، وجعل الامر فى دمائهـــم وأموالهم اليك هذا ما يجب أن تحمله عليـه ، وجعـل يغريـه بالقاضى ويحرضه على الايقاع به •

فقال الحكم : وهل شككت أنا فى هذا يا عم ؟ القاضى رجل صالح ، لا تأخذه فى الله لومة لائم ، فعل ما يجب عليه ويلزمه ، وسد دونه بابا كان يصعب عليه الدخول منه فأحسن الله جزاءه •

فغضب سعيد ، وقال : هذا حسن منك ! فقال له : قد قضيت الذى كان لك علىّ ، ولست ـ والله ـ اعارض القاضى فيما احتاط به لنفسه ، ولا أخون المسلمين فى قضائهم •

١٣ ـ قد كان يسؤنى أن تكون أميرا :

دخل صعصعة بن صوحان على معاوية أول ما دخل عليه وقد كان يبلغ معاوية عنه، فقال له معاوية : ممن الرجل ، قال : رجل من نزار•قال: وما نزار ؟ قال : اذا غزا احترش ، واذا انصرف انكمش واذا لقى افترش•

قال فمن أى ولده أنت ؟ قال : من ربيعة ، قال : وما ربيعة ؟ قال : كان يغزو بالخيل ، ويغيرُ بالليل ، ويجود بالنيل •

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال من أسد : قال وما أسد ؟ قال : كان اذا طلب أمضى ، واذا أدرك أرضى ، واذا آب أنضى •

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من جديلة • قال : وما جديلةُ ؟ قال : كان يطيل النجاد ويعدّ الجهاد ويجيد الجلاد •

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال من دعمى ، قال : ومادعمى ؟ قال : كان نارا ساطعا ، وشرا قاطعا ، وخيرا نافعا •

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من أمضى • قال : وما أمضى ؟ قال : كان ينزل القارات ، ويكثر الغارات ، ويحمى الجارات •

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال من عبدالقيس ، قال : وما عبدالقيس ؟ قال : ابطال ذادة ، حجاجحة قادة ، صناديد سادة •

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من أقصى • قال : وما أقصى ؟ قال : كان ذا رماح مشرعة ، وقدور مترعة ، وجفان مفرعة •

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من لكيز • قال : وما لكيز ؟ قال : كان يباشر القتال ، ويعانق الابطال ، ويبدد الاموال •

قال فمن أى ولده أنت ؟ قال : من عجيل • قال : وما عجيل ؟ قال : الليوث الضراغمة ، الملوك القماقمة ، القروم القشاعمة •

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من كعب ، قال : وما كعب ؟ قال : كان يسعر الحرب ويجيد الضرب ، ويكشف الكرب •

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من مالك • قال : وما مالك ؟ قال : الهمام للهام والقمقام للقمقام •

قال معاوية : والله ما تركت لهذا الحى من قريش شيئا قال : بل تركت أكثره وأحبه ، قال : وما هو ؟ قال : تركت لهم الوبر والمدر ، والابيض والاصفر ، والصفاو المشعر ، والقبة والمفخر ، والسرير والمنبر ، والملك الى المحشر •

فقال : أما والله لقد كان يسوءنى أن أراك أسيرا • فقال : وأنا والله لقد كان يسوءنى أن أراك أميرا ، ثم خرج ، فبعث اليه فرده ووصله وأكرمه •

١٤ ـ لولا ما جعل الله لنا فى يدك ما أتيناك :

بينما معاوية جالس" يوما وعنده عمرو بن العاص اذ قال الآذن ، قد جاء عبدالله بن جعفر بن أبى طالب ، فقال عمرو : والله لأسوأنه اليوم ، فقال معاوية : لا تفعل يا أباعبدالله ، فانك لا تنتصف منه ، ولعلك ان تفعل تظهر لنا من منقبته ما هو خفى عنا ومالا نحب أن نعلمه عنه •

وغشيهما عبدالله بن جعفر ، فأدناه معاوية وقربه ، فمال عمرو الى بعض جلساء معاوية ، فنال من علي جهارا غير ساتر له ، وثلبه ثلبا قبيحا فالتمع لون عبدالله حتى ارعدت حضائله ، ثم نزل عن السرير وقال : عمرو: مه يا أباجعفر ، فقال عبيدالله : مه لا أم لك ثم قال :

أظن الحلم دلّ عليّ قومى   وقد يتجهل الرجل الحليم

ثم حسر عن ذراعيه ، وقال : يا معاوية ، حتام تتجرع غيظك ؟ وآلام الصبر على مكروه قولك وسيىء أدبك وذميم أخلاقك ؟ هبلتك الهبول ! أما يزجرك ذمام المجالسة عن القذع لجليسك ، اذا لم تكن حرمة من دينك تنهاك عما لا يجوز لك ، أما والله لو عطفتك أواصر الارحام أو حاميت على سهمك من الاسلام ، ما ارعيت بنى الاماء اعراض قومك ، وما يجهل موضع الصفوة الا أهل الجفوة .

وانك لتعرف قريشا وصفوة غرائزها ، فلا يدعونك تصويب ما فرط من خطتك فى سفك دماء المسلمين ، ومحاربة أمير المؤمنين الى التمادى فيما قد وضح لك الصواب فى خلافه ، فاقصد لمنهج الحق ، فقد طال عمهك عن سبيل الرشاد ، وخبطك فى ديجور ظلمه الغى ، فان أبيت الا أن تتابعنا فاعفنا من سوء القالة فينا ، اذا ضمنا واياك الندى وشأنك وما تريد اذا خلوت والله حسيبك ! فو الله لولا ما جعل الله لنا فى يديك لما أتيناك .

ثم قال : انك ان كلفتنى ما لم أطق ساءك ما ستر منى من خلق . فقال معاوية : يا أبا جعفر ، تغير الخطأ ، أقسمت عليك لتجلسن ، لعن الله من أخرج ضب صدرك من وجاره ، محمول لك ما قلت ، ولك عندنا ما أملت فلو لم يكن محتدك ومنصبك لكان خلقك وخِلْقَتُكَ شافعين لك الينا ، وأنت ابن ذى الجناحين وسيد بنى هاشم .

فقال عبدالله : بل سيد بنى هاشم حسن وحسين ، لا ينازعهما فى ذلك أحد . فقال : أبا جعفر ، أقسمت عليك لما ذكرت حاجة لك الا قضيتها لك كائنة ما كانت ، ولو ذهبت بجميع ما أملك فقال : أما فى هذا المجلس فلا .

ثم انصرف فاتبعه معاوية بصره فقال : والله لكأنه رسول الله فى مشيته وخلقه وانه لمن مشكاته ، لوددت انه اخى بنفيس ما أملك .

ثم التفت الى عمرو ، فقال : يا أبا عبدالله ما تراه منعه من الكلام معك؟ قال : مالا خفاء به عنك ! قال : اظنك تقول : انه هاب جوابك لا والله • ولكنه ازدراك واستحقرك ، ولم يرك للكلام أهلا ، أما رأيت اقابله عليّ دونك ذاهبا بنفسه عنك ؟ فقال عمرو : فهل لك أن تسمع ما أعددته لجوابه؟ قال معاوية : أرغب اليك يا أبا عبدالله ، أن تترك ما أنت فيه • ونهض معاوية وتفرق الناس •

١٥ ـ واعظ أبي جعفر المنصور :

بينما المنصور يطوف ليلا اذ سمع قائلا يقول : اللهم انى أشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض ، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ! فخرج المنصور فجلس ناحية من المسجد ، وأرسل الى الرجل يدعوه ، فصلى الرجل ركعتين ، واستلم الركن وأقبل مع الرسول ، فسلم عليه بالخلافة •

فقال المنصور : ما الذى سمعتك تذكر من ظهور البغى والفساد ؟ وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ؟ فوالله لقد حشوت مسامعى ما أرمضنى ؟•

قال : يا أمير المؤمنين ، ان أمنتنى على نفسى أنبأتك بالامور من اصولها ، والا احتجزت منك ، واقتصرت على نفسى ، ففيها لى شاغل •

فقال : أنت آمن على نفسك ، فقل ، فقال : ان الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين ما ظهر من البغي والفساد لأنت ! قال : ويحك ! وكيف يدخلنى الطمع ، والصفراء والبيضاء فى قبضتى ، والحلو والحامض عندى ؟ قال : وهل أحد من الطمع ما دخلك ! ان الله تبارك وتعالى استرعاك على المسلمين وأموالهم فأغفلت امورهم ، واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر ، وأبوابا من الحديد ، ثم

سجنت نفسك فيها عنهم ، وبعثت عمالك في جباية الاموال وجمعها وقويتهم بالرجال والسلاح ، وأمرت بألا يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفر سميتهم ، ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا العادي، ولا الضعيف ولا الفقير ولا أحد الا وله في هذا المال حق .

فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك ، وآثرتهم على رعيتك ، وأمرتَ الا يحجبوا عنك ، تجبي الاموال وتجمعها ولا تقسمها ، قالوا : هذا قد خان الله فما بالنا لا نخونه وقد سمن لنا نفسه .

فأتمروا بألا يصل اليك من علم أخبار الناس شيء الا ما أرادوا ، ولا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم الا عابوه عندك حتى تسقط منزلته ويصغر قدره ، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم ، أعظمتهم الناس وهابوهم ، فكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والاموال ، ليقووا بها على ظلم رعيتك .

ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا به ظلم من دونهم ، فامتلأت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا ، وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك ، وأنت غافل ، فان جاء متظلم حيل بينه وبين دخول مدينتك ، فان أراد رفع قصته اليك عند ظهورك ، وجدك قد نهيت عن ذلك وأوقفت للناس رجلا ينظر في قطاعهم ، فان جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتَكَ خبره ، سألوا صاحب المظالم : الا يرفعَ مظلمته اليك ، فان المتظلم منه له به حرمة

فلا يزال المظلوم يختلف اليه ويلوذ به ، ويشكو ويستغيث ، وهو يدفعه وَيَعْتَلُ به ، فاذا اجهدَ وأحرِجَ وظهرت ، صرخ بين يديك ، فضرب ضربا مبرحا ؟ ليكون نكالا لغيره ، وأنت تنظر فلا تكر فما بقاءُ الاسلام بعد هذا !

وقد كنت اسافر الى الصين ، فقدمتها مرة وقد اصيب ملكها بسمعه ، فبكى يوما بكاءا شديدا ، فحثه جلساؤه على الصبر فقال : أما انى لست

أبكى للبلية النازلة بى ، ولكن أبكى لمظلوم بالباب يصرخ ولا أسمع صوته، ثم قال : أما اذا ذهب سمعى ، فان بصرى لم يذهب ، نادوا فى الناس الا يلبس ثوبا أحمر الا متظلم ، ثم كان يركب الفيل طرفى نهاره وينظر هل يرى مظلوما ؟

فهذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله غلبت رأفته بالمشركين شح نفسه ، وأنت مؤمن بالله ، ثم من أهل بيت نبيه لا تغلب رأفتك بالمسلمين شح نفسك ! فان كنت انما تجمع المال لولدك ، فقد أراك عبرا فى الطفل يسقط من بطن امه وماله على الارض مال ، وما من مال الا ودونه يد شحيحة تحويه ، فما يزال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس اليه ، ولستَ بالذى تعطى ، بل الله يعطى من يشاء ما يشاء ، وان قلت : انما أجمع المال لتشديد السلطان فقد آراك الله عبرا فى بنى امية • ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة ، وأعدوا من الرجال والسلاح والكراع ، حتى أراد الله بكم ما أراد • وان قلتَ : انما أجمع المال لطلب غاية هى أجسم من الغاية التى أنا فيها ، فو الله ما فوق ما أنت فيه الا منزلة لا تدرك الا بخلاف ما أنت عليه يا أمير المؤمنين ، هل تعاقب من عصاك بأشد من القتل ؟ •

قال المنصور : لا • قال فكيف تصنع بالملك الذى خولك ملك الدنيا وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل ! ولكن بالخلود فى العذاب الاليم ، قد رأى ما قد عقد عليه قلبك وعملته جوارحك ونظر اليه بصرك واجترحته يداك ، ومشت اليه رجلاك ، هل يغنى عنك ما شححت عليه من ملك الدنيا اذا انتزعه من يدك ودعاك الى الحساب !

فبكى المنصور وقال : ياليتنى لم اخلق ، ويحك ! فكيف احتال لنفسى قال : يا أمير المؤمنين ! ان للناس أعلاما يفزعون اليهم فى دينهم

ويرضون بهم فاجعلهم بطانتك يرشدوك ، وشاورهم فى أمرك يسددوك قال : قد بعثت اليهم فهربوا منى • فقال : خافوا أن تحملهم على طريقتك ، ولكن افتح بابك ، وسهل حجابك ، وانصر المظلوم ، واقمع الظالم ، وخذ الفيء والصدقات مما حل وطاب واقسم بالحق والعدل على أهله ، وأنا الضامن عنهم أن يأتوك ويسعدوك على صلاح الامة •

وجاء المؤذنون فسلموا عليه ، فصلى وعاد الى مجلسه وطلب الرجل فلم يجده •

سادساً : « الشجاعة »

والشجاعة مظهر عربى أصيل وسجية يعربية متأصلة فى نفوس العرب أملتها طبيعتهم • وتاريخ العروبة مليىء بالبطولات الفذة والشجاعات الخارقة ، كما وقد برز فى ميدان البطولة والرجولة مئات بل ألوف من أبطال العرب وشجعانهم سواء كان فى عهد جاهليتهم أم بعد الاسلام وهاك بعضها •

١ ـ قوة وبطش :

كان هلال فارسا شجاعا شديد البأس والبطش أكثر الناس أكلا وأعظمهم فى الحرب غناءا ، وكان يرد مع الابل فيأكل ما وجد عند أهله ثم يرجع اليها ولا يتزود طعاما ولا شرابا حتى يرجع يوم ورودها ، لا يذوق فيما بين ذلك طعاما ولا شرابا •

كان يوما فى ابل له ، وذلك عند الظهيرة فى يوم شديد الحر محتدم الهاجرة ، وقد عمد الى عصاه فطرح عليها كساءه ثم أدخل رأسه تحت كسائه من الشمس ، فبينما هو كذلك اذ مر به رجلان ، أحدها من بنى نهشل ، والآخر من بنى فقيم ، كانا أشد تميميين فى ذلك الزمان بطشا ، وقد أقبلا من البحرين ، ومعهما أنواط من تمر هجر وكان هلال بناحية الصعاب وهو جبل بين اليمامة والبحرين •

فلما انتهيا الى الابل ـ ولا يعرفان هلالا بوجهه ولا يعرفان ان الابل له ـ ناديا ، يا راعى ، أعندك شراب تسقينا ؟ وهما يظنانه عبدا فناداهما هلال ورأسه تحت كسائه : عليكما بالناقة التى صفتها كذا فى موضع كذا ، فأنيخاها ، فان عليها وطبين من لبن فاشربا منها ما بدا لكما فقال له أحدهما ويحك انهض يا غلام فأت بذلك اللبن ! فقال لهما : ان تك لكما حاجة فستأتيانها فتحدران الوطبين فتشربان •

فقال أحدهما : انك لغيط الكلام ، قم فاسقنا ، ثم دنا من هلال وهو على تلك الحال ، فقال لهما ـ حيث قال له أحدهما : انك لغيط الكلام ـ أراكما والله ستلقيان هوانا وصغارا ، وسمعا ذلك منه ، فدنا أحدهما فأهوى له ضربا بالسوط على عجزه وهو مضطجع ، فتناول هلال يده فاجتذبه اليه ، ورماه تحت فخذه ، ثم ضغطه ضغطة فنادى صاحبه : ويحك أغثنى قد قتلنى ! فدنا صاحبه منه ، فتناوله هلال أيضا فاجتذبه فرمى به تحت فخذه الاخرى ، ثم أخذ برقابهما فجعل يصك برأسيهما بعضا ببعض وهما لا يستطيعان أن يمنعا منه •

فقال أحدهما : كن هلالا ولا تبالى ما صنعت ! فقال لهما : أنا والله هلال ، لا والله لا تفلتان منى حتى تعطيانى عهدا وميثاقا لا تخيسان به لتأتيان المربد اذا قدمتما البصرة ، ثم لتناديان بأعلى أصواتكما بما كان منى ومنكما ، فعاهداه وأعطياه نوطا من التمر الذى معهما ، وأتيا البصرة فبرا بوعديهما •

٢ ـ لا تعرضوا لهذا الشيطان :

حدث خالد عن كنيف بن عبدالله المازنى قال : كنت يوما مع هلال ونحن نبغى ابلا لنا ، فقدمنا الى قوم من بكر بن وائل وقد تعبنا وعطشنا واذا نحن بفتية شباب عند ركية لهم وقد وردت ابلهم ، فلما رأوا هلالا استهولوا خلقه وقامته •

فقام رجلان منهم اليه ، فقال له أحدهمـا : يا عبدالله ، هل لك فى الصراع ؟ فقال له هلال ، أنا الى غير ذلك أحوج ، قال : وما هو ؟ قال : الى لبن وماء فانى تعب ظمآن ! قال : ما أنت بذائق من ذلك شيئا حتى تعطينا عهدا لتجيبنا الى الصراع اذا أرحتَ ورويتَ .

فقال لهما هلال : اننى لكم ضيف والضيف لا يصارع رب منزله ، وانتم مكتفون من ذلك بما أقول لكم : اعمدوا الى أشد فحل من ابلكـم وأهيبه صولة ، والى أشد منكم ذراعا ، فان لم أقبض على هامة البعير وعلى يد صاحبكم فلا يمتنع الرجل والبعير حتى ادخل يد الرجل فى فم البعير ، فان لم أفعل ذلك فقد صرعتمونى ، وان فعلته علمتم ان صراع أحـدكـم أيسر عليّ من ذلك . فعجبوا من مقالته تلك ، وأومأوا الى فحل فى ابلهم هائج صائل فأتاه هلال ومعه نفر من اولئك القوم وشيخ لهم ، فأخذ بهامة الفحل مما فوق مشفره ، فضغطها ضغطة ، جرجر الفحل واستخدى ورغا وقال : ليعطينى من أحببتم يده اولجها فى فم هذا الفحل .

فقال الشيخ : يا قوم تنكبوا هذا الشيطان ، فوالله ما سمعت هذا الفحل رغرغ وجرجر منذ بزل ، فلا تعرضو لهذا الشيطان ، وجعلوا يتبعونـــه وينظرون الى خطوه ويعجبون منه حتى جازهم .

٣ ـ هلال يصارع عبدا جبارا :

سمع رهط هلالا يقول : قدمت المدينة ، وعليها رجل من آل مروان، فلم أزل أضع عن ابلى ، وعليها أحمال للتجار ، حتى اخذ بيدى وقيل لى أجب الامير .

قال : قلت لهم : ويلـكم ابلى وأحمالى ، فقيل : لا بأس على ابلك وأحمالك ، قال : فانطلق بى حتى ادخلت على الامين فسلمت عليه ثم قلت : جعلت فداك ابلى وأمانتى ! فقال : نحن ضامنون لابلك وأمانتك حتى نؤديها

اليك فقلت عند ذلك : فما حاجة الامير اليّ ! جعلنى الله فداه ، فقال لى ـ والى جنبه رجل أصفر لا والله ما رأيت رجلا قط أشد منه ، ولا أغلظ عنقا ، ما أدرى أطوله أكثر أم عرضه ؟ ان هذا العبد الذى ترى ، لا والله ما ترك بالمدينة عربيا يصارع الا صرعه . وبلغنى عنك قوة فأردت أن يجرى الله صرع هذا العبد على يدك ، فتدرك ما عنده من أوتارالعرب ، قال : فقلت : جعلنى الله فداء الامير ، انى تعب جائع ، فان رأى الامير أن يدعنى حتى أضع عن ابلى وأؤدى امانتى ، واريح يومى ، وأجيئه غدا فليفعل .

فقال لاعوانه : انطلقوا معه فأعينوه على الوضع عن ابله وادوا امانته ، وانطلقوا به الى المطبخ فأشبعوه ، ففعلوا جميع ما أمرهم به ، قال : فظللت بقية يومى ذلك ، وليلتى تلك بأحسن حال شبعا وراحة وصلاح أمر ، فلما كان من الغد غدوت عليه وعليّ جبة من صوف ، وليس عليّ أزار الا انى قد شددت بعمامتى وسطى ، فسلمت عليه فرد عليّ السلام ، وقال للاصفر قم اليه فقد أرى الله أتاك بما يخزيك ، فقال العبد : ائتزر يا أعرابى فأتزرت على جبتى ، فقال : هيهات ! هذا لا يثبت ، اذا قبضت عليه جاء فى يدى ، فقلت : والله مالى من ازار سواه .

قال : فدعا الامير بملحفة ما رأيت قبلها ولا على جلدى مثلها فشددت بها على خصرى وخلعت الجبة .

قال : وجعل العبد يدور حولى ويريد قتلى وأنا منه وجل ، ولا أدرى كيف أصنع به ، ثم دنا منى دنوة ، فنقد جبهتى بظفره نقدة ظننت انه قد شجنى وأوجعنى ، فغاظنى ذلك ، فجعلت أنظر فى خلقه بم أقبض عليه منه . فما وجدت فى خلقه شيئا أصغر من رأسه ، فوضعت ابهامى فى صدغه وأصابعى الاخرى فى أصل اذنيه ، ثم غمزته غمزة صاح منها قتلنى، قتلنى ، فقال الامير : اغمس رأس العبد فى التراب ، فقلت له : ذلك عليّ

قال : فغمست والله رأسه فى التراب ، ووقع فيها مغشيا عليـــه ، فضحك الامير حتى استلقى وأمر لى بجائزة وصلة وكسوة وانصرفت .

٤ ـ مصرع الزباء ـ الثأر ضرب من ضروب الشجاعة :

كان جذيمة قد ملك على شاطىء الفرات وكانت الزباء ملكة الجزيرة وكان جذيمة قد وترها بقتل أبيها ، فلما استجمع أمرها ، وانتظم شمل ملكها أحبت أن تغزو جذيمة ، ثم رأت أن تكتب اليه ، انها لم تجد ملك النساء الا قبحا فى السماع ، وضعفا فى السلطان ، وانها لم تجد لملكهـــا موضعا ولا لنفسها كفؤاً غيرك ، فأقبل الي لاجمع ملكى الى ملكك ، وأصل بلادى ببلادك وتقلد أمرى مع أمرك .

فلما أتى كتابها جذيمةَ وقدِم عليه رسلها استخفه ما دعته اليه ، ورغب فيما اطمعته فيه ، فجمع أهل الحجا والرأى من ثقاته ـ وهو يومئذ ببقعة من شاطىء الفرات ـ وعرض عليهم ما دعته اليه وعرضت ، فاجتمع رأيهم على أن يسير اليها ويستولى عليها .

وكان فيهم قصير ـ وكان أريبا حازما أثيرا عند جذيمة ـ فخالفهم فيما أشاروا به وقال : رأى فاتر وغدر حاضر ثم قال لجذيمة : الرأى أن تكتب اليها فان كانت صادقة فى قولها فلتقبل اليك ، والا لم تمكنهـــا من نفسك ، ولم تقع فى حبائلها ، وقد وترتها وقتلت أباها ، فلم يوافق جذيمة وسفّه رأيه .

ودعا جذيمة عمرواً بن عدى ابن اخته فاستشاره ، فشجعه على المسير وقال : ان قومى مع الزباء ولو رأوك لصاروا معك ، فأحب جذيمة ما قاله وعصا قصيرا فقال قصير : لا يطاع قصير لقصير أمر .

واستخلف جذيمة عمرواً بن عدى على ملكه وسلطانه ، وسار فى وجوه أصحابه على الفرات من الجانب الغربى ، فلما نزل دعا قصيرا فقال :

ما الرأى يا قصير ؟ فقال قصير : ببقة خلقت الرأى ، قال وما ظنك بالزباء ؟ قال : القول رداف والحزم عثرات تخاف .

واستقبله رسل الزباء بالهدايا والألطاف ، فقال : يا قصير كيف ترى ؟ قال : خطب يسير فى خطب كبير ، وستلقاك الجيوش ، فان سارت أمامك فالمرأة صادقة ، وان أخذت جنبتيك وأحاطت بك من خلفك فالقوم غادرون بك ، فاركب العصا ـ اسم فرسه ـ فانها لا يشق غبارها ـ وكانت العصا فرسا لجذيمة لا تجارى ـ وانى راكبها ومسايرك عليها .

فلقيته الخيول والكتائب فحالت بينه وبين العصا ، فركبها قصير ، ونظر اليه جذيمة على متن العصا موليا : وجرت به الى غروب الشمس ، وقد قطعت أرضا بعيدة .

وسار جذيمة وقد أحاطت به الخيل حتى دخل على الزباء ، فلما رأته قالت : هيئة عروس نرى ؟ فقال : أمر غدر أرى ، ثم دعت بالسيف والنطع وقالت : ان ماء الملوك شفاء من الكلب ، فأمرت بطشت من ذهب قد أعدته له وسقته الخمر حتى سكر وأخذت منه الخمر فأخذها ، فأمرت براهشية فقطعا وقدمت اليه الطست وقد قيل لها : ان قطر من دمه شىء فى غير الطست طلب فى دمه ـ فلما ضعفت يداه سقطت فقطر من دمه فى غير الطست فقالت : لا تضيعوا دم الملك . فقال جذيمة دعوا دما ضيعه أهله فهلك جذيمة .

وخرج قصير من الحى الذى هلكت فيها العصا حتى قدم على عمرو بن عدى ـ وهو بالحيرة ـ فقال له قصير : أثائر أنت ؟ قال : بل ثائر سائر . فقال : قصير تهيأ واستعد ولا تطلن دم خالك . قال : وكيف لى بها وهى أمنع من عقاب الجو .

وكانت الزباء سألت كاهنة لها عن هلاكها ، فقالت : أرى هلاكك

بسبب غلام مهين غير أمين ، وهو عمرو بن عدى ولن تموتى بيده ، ولكن حتفك بيدك ومن قبله ما يكون من ذلك .

فحذرت عمرواً واتخذت لها نفقا من مجلسها الذى كانت تجلس فيه الى حصن لها فى داخل مدينتها ، وقالت : ان فاجأنى أمر دخلت النفق الى حصنى ودعت رجلا مصورا من أجود أهل بلاده تصويرا ، وأحسنهم عملا فجهزته وأحسنت اليه ، وقالت سر حتى تقدم على عمرو متنكرا فتخلوا بحشمه فتنعم اليهم ، وتخالطهم وتعلمهم من عندك من علم التصوير . ثم اثبت لى عمرو بن عدى معرفة ، تصوره جالسا وقائما ومتسلحا بهيئته ولباسه ولونه ، فاذا أحكمت ذلك فاقبل الىّ .

فانطلق المصوّر حتى قدم على عمرو بن عدى ، وصنع الذى أمرته به الزباء ، وبلغ من ذلك ما أوصته به ، ثم رجع الى الزباء يعلم ما وجهته له من الصورة على ما وصفت وأرادت أن تعرف عمرواً بن عدى . فلا تراه على حال الا عرفته وحذرته وعلمت علمه .

وقال قصير لعمرو بن عدى : اجدع انفى واضرب ظهرى ودعنى واياها ، فقال عمرو : ما أنا بفاعل ، وما أنت لذلك مستحقا عندى . فقال قصير : خل عنى . فقال له عمرو : فأنت أبصر ، فجدع أنفه وأثر آثارا بظهره فقالت العرب لامر ما جدع قصير أنفه .

ثم خرج قصير كأنه هارب ، وأظهر ان عمرواً فعل ذلك به ، وانه زعم أنه مكر بخاله جذيمة ، وغره ، فسار حتى قدم على الزباء ، فقيل لها : ان قصيرا فى الباب . فأمرت به فادخل ، فاذا أنفه قد جدع ، وظهره قد ضرب ، فقالت : ما الذى أرى بك يا قصير ؟ قال : زعم عمرو انى قد غررت خاله ، وزينت له المصير اليك وغششته ومالأتك ، ففعل بى ما ترين . فأقبلت اليك . فأكرمته وأصابت عنده من الحزم والرأى ما أرادت .

فلما عرف انها استرسلت اليه ، ووثقت به قال : ان لي بالعراق أموالا كثيرة وطرائف وثيابا وعطرا فأبعثيني الى العراق ، لاحمل مالي وأحمل اليك من بزّها وطرائفها وثيابها وطيبها ، لتصيبني من ذلك أرباحا عظيمة ، فلم يزل يزين ذلك حتى أذنت له ، ودفعت اليه أموالا وجهزت معه عبيدا .

فسار قصير بما دفعت اليه حتى قدم العراق ، وأتى الحيرة متنكرا ، فدخل على عمرو بن عدى ، فأخبره الخبر ، وقال : جهزني بصنوف البزّ والامتعة لعل الله يمكنك من الزباء ، فتصيب ثأرك ، وتقتل بعدوك ، فأعطاه حاجته .

فرجع بذلك الى الزباء ، فأعجبها ما رأت وسرها ، وأزدادت به ثقة وجهزته ثانية ، فسار حتى قدم على عمرو . فجهزه وعاد اليها .

ثم عاد الثالثة وقال لعمرو : اجمع لى ثقات أصحابك وهيىء الغرائر وأحمل رجلين على بعير فى غرارتين ، فاذا دخلوا مدينة الزباء أقمتك على باب نفقها ، وخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا بأهل المدينة ، فمن قاتلهم قتلوه ، وأن أقبلت الزباء النفق جللتها بالسيف .

ففعل عمرو ذلك ، وحمل الرجال فى الغرائر بالسلاح ، وسار يكمن النهار ويسرى بالليل فلما صار قريبا من مدينتها تقدم قصير فبشرها وأعلمها بما جاء به من المتاع والطرائف وقال لها : آخر البزّ على القلوص . وسألها أن تخرج فتنظر الى ما جاء به ، وقال لها : جئت بما خَفّ ونفع .

ثم خرجت الزباء فأبصرت الابل تكاد قوائمها تسوخ فى الارض من ثقل أحمالها ، فقالت : يا قصير :

ما للجمال مشيها وئيدا   أجندلا يحملن أم حديدا

فقال قصير فى نفسه : بل الرجال قبّصا قعودا .

فدخلت الابل المدينة حتى كان آخرها بعيرا مر على بواب المدينة ، وكانت بيده منخسة ، فنخس الغرارة ، فأصابت خاصرة الرجل الذى فيها فسمع له صوتا فقال شر فى الجوالق .

فلما توسطت الابل المدينة انيخت ودل قصير عمرواً على باب النفق الذى كانت الزباء تدخله ، وأرته اياه قبل ذلك ، وخرج الرجال من الغرائر ، فصاحوا بأهل المدينة ووضعوا فيهم السلاح ، وقام عمرو على باب النفق وأقبلت الزباء تريده ، فأبصرت عمرواً فعرفته بالصورة التى صُوِّرت لها ، فمصت خاتمها ـ وكان فيه السم ـ وقالت بيدى لا بيد عمرو . وتلقاها عمرو فجللها بالسيف وقتلها ، وأصاب ما أصاب من المدينة وأهلها ، وانكفأ راجعا الى العراق .

٥ ـ شجاعة صفية بنت عبدالمطلب :

قالت صفية بنت عبدالمطلب : كان حسان بن ثابت معنا فى ـ حصن بالمدينة ـ يطوف يوم الخندق ومعنا النساء والصبيان ، فمر بها رجل من اليهود ، فجعل يطوف بالحصن ، فقلت : يا حسان ، ان هذا اليهودى كما ترى يطوف بالحصن ، وأنا والله لا آمن أن يدل علينا من وراءنا من اليهود ورسول الله قد شغل عنا فانزل اليه واقتله فقال : يغفر الله لك يا بنت عبدالمطلب لقد عرفت ما أنا بصاحب شجاعة .

قالت : فلما قال لى ذلك ، ولم أر عنده شيئا اعتجرت ثم أخذت عمودا ونزلت اليه من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته ، فلما فرغت منه ، رجعت الى الحصن ، وقلت : يا حسان انزل اليه فاسلبه ، فانه لم يمنعنى من سلبه الا انه رجل ، فقال : ما لى بسلبه من حاجة يا بنت عبدالمطلب .

٦ ـ شجاعة المصون أسماء بنت أبى بكر وصلابتها فى الحق :

ثارَ عبدالله بن الزبير على بنى امية بعد مقتل أخيه مصعب فى العراق

ووجه الامويون لحربه الحجاج بن يوسف الثقفى فحاصر مكة حصارا شديدا ولعدة أيام ورمى الكعبة بالمنجنيق حتى قتل أصحاب ابن الزبير وتفرق الباقون عنه •

فدخل ابن الزبير على امه حين رأى من الناس ما رأى من خذلانهم له فقال : يا اماه خذلنى الناس حتى ولدى وأهلى فلم يبق معى الا اليسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة ، والقوم يعطوننى ما أردت من الدنيا فما رأيك ؟ •

فقالت : أنت والله يا بنى أعلم بنفسك ، وان كنتَ تعلم أنك على حق واليه تدعو فامض له ، فقد قتل عليه أصحابك ، ولا تمكن من رقبتك يتلعب بها غلمان بنى امية ، وان كنت انما أردت الدنيا فبئس العبد أنت ، أهلكت نفسك ، وأهلكت من قتل معك وان قلت : كنتُ على حق ، فلما وهن أصحابى ضعفت فهذا ليس فعل الاحرار ولا أهل الدين •• وكم خلدوك فى الدنيا ، القتل أحسن ، والله لضربة بالسيف فى عز أحب اليّ من ضربة بسوط فى ذل ، قال : انى أخاف أن قتلونى أن يمثلوا بى ، قالت : يا بنى ان الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها •

فدنا ابن الزبير ، وقبل رأى امه وقال : هذا والله رأيى ، والذى قمت به داعيا الى يومى هذا ، ما ركنت الى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها ، وما دعانى الى الخروج الا الغضب لله أن تستحل حرمته ، ولكن أحببت أن أعلم رأيك فزدتينى بصيرة ، مع بصيرتى ، فانظرى يا اماه فانى مقتول من يومى هذا ، فلا يشتد حزنك ، وسلمى لامر الله ، فان ابنك لم يتعمد اتيان منكر ولا عملا بفاحشة ، ولم يجرْ فى حكم الله ، ولم يغدر فى أمان، ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد ، ولم يبلغنى ظلم من عمالى فرضيت به بل أنكرته ، ولم يكن شيء آثر عندى من رضاء ربى ، اللهم انى لا أقول هذا

تزكية منى لنفسى ، فأنت أعلم بى ، ولكن أقوله لامى لتسلو عنى .

فقالت أمه : انى لارجو من الله أن يكون عزائى فيك حسنا ان تقدمتنى وان تقدمتك ، ففى نفسى حرج حتى أنظر الامَ يصير أمرك ، قال : جزاك الله خيرا يا اماه ، فلا تدعى الدعاء لى قبلُ وبعدُ . فقالت : لا أدعه أبدا فمن قتل على باطل فقد قتل على حق ، ثم قالت : اللهم ارحم طول ذلك القيام فى الليل الطويل ، وذلك النحيب والظمأ فى هواجر المدينة ومكة وبره بأبيه وبى ، اللهم قد سلمته لامرك فيه ، ورضيت بما قضيت فأثبنى فى عبدالله ثواب الصابرين الشاكرين .

ثم ودعها وقاتل ببسالة حتى قتل ، وقد أمر القائد بتعليقه على خشبة أعدها لهذا وأقسم ألا ينزل عنها حتى تلتمسه امه أسماء ذات النطاقين وبقى معلقا ثلاثة أيام فخرجت أسماء وهى مكفوفة البصر تتلمس طريقها الى موضع شنقه ، فلما قيل لها هذا مكانه . وقفت وقالت :
ما هو مأثور عنها حتى الآن (أما آن لهذا الفارس أن يترجل) فاعتبر القائد الاموى ذلك منها التماسا فأمر بانزاله .

٧ ـ أجبن الناس واحيل الناس واشجع الناس :

دخل عمرو بن معد يكرب على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال له عمر : يا عمرو ، أخبرنى عن أشجع من لقيت ، فقال : والله يا أمير المؤمنين لاخبرنك عن أجبن الناس وأحيل الناس وأشجع الناس : خرجت مرة اريد الغارة ، فبينما أنا أسير اذ بفرس مشدود ورمح مركوز واذا رجل جالس ، وهو كأعظم ما يكون من الرجال خلقا ... وكان متوشحا سيفا .

وقلت له : خذ حذرك فانى قاتلك . فقال : ومن أنت ؟ قلت : أنا عمرو بن معد يكرب ، فشهق شهقة فمات . وكان من فارس أصلا وموطنا فهذا أجبن من رأيت يا أمير المؤمنين .

وخرجت يوما انتهيت الى حي ، فاذا أنا بفرس مشدود ، ورمح مركوز ، واذا صاحبه في وهدة يقضي حاجته .

فقلت : خذ حذرك فاني قاتلك . قال : من أنت ؟ قلت أنا عمرو بن معد يكرب . قال : أبا ثور ، ما أنصفتني ! أنت على ظهر فرسك وأنا في بئر ، فاعطني عهدا انك لا تقتلني حتى أركب فرسي ، وآخذ حذري ، فأعطيته عهدا أن لا أقتله حتى يركب فرسه ، ويأخذ حذره فخرج من الموضع الذي كان فيه ، حتى تجند بسيفه وجلس . فقلت له : ما هذا ؟ فقال : ما أنا براكب فرسي ، ولا بمقاتلك ، فان نكثت عهدك فأنت أعلم ، فتركته ومضيت ، فهذا يا أمير المؤمنين أحيل من رأيت .

ثم اني خرجت يوما آخر ، حتى انتهيت الى موضع كنت اقطع فيه ، فلم أر أحدا ، فأجريت فرسي يمينا وشمالا ، فظهر لي فارس فلما دنا مني اذا هو غلام قد أقبل من اليمامة . فلما قرب مني سلمَ فرددت عليه وقلت : من الفتى ؟ قال : أنا الحارث بن سعد فارس الشهباء ، فقلت له خذ حذرك فاني قاتلك ، فقال : الويل لك ! من أنت ؟ قلت أنا عمرو بن معد يكرب . قال : الحقير الذليل ؟ والله ما يمنعني من قتلك الا استصغارك ، فتصاغرت نفسي اليَ وعظم عندي ما استقبلني به .

فقلت له : خذ حذرك ، فو الله لا ينصرف الا أحدنا . قال : اغرب ثكلتك امك ، فاني من أهل بيت ما نكلنا عن فارس قط ! فقلت : هو الذي تسمع . قال : اختر لنفسك . أما أن تطرد لي وأما أن أطرد لك فاغتنمتها منه ، فقلت : اطرد لي ، فأطرد فحملت عليه ، حتى اذا قلت : اني وضعت الرمح بين كتفيه ، اذا هو صار حزاما لفرسه ، ثم اتبعني ، فقرع بالقناة رأسي ، فقال : يا عمرو خذها اليك واحدة ، فو الله لولاني اكره قتلك لقتلتك ؟ فتصاغرت الي نفسي وكان الموت ــ والله يا أمير المؤمنين ، أحب اليَ مما رأيت فقلت : والله لا ينصرف الا أحدنا ، فقال : اختر لنفسك ،

فقلت : اطرد لي ، فأطرد لي ، فظننت اني قد تمكنت منه ، واتبعته حتى اذا قلت : اني قد وضعت الرمح بين كتفيه ، فاذا هو قد صار لبيا لفرسه ، ثم اتبعني فقرع رأسي بالقناة ، وقال : يا عمرو خذها اليك ثانية ، فتصاغرت الي نفسي ، فقلت : والله لا ينصرف الا أحدنا .

فقال : اختر لنفسك . فقلت : اطرد لي . فأطرد حتى اذا قلت : اني وضعت الرمح بين كتفيه ، وثب عن فرسه ، فاذا هو على الارض ، فأخطأته ومضيت . فاستوى على فرسه ، واتبعني فقرع بالقناة رأسي وقال : يا عمرو ، خذها اليك ثالثة . ولولا اني أكره قتل مثلك لقتلك .

فقلت له : اقتلني ، فان الموت أحب الي مما أرى بنفسي ، وان تسمع فتيان العرب بهذا . فقال : يا عمرو ، انما العفو ثلاث ، واني ان استمكنت منك الرابعة قتلتك وأنشأ يقول :

وكدت اغلاظا من الايمان ... ان عدت يا عمرو الى الطعان
لتوجرن لهب السنان ... اولا ، فلست من بني شيبان

فلما قال هذا ، كرهت الموت ، وهبته هيبة شديدة ، وقلت : ان لي حاجة . قال : وما هي ؟ قلت : اكون لك صاحبا ورضيت بذلك يا أمير المؤمنين . قال : لست من أصحابي . فكان ذلك والله أشد علي وأعظم مما صنعت .

فلم أزل أطلب اليه حتى قال : ويحك ! وهل تدرى أين أريد ؟ قلت : لا . قال : اريد الموت عيانا . فقلت : رضيت بالموت معك _ فقال : امض بنا ، فسرنا جميع يومنا وليلتنا حتى مضى الليل وذهب شطره . فدرنا على حي من أحياء العرب ، فقال لي : يا عمرو ، في هذا الحي الموت ، ثم أومأ الى قبة في الحي ، فقال : وفي تلك القبة الموت الاحمر ، فأما أن تمسك على فرسي ، فانزل ، فآتي بحاجتي ، وأما أن أمسك عليك فرسك ، فتنزل

فتأتيني بحاجتي ، فقلت : لا بل انزل أنت ، فانت أعرف بموضع حاجتك ، فرمى الى بعنان الفرس ونزل ، فرضيت لنفسي يا أمير المؤمنين أن أكون له سائسا .

ثم مضى حتى دخل القبة ، فاستخرج منها جارية ، لم ترَ عيناى قط مثلها حسنا وجمالا ، فحملها على ناقة ، ثم قال : يا عمرو . قلت لبيك ! قال : عليك بزمام الناقة .

وسرنا بين برية وهو خلفنا حتى أصبحنا ، فقال لى : يا عمرو . قلت: لبيك ما تشاء ؟ قال : التفت ، فانظر هل ترى أحدا ؟ فالتفت ، وقلت : أرى جمالا ، قال : اغذ السير ، ثم قال لى : يا عمرو . فقلت لبيك ! قال انظر ، فان كان القوم قليلا ، فالجلد والقوة والموت ، وان كانوا كثيرا فليسوا بشيء فالتفت ، فقلت : هم أربعة أو خمسة ، قال : اغذ السير ، وسمع وقع الخيل، فقال لى : يا عمرو ، قلت : لبيك ، قال : كن على يمين الطريق ، وقف وحول وجوه دوابنا الى الطريق ، ففعلت ووقفت على يمين الراحلة ووقف هو على يسارها .

ودنا القوم منا ، فاذا هم ثلاثة نفر فيهم شيخ وهو أبو الجارية ، وأخواها وهما غلامان شابان ، فسلموا فرددنا السلام ، ووقفوا عن يسار الطريق .

فقال الشيخ : خلِ عن الجارية يا ابن أخى ، فقال : ما كنت لاخليها فقال لاصغر ابنيه : اخرج اليه ، فخرج وهو يجر رمحه وحمل عليه الحارث وهو يقول :

من دون ما ترجوه خضب الذابل   من فارس مستلثم مقاتل
ينمى الى شيبان خير وائل   ما كان سيرى نحوها بباطل

ثم شد عليه فطعنه طعنة دق منها صلبه ، فسقط ميتا .

ثم قال الشيخ : لابنه الآخر : اخرج اليه يا بنى ، فلا خير فى الحياة على الذل فخرج اليه ، وأقبل الحارث يقول :

لقد رأيت كيف كانت طعنتى والطعن للقرن الشديد همتى
والموت خير من فراق خلتى فقتلتى اليوم ولا مذلتى

ثم شد عليه فطعنه طعنة سقط منها ميتا .

فقال الشيخ خل الضعينة يا ابن أخى ، فأنا لست كمن رأيت ، قال : ما كنت لاخليها ولا لهذا قصدت . فقال له الشيخ : اختر يا ابن أخى ، فان شئت طاردتك ، وان شئت نازلتك فاغتنمها الفتى ونزل . ونزل الشيخ وهو يقول :

ما أرتجى بعد فناء عمرى سأجعل السنين مثل الشهر
شيخ يحامى دون بيض الخدر ان استباحَ البيض قصم الظهر
سوف ترى كيف يكون صبرى

فأقبل الحارث وهو يقول :

بعد ارتحالى وطويل سفرى وقد ظفِرت وشفيت صدرى
والموت خير من لباسِ الغدر والعارَ أهديه لحى بكر

ثم دنا فقال له الشيخ : يا ابن أخى ، ان شئت نازلتك ، وان بقيت فيك قوة ضربتنى، وان شئت فاضربني ، فان بقيت فيَّ قوة ضربتك فاغتنمها الفتى ، فقال : وانا ابدؤك . قال : هات ، فرفع الحارث السيف فلما نظر الشيخ انه قد أهوى به على رأسه ، ضرب بطنه ضربة فقدّ معاه ووقعت ضربة الحارث فى رأسه ، فسقطا ميتين .

فأخذت يا أمير المؤمنين أربعة أفراس وأربعة أسياف ثم أقبلت على الناقة فعقدت أعنة الافراس بعضها الى بعض وجعلت أقودها. فقالت الجارية يا عمرو ، الى أين ؟ ولست لى بصاحب ، ولست كمن رأيت ،ولو كنتَ صاحبى لسلكت سبيلهم ! فقلت : اسكتى ، قالت : فان كنت صادقا فاعطنى سيفا ورمحا ، فان غلبتنى فانا لك ، وان غلبتك قتلتك .

فقلت لها : ما أنا بمعطيك ذلك . وقد عرفت أصلك ، وجرأة قومك وشجاعتهم ، فرمت بنفسها عن البعير وهى تقول :

أبعدَ ما شيخى وبعد اخوتى أطلب عيشا بعدهم بلــذة
هل لا تكون قبل ذا منيتى

وأهوت الى الرمح فكادت تنتزعه من يدى ، فلما رأيت ذلك خفت ان هى ظفرت بى أن تقتلنى ، فقتلتها .

فهذا أشد ما رأيته يا أمير المؤمنين من الشجاعة. فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : صدقتَ يا عمرو :

٨ ـ عند الموت :

حُمِلَ هدبةُ بنُ خشرم العذرى الى معاوية ، وقد سبق له أن قتل زيادة بن زيد العذرى ، وتقدم عبدالرحمن أخو زيادة فادعى عليه ، فقال له معاوية ما تقول ؟ قال : أتحب أن يكون الجواب شعرا أم نثرا ؟ قال : بل شعرا ، لانه امتع ! فقال هدبةُ :

فلمــا رأيت انمــا هى ضربــة من السيف أو اغضاء عين على وتر
عمدت لامر لا يعيّــر والــذى خزايتــه ولا يسسب بــه قبرى
رَمينــا فرامينــا فصــادف سهمنا منية نفس فى كتاب وفى قــدر
وأنت أمــير المؤمنــين فمــا لنــا وراءك من معدى ولا عنك من قصر

فقال له معاوية : أراك قد أقررت يا هدبة ! قال : هو ذاك . فقال له عبدالرحمن : اقــدنى ، فكره ذلك معاوية ، وضن بهدبة عن القتل .

وكان ابن زيادة صغيرا فوجه به الى المدينة ، وقال :ـ
يحبسُ الى أن يبلــغ فلما بلغ كان والى المدينة سعيد بن العاص .
فمما وقف عليه من قسوته قوله :

ولمــا دخلتُ السجن يا أم مالك ذكرتك والاطراف في حلق سُمر

وعند سعيد غير أن لم أبح بـــه ذكرتك ان الامر يذكر بالامــر

فسئل عن هذا القول فقال : لما رأيت ثغر سعيد ذكرت به ثغرهـا •

ثم انه عرض على ابن زياد عشــر ديات فأبى الا القود ، فلما خرج بهديه ليقاد بالحرة جعل ينشد الاشعار فقالت له ُحبَّى المدينية : ما رأيت أقسى قلبا من قلبك ، أتنشد الاشعار وأنت يمضى بك الى القتل ؟ وهــذه خلفك كأنها ضبى عطشـــان تولول ـ تعنى امرأته ـ فوقف الناس معه فأقبل على حبى فقال :

ما وجدت وجــدى بهـا ام واحد ولا وجـــد حبى لأبن ام كلاب
رأتــهُ طويل الساعدين شـمردلا كمـــا انتعتت من قـــوة وشباب

فأغلقت حبى الباب بوجهه وسدته •

وعرض له عبدالرحمن بن غسان فقال :ـ انشدنى فقال له :ـ أعلى هذا الحال ؟ قال نعم فأنشده :

ولست بمفراح اذا الدهر ســرنى ولا جــازع مــن صرفــه المتقلب
ولا ابتغى الشــر والشــر تاركى ولكن متى أحمل علىالشر أركب
وحــرّ بنى مــولاى حتى غشيته متى ما يحر بك بن عمك تحرب

فلما ُقدّمَ نظر الى امرأتــه فدخلته غيرة" وقد كان جــدع أنفه فى حربهم فقال :

فان يك أنفى بان منــــه جمالــه فما حسبى فى الصــالحين بأجدعا
فلا تنكحى ان فرق الدهر بيننـــا أعم القفا والوجــه ليس بانزعــا

فقالت :ـ قفوا عنه ساعة ثم مضت ورجعت وقــد اصطلمت انفهــا ، فقالت : أهذا فعل من له فى الرجال حــاجة ؟ فقال : الآن طاب الموت ثم أقبل على ابويه فقال :

أبليانى اليـــوم صبـرا منكمــــا ان حــزناً منكما اليــوم لشــر

ما أظن الموت الا هينا ان بعد الموت دار المستقر

ثم قال :

أذا العرش انى عائد بك مؤمن مقر" بذلات اليك فقير

وانى وان قالوا أمير 'مسلط" وحجاب ابواب لهن صرير

لأعلم ان الامر امرك ان تدن فرب وان تغفر فأنت غفور

ثم قال لابن زياد اثبت قدميك ، وَأجد الضرب ، فانى ايتمتك صغيرا وأرملت امك شابة •

٩ - فى غزو الروم :

لما ذهب الرشيد لغزو الروم أخذ يفتح المدن والحصون ويحررها واحدا تلو الاخر حتى اناخ على مدينة هرقلة وهى اوثق حصن واعزه جانبا وامنعه ركنا فتحصن فيها أهلها وكان بابها يطل على وادٍ ولها خندق يحيط بها ولما الح عليهم بالمجانيق والسهام فتح الباب فاذا برجل من اهلها كأكمل الرجال قد خرج فى اكمل السلاح فنادى : قد طالت مواقفتكم لنا فليبرز الىَّ منكم رجلان • ثم لم يزل يزيد حتى بلغ عشرين رجلا ، فلم يجبه أحد فدخل وأغلق باب الحصن •

وكان الرشيد نائما فلم يعلم بخبره الا بعد انصرافه فغضب ولام خدمه وغلمانه وتأسف للامر كثيرا • فقيل له:ان امتناع الناس منه سيقويه ويطغيه فيخرج فى غد ثانية فيطلب مثل ما طلب اليوم فانتظر الرشيد ليلته واصبح كمن ينتظر أمرا جليلا ، فاذا هو بالباب قد فتح ، وخرج الرجل طالبا المبارزة فى يوم شديد الحر وجعل يدعو بأنه يثبت لعشرين منهم •

فقال الرشيد : من له ؟ فأبتدره جملة القواد كهرثمة ويزيد بن مزيد وعبدالله بن مالك وغيرهم فعزم على اخراج بعضهم ، فضجت المطوعة حتى سمع ضجيجهم فأذن الرشيد لعشرين منهم فى المشورة ، فقال قائلهم •

يا أمير المؤمنين ، قوادك مشهورون بالبأس والنجدة وعلو الصيت وممارسة الحروب ، ومتى اخرج واحد منهم فقتله هذا العلج لم يكبر ذلك وان قتل العلج كان وضعه على العسكر ثلمة لا تسد . فان رأى أمير المؤمنين ان يخلينا نختار رجلا فنخرجه اليه ! فان ظفر علم أهل الحصن ان أمير المؤمنين قد ظفر بأعزهم على يد رجل من العامة ، وليس ممن يوهن قتله ولا يؤثر على المسلمين فضله وأن قتل الرجل فانما استشهد في سبيل الله ولم يؤثر ذهابه في العسكر ولم يثلمه ، وخرج اليه رجل بعده مثله حتى يمضي اليه ما شاء .

قال الرشيد : قد استصوبت رأيكم هذا ، فاختاروا رجلا منهم يعرف بأبن الجزر وكان معروفا في شدة البأس والنجدة ، وقال له الرشيد اتخرج ؟ قال نعم واستعين بالله فقال الرشيد : اعطوه فرسا ورمحا وسيفا وترسا فقال الجزري : يا أمير المؤمنين أنا بفرسي أوثق ، ورمحي بيدي أشد، ولكني قد قبلت السيف والترس .

فلبس سلاحه واستدناه الرشيد فودعه واستتبعه الدعاء ، وخرج معه عشرون رجلا من المطوعة . فلما وصلوا الوادي ، قال لهم العلج وهو يعدهم ! انما كان الشرط عشرين رجلا وقد زدتم رجلا حيلة وأصبح عددكم واحدا وعشرين ، ولكن لا بأس ، فنادوه : ليس يخرج اليك منا الا رجل واحد ، فلما فصل منهم ابن الجزري تأمله العلج الرومي وقد أشرف أكثر الروم من الحصن يتأملون صاحبهم ، فقال الرومي للاعرابي : اتصدقني عمَ اتخبوك ؟ قال : نعم . فقال العلج : أنت بالله ابن الجزري ؟ قال : اللهم نعم فأطعنا حتى طال الامر بهما ولم يخدش أحدهما الآخر .

فزج كل منهما برمحه واصلت سيفه ، فتجالدا مليا واشتد الحر عليهما وجعل ابن الجزري يضرب الرومي الضربة التي يرى انه قد بلغ فيها فيصدها الرومي ، وكان ترسه حديدا فيسمع لذلك صوت منكر .

فلما يأس كل منهما من الوصول الى صاحبه انهزم ابن الجزرى فدخلت المسلمين كآبة لم يكتئبوا بمثلها قط • وعطعط الروم اختيالا وتطاولا • وانما كانت هزيمته حيلة مقصودة منه فاتبعه العلج وتمكن منه ابن الجزرى فرماه بأنشوطة حبل وقعت فى عنقه ولم تخطأه فاستله عن فرسه فأسقطه عنها فما وصل الارض حيا حتى فارقه رأسه• فكبر المسلمون أعلى تكبير وانخذل الروم ، وبادروا الباب يغلقونه ، واتصل الخبر بالرشيد فصاح بالقواد : اجعلوا النار فى المجانيق ، وارموها فليس عند القوم دفع • ففعلوا وجعلوا الكتان والنفط على الحجارة وأضرموا فيها النار ، ورموا بها السور فكانت النار تلصق به فتصدعت جدرانه فلما أحاطت النار بالروم فتحوا الباب مستأمنين على حياتهم فتم للعرب فتح ذلك الحصن المنيع •

سابعا : الذكاء والفطنة

من صفات العربى الاصيلة توقد الذهن وحدة الذكاء وعمق التفكير لان صفاء باله وهدوء طبيعته أمران مهمان لهما أثرهما الفعال فى شحذ الذكاء العربى ومضاء حدة تفكيره واننا نسطر فيما يلى بعضا من حوادث الذكاء التى اشتهرت بها شخصيات عربية منها :

١ ـ وافق شن طبقة :

كان شن رجلا من دهاة العرب وعقلائهم • وقال يوما والله لاطوفن فى البلاد حتى أجد امرأة مثلى اتزوجها • فبينما هو فى بعض مسيره اذ وافقه رجل فى الطريق فسأله شن : أين تريد ؟ فقال : موضع كذا •• يريد القرية التى يقصدها شن ـ فوافقه حتى اذا أخذا فى مسيرهما قال له : هل تحملنى أم أحملك ؟ فقال له الرجل : يا جاهل ، أنا راكب وأنت راكب ، فكيف أحملك أم تحملنى ؟ فسكت عنه شن •

وسارا حتى اذا قربا من القرية اذا بزرع قد استحصد ، فقال شن :

أترى هذا الزرع آكل أم لا ؟ فقال له الرجل : يا جاهل ترى نبتا مستحصدا وتقول : اكل أم لا ؟ فسكت عنه شن .

حتى اذا دخلا القرية لاقتهما جنازة فقال شن : أترى صاحب هذا النعش حيا أم ميتا ؟ فقال له الرجل : ما رأيت أجهل منك ! ترى جنازة وتسأل عنها أميت صاحبها أم حى ؟ فسكت شن وأراد مفارقته فأبى الرجل أن يتركه حتى أن يصير به الى منزله فمضى معه . وكان للرجل بنت ذكية يقال لها طبقة ، فلما دخل عليها أبوها سألته عن ضيفه فأخبرها بمرافقته اياه وشكى اليها جهله وحدثها بحديثه .

فقالت يا أبت ، ما هذا بجاهل ! أما قوله : أتحملني أم أحملك ؟ فأراد أتحدثني أم أحدثك حتى نقطع طريقنا . وأما قوله : أترى هذا الزرع أكل أم لا ؟ فأراد هل باعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا ؟ وأما قوله فى الجنازة ، فأراد هل ترك عقبا يحيا بهم ذكره أم لا !

فخرج الرجل فجلس الى شن فحادثه ساعة ثم قال : أتحب أن افسر لك ما سألتني عنه ؟ قال نعم . ففسره . فقال شن ! ما هذا من كلامك فأخبرني من صاحبه ؟ قال : ابنة لى .

فخطبها اليه فزوجه اياها وحملها الى أهله فلما رأوها قالوا : وافق شن طبقة .

٢ - لن يبرح العبدان حتى يقتلا :

صحب رجل كثير المال عبدين فى سفر ،فلما توسطا الطريق هما بقتله ، فلما صح ذلك عنده قال : اقسم عليكما - اذا كان لابد لكما من قتلى - أن تمضيا الى دارى ، وتنشدا ابنتى هذا البيت ، قالا : وما هو ؟ قال:

من مبلغ بنتى أن أباهما ... لله دركما ودر أبيكما

فقال أحدهما للآخر ما نرى به بأسا :

فلما قتلاه ، جاءا الى داره ، وقالا لابنته الكبرى ان أباك قد لحقه ما يلحق الناس ، وآلى علينا أن نخبركما بهذا البيت ، فقالت الكبرى : وما أرى فيه شيئا تخبراني به ، ولكن اصبرا حتى استدعى اختي الصغرى •

فاستدعتها فأنشدتها البيت ، فخرجت حاسرة ، وقالت : هذان قتلا أبي يا معشر العرب ، ما أنتم فصحاء؟ قالوا : الدليل عليه ! قالت : المصراع الاول يحتاج الى ثان والثاني يحتاج الى ما يكمله ، لا يليق أحدهما بالآخر• قالوا : فما ينبغي أن يكون ؟• قالت ينبغي أن يكون :

من مخبر بنتيَّ أن أباهما ... أمسى قتيلا بالفلاة مجندلا
لله دركما ودر أبيكما ... لن يبرح العبدان حتى يقتلا

فاستخبروهما فوجدوا الامر على ما ذكرت ، وقتلوا العبدين •

٣ ـ النذير :

كان رجل من بني العنيد أسيرا في بكر بن وائل ، وعرف انهم عزموا على غزو قومه ، فسألهم رسولا الى قومه ، فقالوا : لا ترسل الا بحضرتنا لئلا تنذرهم وجيء بعبد أسود ، فقال له : أتعقل ؟ قال : نعم • اني لعاقل ! قال ما أراك عاقلا • ثم ملأ كفيه من الرمل وقال : كم هذا ؟ قال : لا أدري ، وانه لكثير ، قال : أيهما كثير النجوم أم النيران ؟ قال : كل كثير •

فقال : أبلغ قومي التحية ، وقل لهم ليكرموا فلانا ـ يعني أسيرا كان في أيديهم من بكر ـ فان قومه لي مكرمون ، وقل لهم ان العرفج قد أدبي وأمرهم أن يعروا ناقتي الحمراء ، فقد أطالوا ركوبها ، وان يركبوا جملي الاصهب واسألوا عن خبري أخي الحارث •

فلما أدى العبد الرسالة قالوا : قد جن الاعور والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جملا أصهب ! ثم سرحوا العبد • ودعوا الحارث فقصوا عليه القصة • فقال : قد أنذركم • أما قوله : أدبي العرفج فيريد أن الرجال

قد استلأموا ولبسوا السلاح ، وقوله : الناقة الحمراء أي ارتحلوا عن الدهناء ، وأركبوا الصمّان ، وهو الجمل الاصهب ، فامتثلوا ما قال وعرفوا لحن كلامه فنجوا من مباغتة العدو .

٤ ـ حديث عن امرىء القيس :

قال عبدالملك بن عمير : قدم علينا عمر بن هبيرة في الكوفة ، فأرسل الى عشرة أنا أحدهم من وجوه الكوفة فسمروا عنده ، ثم قال : ليحدثني كل رجل منكم احدوثة ، وأبدأ أنت يا أبا عمرو ، فقلت : أصلح الله الامير : أحديث الحق أم حديث الباطل ؟ قال : بل حديث الحق .

قلت ان امرأ القيس آلى الا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة وثنتين ، فجعل يخطب النساء ، فاذا سألهن عن هذا قلن : أربعة عشرة . فبينا هو يسير في جوف الليل اذ برجل يحملُ ابنة له صغيرة ـ كأنها البدر ليلة تمامه ، فأعجبته ، فقال لها : يا جارية ، ما ثمانية وأربعة وثنتان ؟ فقالت : أما ثمانية فأطباء الكلبة ، وأما أربعة فأخلاف الناقة ، وأما ثنتان فثديا المرأة ، فخطبها الى أبيها، فزوجه اياها، وشرطت عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال ، فجعل لها ذلك وان يسوق اليها مائة من الابل وعشرة أعبد وعشر وصائف وثلاثة أفراس ففعل ذلك .

ثم انه بعث عبدا له الى المرأة ، وأهداها سقاءاً من سمن واخرى من عسل وحلة من زبرد ، فنزل العبد ببعض المياه فنشر الحلة ولبسها فتعلقت بشجر العشر فانشقت ، وأطعم من السقائين فنقصا .

ثم قدم على حي المرأة وهم غياب ، فسألها عن أبيها وامها واخيها ودفع اليها هديتها . فقالت له : اعلم مولاك ان أبي ذهب يقرب بعيدا ، ويبعد قريبا ، وان امي ذهبت تشق النفس نفسين ، وان أخي يراعي الشمس ، وان سماءكم انشقت وان وعائيكم نضبا .

فقدم الغلام على مولاه فأخبره ، فقال : أما قولها : ان أبى ذهب يقرب بعيدا ويبعد قريبا ، فان أباها ذهب يحالف قوما على قوم ، وأما قولها : ذهبت امى تشق النفس نفسين ، فان امها ذهبت تقبل امرأة نفساء ، وأما قولها : ان اخى يراعى الشمس ، فان أخاها فى سرح له يرعاه ، فهو ينتظر غروب الشمس ليروح به ، وأما قولها : سماءكم انشقت فان البرد الذى بعثت به انشق ، واما قولها : ان وعائيكم نضبا ، فان السقائين اللذين بعثت بهما نقصا ، فاصدقنى ! فقال : يا مولاى انى نزلت بماء من مياه العرب ، فسألونى عن شيء : فأخبرتهم انى ابن عمك ونشرت الحلة فانشقت ، وفتحت السقائين فأطعمت منهما أهل الماء فقال : اولى لك — هدده ..

ثم ساق مائة من الابل وخرج نحوها ومعه الغلام ، فنزلا منزلا ، فخرج الغلام يسقى الابل فعجز ، فأعانه امرؤ القيس ، فرمى به الغلام فى البئر وخرج حتى أتى أهل المرأة بالابل ، وأخبرهم انه زوجها ، فقيل لها قد جاء زوجك . فقالت : والله ما أدرى أزوجى هو أم لا ؟ ولكن انحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذنبها ففعلوا فأكل ما أطعموه ، فقالت : اسقوه لبنا حازرا فسقوه فشرب ، فقالت : افرشوا له عند الفرث والدم ، ففرشوا له فنام .

فلما أصبحت أرسلت اليه وقالت : انى أريد أن أسألك ، فقال : سلى عما شئت ، فسألته فلم يعجبها جوابه ، فقالت : عليكم العبد فشدوا أيديكم به ، ففعلوا :

قال : ومر قوم فاستخرجوا امرأ القيس من البئر ، فرجع الى حيه ، فاستاق مائة من الابل وأقبل الى امرأته فقيل لها قد جاء زوجك . فقالت : والله ما أدرى أهو زوجى أم لا ! ولكن انحروا له جزورا فأطعموه من

كرشها وذنبها ففعلوا. فلما أتوه بذلك قال : وأين الكبد والسنام والملحاء. وأبى أن يأكل . فقالت : اسقوه لبنا حازرا فأبى أن يشرب قال : أين العريق يقصد الحليب الحار ساعة حلبه ، وأين الرثيئة يقصد الحليب الحلو ممزوجا باللبن الحامض ؟ فقالت افرشوا له عند الفرث والدم ، فأبى أن ينام وقال : افرشوا فوق التلعة الحمراء واضربوا عليها خباءاً .

ثم أرسلت اليه : وقالت : هلمّ شريطتى عليك فى المسائل الثلاث ، فأرسل اليها أن سلى عما شئت . فسألته ، فأعجبها جوابه ، فقالت : هذا زوجى فعليكم به ، واقتلوا العبد ، فقتلوه ودخل امرؤ القيس بالجارية .

فقال ابن هبيرة : حسبكم ! فلا خير فى الحديث فى سائر الليلة بعد حديثك يا أباعمروا ولن تأتينا بأعجب منه ، فقمنا وانصرفنا وأمر لى بجائزة .

٤ ـ أنا أعلم بقريش من قريش :

لما قدم معاوية المدينة منصرفا من مكة ، بعث الى الحسن والحسين وعبدالله ابن جعفر ، وعبدالله بن عمر ، وعبدالله بن الزبير ، وعبدالله بن صفوان بن امية بهدايا من كساء وطيب وصِلات من مال ، ثم قال لرسله ليحفظ كل رجل منكم ما يرى ويسمع من الرد .

فلما خرج الرسول من عنده ، قال لمن حضر : ان شئتم أنبأناكم بما يكون من القوم ، قالوا : أخبرنا يا أمير المؤمنين قال : أما الحسن فلعله ينيل نساءه شيئا من الطيب ، ويهبَ ما بقى لمن حضره ولا ينتظر غائبا .

وأما الحسين ، فيبدأ بأيتام من قتل مع أبيه فى صفين ، فان بقى شىء نحر به الجزر وسقى به اللبن .

وأما عبدالله بن جعفر فيقول : يا بديح اقضِ به دينى ، فان بقى شىء فانفذ به عداتى جمع عدة .

وأما عبدالله بن عمر ، فيبدأ بفقراء عدى بن كعب ، فان بقي شيء ادخره لنفسه وقات به عياله .

وأما عبدالله بن الزبير ، فيأتيه رسولي ، فلا يلتفت اليه ، ثم يعاوده الرسول فيقول لبعض كفاته : خذوا من رسول معاوية ما بعث به ، وصله الله ، وجزاه خيرا ولا يلتفت اليها ، وهي أعظم في عينه من أحد ثم ينصرف الى أهله ، فيعرضها على رعيته ، ويقول : ارفعوا ، لعلي أعود بها على ابن هند يوما .

وأما عبدالله بن صفوان فيقول : قليل من كثير ، وما كل رجل من قريش وصل اليه كهذا ، ردوا عليه ، فان رد قبلناها .

فرجع رسله من عندهم بنحو مما قاله معاوية ، فقال معاوية : أنا ابن هند ! أنا أعلم بقريش من قريش .

٥ ـ الاحنف يفحم معاوية :

جلس معاوية يوما ، وعنده وجوه الناس ، وفيهم الاحنف ، فدخل رجل من أهل الشام ، فقام خطيبا ، فكان آخر كلامه أن لعن علياً رضي الله عنه ، فأطرق الناس ، وتكلم الاحنف ، فقال : يا أميرالمؤمنين، ان هذا القائل لو علم ان رضاك في لعن المرسلين للعنهم ، فاتق الله ، ودع علياً ، فقد لقيالله ، وأفرد فيحفرته، وخلا بعمله، وكان والله ـ ما علمنا ـ الطاهر في خلقه ، الميمون النقيبة ، العظيم المصيبة .

قال معاوية : يا أحنف ، لقد أغضيتَ العين على القذى ، وقلت بغير ما ترى ، وأيم الله لتصعدن المنبر فلتلعنه طائعا أو كارها ! فقال الاحنف : ان تعفني فهو خير ، وان تجبرني على ذلك فو الله لا تجري به شفتاي !

فقال معاوية : قم فاصعد ! قال : أما والله لانصفنك في القول والفعل.

قال معاوية : وما أنت قائل ان أنصفتني ؟ قال : أصعد فأحمد الله

وأثنى عليه ، واصلي على نبيه ثم أقول : أيها الناس ، ان معاوية أمرني أن ألعن علياً ، ألا وأن علياً ومعاوية اختلفا واقتتلا ، وادعى كل واحد منهما انه مبغيٌ عليه وعلى فئته فاذا دعوت فأمنوا رحمكم الله ، ثم أقول :

اللهم العن أنت وملائكتك وأنبياؤك ورسلك ، وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه والفئة الباغية على المبغيّ عليها ، آمين يا رب العالمين .

فقال معاوية : اذن نعفيك يا أبا بحر !

٦ ـ ذكاء ابن عباس :

بينا ابن عباس في المسجد الحرام ، وعنده نافع بن الازرق وناس من الخوارج يسألونه اذ أقبل عمرو بن أبي ربيعة في ثوبين مصبوغين موردين حتى ادخل وجس ، فقال ابن عباس : انشدنا ، فأنشده :

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر غداة غد أم رائح فمهجر

حتى أتى على آخر القصيدة ، فأقبل عليه نافع بن الازرق فقال : الله يا بن عباس ! انا نضرب اليك أكباد الابل من أقاصي البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتثاقل عنا ، ويأتيك غـلام مترف من مترفي قريش فينشدك !

رأت رجلا اما اذا الشمس عارضت فيجزى وأمـا بالعشـى فيخسـر

فقال : ليس هكذا قال . قال : فكيف قال ؟ فقال قال :

رأت رجلا اما اذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشـى فيخسـر

قال : ما أراك الا وقد حفظت البيت ! قال : أجـل وان شئت ان انشدك القصيدة انشدتك اياها ، قال : نعم ، فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها وما سمعها قط الا تلك المرة .

٧ ـ دهاء عمارة بن تميم اللخمي :

كان الحجاج حسودا لا تتم له صنيعة الا يفسدها ، فوجه عمارة بن

تميم اللخمى الى عبدالرحمن بن محمد بن الاشعث ، فظفر به ، وصنع به ما صنع ، ورجع الى الحجاج بالفتح ، فلم ير منه ما أحب ، وكره منافرته، وكان عاقلا رفيقا ، فجعل يترفق به ويداريه ، ويقول : أنت ـ أيها الامير ـ أشرف العرب ، فمن شرفته شرف ، ومن وضعته اتضع ، ومن ينكر ذلك، مع رفقك ويمنك ومشورتك ورأيك ؟ وما كان هذا كله الا بصنع الله عز وجل وتدبيرك ، وليس أحد أحق بشكر صنيعك منى ، ومن ابن الاشعث ؟

ثم عزم الحجاج على المضى الى عبدالملك فأخرج عمارة معه ، فلم يزل يلطف بالحجاج فى مسيره ، ويعظمه ، حتى أقدموا على عبدالملك •

فلما قامت الخطباء بين يديه وأثنت على الحجاج ، قام عمارة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، سل الحجاج عن طاعتى ومناصحتى وبلائى ! فقال الحجاج : يا أمير المؤمنين ، صنع وصنع ، ومن بأسه ونجدته ، وعقله ومكيدته كذا وكذا ، هو أيمن الناس فقها وأعلمهم تدبيرا وسياسة ولم يبق غاية فى الثناء عليه •

فقال عمارة : أرضيت يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ! فرضى الله عنك ، حتى قالها ثلاثا ، فى كلها يقول : قد رضيت !

فقال عمارة : فلا رضى الله عن الحجاج يا أمير المؤمنين ، ولا حفظه ولا عافاه ، فهو ـ والله ـ السىء التدبير ، الذى قد أفسد عليك أهل العراق، وألب عليك الناس ، وما أتيت الا من قلة عقله ، وضعف رأيه ، وقلة بصره بالسياسة ، ولك والله أمثالها ، ان لم تعزله •

فقال الحجاج : مه يا عمارة ! فقال : لا مه ولا كرامة يا أمير المؤمنين ! فقال عبدالملك : ما عندنا أوسع لك !

فلما انصرف عمارة الى منزله بعث اليه الحجاج ، وقال له : أنا أعلم

انه ما خرج هذا عنك الا عن معتبة ، وما كنت أظن ان عقلك على هذا ! أرَجَعَ اليك بعد الذى كان من طعني وقولي عند أمير المؤمنين ؟ فقال عمارة لا ولا كرامة لك !

٨ ـ دهاء عمرو بن العاص :

لما نزل علي بن أبي طالب الكوفة بعد فراغه من أمر البصرة كتب الى معاوية كتابا يدعوه الى البيعة ، وأرسل جرير بن عبدالله البجلي ، فقدم عليه به الشام ، فقرأه ، فاغتم بما فيه ، وذهبت به أفكاره كل مذهب، وطاول جريرا بالجواب عن الكتاب ، حتى كلم قوما من أهل الشام فى الطلب بدم عثمان بن عفان فأجابوه ، ووثقوا له •

وأحب الزيادة فى الاستظهار ، فاستعان بأخيه عتبه بن أبى سفيان ، فقال له : استعن بعمرو بن العاص ، فانه من قد علمت فى دهائه ورأيه ، وقد اعتزل عثمان ابن عفان فى حياته ، وهو لامرك أشد اعتزالا ، الا أن يثمن له دينه ، فسيبيعك ، فانه صاحب دنيا •

فكتب اليه معاوية : أما بعد ، فانه كان من أمر علي وطلحة والزبير ما قد بلغك ، وقد سقط الينا مروان بن الحكم فى نفر من أهل البصرة وقدم علينا جرير بن عبدالله فى بيعة علي ، وقد حبست نفسى عليك ، فأقبل اذاكرك امورا لا تعدم صلاح مغبتها ان شاء الله •

فلما قدم الكتاب على عمرو استشار ابنيه : عبدالله بن عمرو ، ومحمد بن عمرو ، فقال لهما : ما تريان ؟ فقال عبدالله : أرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو عنك راض ، والخليفتان بعده ، وقتل عثمان وأنت غائب عنه ، فقِر فى منزلك فلست مجعولا خليفة ، ولا تزيد على أن تكون حاشية لمعاوية على دنيا أوشكتما أن تهلكا وتفارقاها •

وقال محمد" : أرى انك شيخ قريش وصاحب أمرها ، وأن تصرم هذا الامر وأنت فيه غافل ، تصاغر أمرك ، فالحق بجماعة أهل الشام وكن يدا من أيديها ، طالبا بدم عثمان ، فأنه سيقوم بذلك بنو امية •

فقال عمرو لغلامه وردان — وكان داهية ماردا — فقال : ارحل يا وردان ، ثم قال : احطط يا وردان ! ثم قال ارحل يا وردان ، احطط يا وردان • فقال له وردان : خلطت أبا عبدالله ، اما انك ان شئت انبأتك بما في قلبك ، قال : هات ، ويحك ! قال : اعتركت الدنيا والآخرة على قلبك ، فقلت : علي" معه الأخرة في غير دنيا ، وفي الآخرة عوض عن الدنيا ، ومعاوية معه الدنيا ، بغير آخرة ، وليس في الدنيا عوض عن الآخرة ، وأنت واقف بينهما •

قال : قاتلك الله ما أخطأت ما في قلبي ، فما ترى يا وردان ؟ قال : أرى أن تقيم في بيتك ، فان ظهر أهل الدين عشت في عفو دينهم ، وان ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك ، قال : الآن لما شهرت العرب سيري الى معاوية !

ثم ارتحل حتى قدم على معاوية ، وعرف حاجته اليه ، فباعده من نفسه ، وكايد كل واحد منهما صاحبه •

فقال له معاوية يوم دخل عليه : أبا عبدالله ، طرقتنا في ليلتنا ثلاثة أخبار ليس فيها ورد" ولا صدر • قال : منهما أن محمد بن أبي حذيفة كسر سجن مصر ، فخرج هو وأصحابه ، وهو من آفات هذا الدين ، ومنها أن قيصر زحف بجماعة الروم ليغلب على الشام ، ومنها أن عليا نزل الكوفة ، وتهيأ للمسير الينا •

فقال عمرو : ليس كل ما ذكرت عظيما ، أما ابن حذيفة فما يتعاظمك من رجل خرج في أشباهه أن تبعث اليه رجلا يقتله ، ويأتيك

به ، وان قاتل لم يضرك ، وأما قيصر فأهد له الوصائف وآنية الذهب والفضة ، وسله الموادعة فانه اليها سريع ، وأما علي ، فلا والله يا معاوية ، ما يسوى العربى بينك وبينه فى شيء من الاشياء ، وان له فى الحرب لحظاً ، ما هو لأحد من قريش ، وانه لصاحب ما هو فيه الا أن تظلمه .

قال معاوية : يا عبدالله ، انى دعوتك الى جهاد هذا الرجل الذى عصى الله وشق عصا المسلمين ، وقتل الخليفة وأظهر الفتنة ، وفرق الجماعة ، وقطع الرحم .

فقال عمرو : والله يا معاوية ، ما أنت وعليٌ حملا بعير ، ليس لك هجرته ولا سابقته ، ولا صحبته ولا جهاده ، ولا فقهه ،ولاعلمه ، والله ان له مع ذلك لحظاً فى الحرب ليس لاحد غيره ، ولكنى قد تعودت من الله تعالى احسانا وبلاءاً جميلا ، فما تجعل لى أن شايعتك على حربه ، وأنت تعلم ما فيه من الضرر والخطر ؟ قال : حكمك ، فقال : مصر طعمة ، فتلكأ معاوية وقال : انى لو شئت أن امنيك وأخدعك لفعلت : قال عمرو : لعمر الله دعنى عنك ، فقال معاوية : ادن منى اسارك ، فدنا منه عمرو ليساره ، فعض معاوية اذنه وقال : هذه خدعة ، هل ترى فى البيت أحدا غيرى وغيرك . ثم تكلأ عليه وانصرف عمرو .

فلما حضر عتبة بن أبى سفيان قال لمعاوية : أما ترضى أن تشترى عمرا بمصر ؟ فقال معاوية : يا عتبة ، بت عندنا الليلة . فلما جن الليل على عتبة رفع صوته ليسمع معاوية وقال :

أيها المانع سيفا لم يهز … انما ملت على خز وقز
اعط عمرا ان عمرا تارك … دينه اليوم لدنيا لم تخز
اعطه مصر وزده مثلها … انما مصر لمن عز فبز
واترك الحرص عليها خلة … واشبب النار لمقرور بكز
ان مصر لعلي أو لنا … يغلبُ اليوم عليها من عجز

فلما سمع معاوية قول عتبة ، أرسل الى عمرو فأعطاه مصر وكتب له كتابا بها .

٩ ـ عمرو بن العاص وأحد كفار العجم :

لما فتح عمرو بن العاص قيسارية سار حتى نزل غزة ، فبعث اليه علجها ان ابعث الي رجلا من أصحابك اكلمه ، ففكر عمرو ، وقال : ما لهذا أحد غيري !

فخرج حتى دخل على العلج فكلمه ، فسمع كلاما لم يسمع قط مثله ، فقال العلج : حدثني ، هل في أصحابك أحد مثلك ؟ قال : لا تسأل عن هذا ! انى هين عليهم ، اذ بعثوا بى اليك ، وعرضوني لما عرضوني له ، ولا يدرون ما تصنع بى .

فخرج من عنده ، فمر برجل من نصارى غسان ، فعرفه ، فقال : يا عمرو : قد أحسنت الدخول فأحسن الخروج ! ففطن عمرو لما أراده ، فرجع ! فقال له الملك : ما ردك الينا ؟ قال : نظرت فيما أعطيتني ، فلم أجد ذلك يسع بنى عمى ، فأردت أن آتيك بعشرة منهم ، تعطيهم هذه العطية ، فيكون معروفك عند عشرة خيرا من أن يكون عند واحد ! فقال : صدقت ، أعجل بهم ! وبعث الى البواب : أن خل سبيله !

فخرج عمرو وهو يتلفت ، حتى اذا أمن ، قال : لا عدت الى مثلها أبدا !

فلما صالحه عمرو ، ودخل عليه العلج ، قال له : أنت هو ؟ قال : نعم ! على ما كان من غدرك !

ثامنا : الزهد في العيش والترفع عن الدنايا

ومن الصفات العربية التى نعتز بها ونفخر ان العرب امة تزهد

فى العيش من أجل الكرامة وترفع عن الدنايا فى سبيل الاباء والشمم وهاك أيها القارىء بعض الامثلة على ذلك •

١ ـ أعطيك مالى ان شئت : ـ

لما وَلِيَ عمر بن عبدالعزيز الخلافة أتت عمته الى زوجته فاطمة فقالت : ـ انى اريد الكلام مع أمير المؤمنين • فقالت لها اجلسى حتى يفرغ فجلست ، فاذا بغلام قد أتى فأخذ سراجا • فقالت لها فاطمة : ان كنت تريدينه فالآن ، فانه اذا كان فى حوائج العامة كتب على الشمع ، واذا صار فى حاجة نفسه دعا بسراجه •

فقامت فدخلت عليه فاذا بين يديه أقراص خبز وشىء من ملح وزيت وهو يتعشى ، فقالت : يا أمير المؤمنين أتيت لحاجة لي ، ثم رأيت أن أبدأ بك قبل حاجتى ! قال : وما ذاك يا عمة ؟ قالت : لو اتخذت لك طعاما ألين من هذا ؟ قال : ليس عندى يا عمة ، ولو كان عندى لفعلت ، قالت يا أمير المؤمنين ، كان عمك عبدالملك يجرى عليّ كذا وكذا ، ثم كان أخوك الوليد فزادنى ، ثم كان أخوك سليمان فزادنى ثم وُلِيت أنت فقطعته عنى •

قال : يا عمة ، ان عمى عبدالملك ، وأخى الوليد ، وأخى سليمان كانوا يعطونك من مال المسلمين ، وليس ذلك المال لي فأعطيكه ، ولكنى أعطيك مالى ان شئت ! قالت وما ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : عطائى مأتا دينار فهل لك فيه حاجة ؟ قالت وما يبلغ منى عطائك ؟ قال : فلست أملك غيره يا عمة فانصرفت عنه غير راضية •

٢ ـ الشمعة والسراج :

وفد على عمر بن عبدالعزيز بريد من بعض الآفاق ، فانتهى الى باب عمر ليلا ، فقرع الباب ، فخرج اليه البواب ، فقال : اعلم أميرالمؤمنين

أن بالباب رسولا من عامله فلان ، فدخل فأعلم عمر ـ وقد كان أراد أن ينام فقعد وقال : ائذن له •

فدخل الرسول فدعا عمر بشمعة غليظة فأججت نارا ، واجلس الرسول ، وجلس عمر ، فسأله عن حال أهل البلد ومن بها من المسلمين وأهل العهد ، وكيف سيرة العامل ؟ وكيف الاسعار ؟ وكيف أبناء المهاجرين والانصار ؟ وأبناء السبيل والفقراء ؟ وهل أعطى كل ذى حق حقه ؟ وهل له شاك ؟ وهل ظُلم أحد ؟

فأنبأه بجميع ما علم من أمر تلك المملكة حتى اذا فرغ عمر من مسألته قال له الرسول : ـ يا أمير المؤمنين ، كيف حالك فى نفسك وبدنك ؟ وكيف عيالك وجميع أهل بيتك ومن تعنى بشأنه ؟ فنفخ عمر الشمعة فأطفأها بنفخته ، وقال ياغلام ، عليّ بسراج ، فأتى بقنديلة لا تكاد تضيء ، فقال عمر : سل عما أحببت ، فسأله عن حاله ، فأخبره وعن حال ولده وأهل بيته •

فعجب الرسول للشمعة واطفائه اياها ، وقال يا أمير المؤمنين رأيتك فعلت أمرا ما رأيتك فعلت مثله ! قال عمر : وما هو ! قال : اطفاؤك الشمعة عند مسألتى اياك عن حالك وشأنك فقال : يا عبدالله ان الشمعة التى رأيتنى أطفأتها هى من مال الله ومال المسلمين ، وكنت أسألك عن أمرهم وحوائجهم فكانت تلك الشمعة تقد بين يدى فيما يصلحهم ، وهى لهم ، فلما صرت تسألنى وأمر عيالى ونفسى أطفأت شمعة المسلمين وأوقدت سراجى •

٣ ـ عِفّةُ الشريف الرضي :

حكى أبو حامد بن محمد الفقيه الشافعى فقال :

كنت يوما عند فخر الملك أبى غالب محمد بن خلف وزير بهاء

الدولة وابنه سلطان الدولة فدخل عليه الشريف الرضى أبو الحسن محمد بن الطاهر وكان من أشعر قريش وعالما بعلوم القرآن واللغة والنحو وله مؤلفات نافعة فأعظمه وأجله ورفع من منزلته ، وخلى ما كان بيده من القصص والرقاع وأقبل عليه يحادثه الى أن انصرف •

ثم دخل بعد ذلك المرتضى أبو القاسم فلم يعظمه ذلك التعظيم ولا أكرمه ذلك الاكرام ، وتشاغل عنه برقاع يقرؤها وتوقيعات يوقع بها ، فجلس قليلا وسأله أمرا فقضاه ، ثم انصرف •

قال أبو حامد : فتقدمت اليه ، وقلت له : اصلح الله الوزير ! هذا المرتضى هو الفقيه المتكلم صاحب الفنون ، وهو الامثل الافضل ، وانما أبو الحسن شاعر • فقال لى : اذا انصرف الناس ، وخلا المجلس اجبتك عن هذه المسألة • قال : وكنت مجمعا على الانصراف ، فجائنى أمر لم يكن فى الحسبان ، فدعت الضرورة لملازمة المجلس الى أن تقوض الناس واحدا واحدا •

فلما لم يبق الا غلمانه وصحابه دعا بالطعام فلما أكلنا وغسل يده وانصرف عنه أكثر غلمانه ، ولم يبق عنده غيرى ، قال لخادم له :

هات الكتابين الذين دفعتهما اليك منذ أيام ، وأمرتك أن تجعلهما فى السفطة الفلانى فأحظرهما فقال : هذا كتاب الرضى ، اتصل بى انه قد ولد له ولد ، فأنفذت اليه ألف دينار ، وقلت هذا للقابلة ، فقد جرت العادة أن يحمل الاصدقاء الى أخلائهم ، وذوى مودتهم مثل هذا فى مثل هذه الحال ـ فردها ، وكتب اليّ هذا الكتاب فاقرأه •

قال : فقرأته ، وهو اعتذار عن الرد ، وفى جملته : اننا ـ أهل بيت ـ لا يطلع على أحوالنا قابلة غريبة ، وانما عجائزنا يتولينَ هذا الامر ولسنَ ممن يأخذن اجرة ، ولا يقبلن صلة •

قال : فهذا ، هذا ، وأما المرتضى فاننا كنا وزعنا وقسطنا على الاملاك تقسيطا نصرفه فى حفر فوهة النهر المعروف بنهر عيسى ، فأصاب ملكا للشريف المرتضى قدره عشرون درهما ، وقد كتب الي منذ أيام فى هذا المعنى هذا الكتاب فاقرأه فقرأته ، وهو أكثر من مئة سطر يتضمن من الخضوع والخشوع والاستمالة والطلب والسؤال فى اسقاط هذه الدراهم عن أملاكه المشار اليها ما يطول شرحه •

قال : فأيهما ترى أولى بالتعظيم والتبجيل هذا العالم المتكلم الفقيه الاوحد ونفسه هذه النفس ، أم ذلك الذى لم يشتهر الا بالشعر خاصة ، ونفسه تلك النفس ؟ فقلت وفق الله الوزير ، فما زال موفقا ، وما وضع الامر الا فى موضعه ولا أحله الا فى محله •

٤ ـ أمين :

قال أحد التجار : قصدت الحج فى بعض الاعوام ، وكانت تجارتى عظيمة ، وأموالى كثيرة ، وكان فى وسطى هميان فيه دنانير وجواهر قيمة، وكان الهميان من ديباج أسود •

فلما كنت ببعض الطريق نزلت لاقضى بعض شأنى ، فانحل الهميان من وسطى ، وسقط ولم أعلم به الا بعد أن سرت عن الموضع فراسخ ، ولكن ذلك لم يكن يؤثر فى قلبى لما كنت احتويه من غنى ، واستخلفت ذلك المال عند الله ، اذ كنت فى طريقى اليه تعالى •

ولما قضيت حجتى وعدتُ تتابعت المحن علي حتى لم أملك شيئا ! فهربت على وجهى من بلدى • ولما كان بعد سنتين من فقرى أفضيت الى مكان وزوجتى معى ، ولا أملك فى تلك الليلة الا دانقا ونصفا وكانت الليلة مطيرة ، فآويت فى بعض القرى الى خان خراب ، فجاء زوجى المخاض فتحيرت ، ثم ولدت ، فقالت : يا هذا ، الساعة تخرج روحى ، فاتخذ لي

شيئا أتقوى به ، فخرجت أخبط فى الظلمة والمطر يهطل حتى جئت الى بقال فوقفت عليه ، فكلمنى بعد جهد ، فشرحت له حالى ، فرحمنى وأعطانى بتلك القطع حلبة وزيتا ، وأعارنى اناءا جعلت ذلك فيه وجئت اريد الموضع ، فلما مشيت بعيدا وقربت من الخان زلقت رجلى ، وانكسر الاناء وذهب جميع ما فيه فورد على قلبى أمر عظيم ما ورد عليّ مثله قط ! فأقبلت أبكى وأصيح . واذا برجل قد أخرج رأسه من شباك فى داره وقال : ويلك ! مالك تبكى ؟ ما تدعنا أن ننام ! فشرحت له القصة ، فقال : يا هذا ، البكاء كله بسبب دانق ونصف !

قال : فداخلنى من الغم أعظم من الغم الاول ، فقلت يا هذا والله ما عندى شىء لما ذهب منى ، ولكن بكائى رحمة لزوجى ولنفسى ، فان امرأتى تموت جوعا ، ووالله لقد حججت فى سنة كذا وكذا وأنا أملك من المال شيئا كثيرا ، فذهب منى هميان فيه دنانير وجواهر تساوى ثلاثة آلاف دينار ، فما فكرت فيه ، وأنت ترانى الساعة أبكى بسبب دانق ونصف ، فأسأل الله السلامة ولا تعايرنى فتبتلى بمثل بلواى .

فقال لى : بالله يا رجل ، ما كان صفة هميانك ، فأقبلت أبكى ، وقلت : ما ينفعنى ما خاطبتنى به أو ما تراه من جهدى وقيامى فى المطر حتى تستهزىء بى أيضا ! وما ينفعنى وينفعك من صفة هميانى الذى ضاع منذ كذا وكذا !

ومشيت . فاذا الرجل قد خرج وهو يصيح بى : خذ يا هذا ، فظننته يتصدق عليّ فجئت وقلت له : أى شىء تريد ؟ فقال لى : صف هميانك وقبض عليّ ، فلم أجد للخلاص سبيلا غير وصفه له ، فوصفته فقال لى : ادخل ، فدخلت فقال : أين امرأتك ؟ قلت : فى الخان ، فأنفذ غلمانه فجاؤوا بها ، وأدخلت الى حرمه فأصلحوا شأنها وأطعموها كل

ما تحتاج اليه ، وجاؤوني بجبة وقميص وعمامة وسراويل ، وادخلت الحمام سحرا ، وطرح ذلك عليّ ، فأصبحت في عيشة راضية • وقال : أقم عندنا أياما ، فأقمت عشرة أيام ، كان يعطيني في كل يوم عشرة دنانير ، وأنا متحير في عظيم بره بعد شدة جفائه •

فلما كان بعد ذلك قال لي : في أي شيء تتصرف ؟ قلت : كنت تاجرا ، قال : في محلات وأنا أعطيك رأسمال تتجر فيه وتشركني • فقلت : أفعل ، فأخرج لي مئتي دينار فقال : خذها واتجر فيها هاهنا ، فقلت : هذا معاش قد أغناني به الله يجب أن الزمه فلزمته •

فلما كان بعد شهور ربحت فجئته وأخذت حقي وأعطيته حقه فقال: اجلس ، فجلست ، فأخرج لي همياني بعينه وقال : اتعرف هذا ؟ فحين رأيته شهقت واغمي عليّ ، فما أفقت الا بعد ساعة ! ثم قلت له : يا هذا ، أملك أنت أم نبي ؟ فقال : أنا أحفظه منذ كذا وكذا سنة ، فلما سمعتك تلك الليلة تقول ما قلته ، ولما سألتك العلامة فاعطيتها أردت أن أعطيك للوقت هميانك ، فخفت أن يغشى عليك ، فأعطيتك تلك الدنانير التي اوهمتك انها هبة وانما اعطيتكها من همیانك ، فخذ همیانك واجعلني في حل ! فشكرته ودعوت له •

وأخذت الهميان ورجعت الى بلدي ، فبعت الجوهر وضممت ثمنه الى ما معي واتجرت ، فما مضت الا سنتان حتى صرت صاحب عشرة آلاف دينار وصلحت حالي •

٥ ـ **لا يقبل على اصطناع المعروف مكافاة : ـ**

لما حج المنصور عرض عليه جوهر نفيس له قيمة عظيمة للبيع ، فعرفه ، وقال : هذا كان لهشام بن عبدالملك بن مروان ، فانتقل ابنه محمد بن هشام ، وما بقي من بني امية غيره ، ولا بدلي منه ، ثم التفت

الى صاحبه الربيع ، وقال : اذا صليت بالناس غدا في المسجد الحرام وحصل الناس كلهم فاغلق الابواب كلها ، ووكل بها جماعة من الثقات ، وافتح بابا واحدا وقف عليه ولا تخرج أحدا حتى تعرفه ، فاذا ظفرت بمحمد بن هشام فأتني به .

فلما كان الغد فعل الربيع ما أمره به المنصور ، وكان محمد بن هشام في المسجد ، فعرف انه المطلوب ، وأيقن انه مأخوذ مقتول ، فتحير وارتاب واضطرب ، فبينما هو على تلك الحال اذ أقبل محمد بن يزيد بن على بن الحسين فرآه متحيرا ـ وكان لا يعرفه ـ فتقدم اليه وقال : يا هذا ، ما بالك ؟ فقال : لا شيء . فقال : خبرني ولك الامان ان شاء الله على نفسك .

قال محمد بن هشام : فمن أنت ؟ قال : أنا محمد بن يزيد بن علي بن الحسين ، فزاد خوفه ، وطار عقله ، وتحقق الموت ، فقال له : لا تجزع فلست قاتل أبي ولا جدي ، وليس لي عليك ثأر ، وأنا اجتهد في خلاصك ان شاء الله ! ولكن تعذرني فيما أنا صانع بك من مكروه وقبح خطب ! فقال له : افعل ما شئت .

فطرح رداءه على وجهه ، وغطى به رأسه ، وجذبه وسحبه ، الى أن قرب من الربيع حاجب المنصور ، وهو على الباب ، فلما وقعت عين الربيع عليهما لطمه محمد بن يزيد على رأسه ، وجاء به الى الربيع ، وقال : يا أبا الفضل ، ان هذا الخبيث جمال من أهل الكوفة أكراني جمالا ، فلما دفعت له الكراء هرب مني ، وذهب فأكرى جماله لبعض أهل خراسان ، ولي عليه شهود ، واريد منك من يوصله معي الى القاضي ، ويمسك جماله عن الذهاب مع الخراسانيين ، فرسم الربيع عليه اثنين وقال : لا تفارقاه الى القاضي ـ ومحمد قابض على الرداء ، وقد استتر وجهه به ـ فخرجوا جميعا من المسجد .

فلما بعدوا عن الربيع قال له محمد : اذهب الى حال سبيلك ، فقبل محمد بن هشام يده ورأسه وقال : الله أعلم حيث يجعل رسالته ، ثم أخرج له جواهر قيمتها عظيمة ، وقال : بالله – يابن بنت رسول الله شرفني بقبول هذا ، فقال له : اذهب بمتاعك ، فنحن اهل بيت لا نقبل على اصطناع المعروف مكافأة ، واحترز على نفسك من هذا الرجل ، فانه مجد في طلبك !

٦ – لا تذهبي بنفسك عن الحق : –

قال على بن أبى رافع : كنت على بيت المال فى خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكان فى بيت المال عقد لؤلؤ كان المسلمون قد أصابوه يوم البصرة ، فأرسلت الي بنت علي بن أبي طالب ، فقالت لى : انه قد بلغنى ان فى بيت مال المسلمين عقدا من لؤلؤ وهو فى يدك ، وأنا أحب أن تعيرنيه ، أتجمل فيه فى عيد الاضحى فأرسلته اليها : عارية مضمونة ، مردودة بعد ثلاثة أيام يا بنت أمير المؤمنين . فقالت : نعم! عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام . فدفعته اليها واذا أمير المؤمنين رآه عليها فعرفه ، فقال لها : من أين جاء اليك هذا العقد ؟ فقالت : استعرته من ابن أبى رافع خازن بيت مال المسلمين لاتزين به فى العيد ، ثم ارده .

فبعث الي أمير المؤمنين فجئته ، فقال لى : اتخون المسلمين يا ابن أبى رافع ؟ فقلت : معاذ الله ان أخون المسلمين ! فقال : كيف اعرت بنت أمير المؤمنين العقد الذى فى بيت مال المسلمين بغير اذنى ورضاهم ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، انها بنتك ، وسألتنى أن أعيرها العقد تتزين به ، فاعرتها اياه عارية مضمونة مردودة على أن ترده سالما الى موضعه ، فقال : رده من يومك ، واياك أن تعود لمثله فتنالك عقوبتى ، ثم قال ويل لابنتى ، لو كانت أخذت العقد على غير عارية مردودة مضمونة ، لكانت اذن أول هاشمية قطعت يدها فى سرقة .

فبلغت مقالته ابنته ، فقالت له : يا أمير المؤمنين ، أنا ابنتك وبضعة منك ، فمن أحق بلبسه منى ؟ فقال لها : يا بنت ابن أبى طالب ، لا تذهبى بنفسك عن الحق ! أكل نساء المهاجرين والانصار يتزين ، فى مثل هـذا العبد بمثل هذا العقد ؟. فأخذته منها ورددته الى موضعه فى بيت مال المسلمين غير مضيع ولا متلوف .

٧ ـ خليفة يعطى الفقراء ويمنع الشعراء :ـ

لما استخلف عمر بن عبدالعزيز وفدت اليه الشعراء كما كانت تفد على الخلفاء من قبله ، فأقاموا ببابه أياما لا يأذن لهم بالدخول حتى قـدم عدى بن أرطأة على عمر ـ وكانت له منه مكانة ـ فقال جرير :

يا أيهـا الرجـل المزجى مطيتـه ... هـــذا زمانك انى قد مضى زمنى
ابلـغ خليفتنـــا ان كنت لاقيـــه ... انى لدى الباب كالمصفود فى قرن
وحش المكانة من أهلى ومن ولدى ... نائى المحلة عن دارى وعن وطنى

فقال : نعم أبا حرزة ونعمى عين ، فلما دخل على عمر قال : يا أمير المؤمنين ، ان القراء ببابك وأقوالهم باقية ، وسهامهم مسمومة .

فقال يا أمير المؤمنين ، ان رسول الله صلى الله عليـه وسلـم مُدح وأعطى ، وفيه اسوة لكل مسلم . قال : من مدحه ؟

قال : عباس بن مرداس ، فكساه حلة فقطع بها لسانـه ، قـــال : صدقت ، فمن بالباب منهم ؟

قال : ابن عمك عمر بن أبى ربيعة القرشى.قال : لاقرب الله قرابته، ولا حيا وجهه ، أليس هو القائل :

ألا ليت انى يـوم تدنـو منيتى ... شممت الذى ما بـين عينيك والفم
ويا ليت سلمى فى القبور ضجيعتى ... هنالك أو فى جنـــة أو جهنـــم

فليته تمنى بقائها فى الدنيا ، ثم يعمل عملا صالحا ، والله لا يدخل

على أبدا . فمن بالباب غيره ممن ذكرت ؟ قال : جميل بن معمر العذرى .

قال أليس هو القائل :

ألا ليتنا نحيا جميعا وان تمت ... يوافى لدى الموتى ضريحى ضريحها
فما أنا فى طول الحياة براغب ... اذا قيل قد سوى عليها صفيحها
أظل نهارى لا أراها وتلتقى ... مع الليل روحى فى المنام وروحها

والله لا يدخل على أبدا . فمن بالباب غيره ممن ذكرت ؟ قال : كثير عزه .

قال أليس هو القائل :

لو يسمعون كما سمعت حديثها ... خروا لعزة ركعاً وسجودا

أبعده الله . فو الله . لا يدخل على أبدا ، فمن بالباب غيره ممن ذكرت ؟ قال الاحوص الانصارى . قال : لا دخل على أبدا ، أليس هو القائل ـ وقد أفسد على رجل من أهل المدينة جاريته حتى هرب بها منه :

الله بينى وبين سيدها ... يفر عنى بها واتبع

فمن بالباب غيره ممن ذكرت ؟ قال : همام بن غالب الفرزدق : قال أليس هو القائل :

هما دلتانى من ثمانين قامة ... كما انقض باز اقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاى بالارض قالتا ... أحى يرجى أم قتيل نحاذره ؟
فقلت:ارفعوا الاسباب لايشعروا بنا ... ووليت فى أعقاب ليل ابادره

والله لا دخل على أبدا ، فمن بالباب غيره ممن ذكرت ؟ قال : الاخطل التغلبى ، قال : أليس هو القائل :

ولست بصائم رمضان عمرى ... ولست بآكل لحم الاضاحى
ولست بزاجر عيسا بكورا ... الى بطحاء مكة للنجاح
ولست بقائم كالعبد يدعو ... قبيل الصبح حى على الفلاح
ولكنى سأشربها شمولا ... وأسجد عند منبلج الصباح

أبعده الله عنى ! فو الله لا دخل على أبدا ولا وطىء لى بساطا ، فمن بالباب غيره من الشعراء ممن ذكرت ؟ قال : جرير قال : أليس هو القائل :

ذم المنازل بعد منزلة اللوى ... والعيش بعد اولئك الايام
طرقتك صائدة القلوب وليس ذا ... وقت الزيارة فارجعى بسلام

فأن كان ولابد فهذا ، فأذن له

قال : عدى بن أرطاة : فخرجت اليه ، فقلت : ادخل يا جرير ، فدخل وهو يقول :

ان الذى بعث النبى محمدا ... جعل الخلافة فى امام عادل
وسع الخلائق عدله ووفائه ... حتى أرعووا وأقام ميل المائل
والله أنزل فى الكتاب فريضة ... لابن السبيل والفقير العائل
انى لارجو منك خيرا عاجلا ... والنفس مولعة بحب العاجل

فلما مثل بين يديه قال : يا جرير اتق الله ، ولا تقل الا حقا ، فأنشأ يقول :

كم باليمامة من شعثاء ارملة ... ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
ممن يعدك تكفى فقد والده ... كالفرخ فى العش لم يدرج ولم يطر
أأذكر الجهد والبلوى التى نزلت ... أم قد كفانى ما بلغت من خبرى
انا لنرجو ـ اذا ما الغيث أخلفنا ـ ... من الخليفة ما نرجو من المطر
نال الخلافة أو كانت له قدرا ... كما أتار به موسى على قدر
هذى الارامل قد قضيت حاجتها ... فمن لحاجة هذا الارمل الذكر
الخير ما دمت حيا لا يفارقنا ... بوركت يا عمر الخيرات من عمر !

فقال : يا جرير ، ما أرى لك فيما ههنا حقا ! قال : يا أميرالمؤمنين، انى ابن سبيل ومنقطع ! فقال له : ويحك يا جرير ! قد ولينا هذا الامر، ولا نملك الا ثلثمائة درهم ، مائة أخذها عبدالله، ومائة أخذتها أم عبدالله ، يا غلام ، اعطه المائة الباقية .

فأخذها جرير ، وقال : والله يا أمير المؤمنين لهى أحب مال اكتسبته، ثم خرج ، فقال له الشعراء ما وراءك ؟ قال : ما يسوءكم ! خرجت من عند خليفة يعطى الفقراء ، ويمنع الشعراء ، وانى عنه لراض ، وأنشد :

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه   وقد كان شيطانى من الجن راضيا

٨ ـ الشعراء عند عمر بن عبدالعزيز :

قال حماد الراوية :

دخلت المدينة التمس العلم ، فكان أول من لقيت كثير عزة • فقلت: يا أبا صخر ما عندك من بضاعتي؟ قال: عندي ما عند الاحوص ونصيب • قلت : وما هو ؟ قال : هما أحق أخبارك • فقلت له : أنا لم نحث الخطى نحوكم شهرا نطلب ما عندكم الا ليبقى لكم ذكر ، وقل من يفعل ذلك ، فخبرنى عما سألتك ليكون ما تخبرنى به حديثا آخذه عنك•

فقال : انه لما كان من أمر عمر بن عبدالعزيز ما كان ، قدمت أنا ونصيب والاحوص ، وكل منا يدل بسابقته عند عبدالعزيز واخائه لعمر •

فكان أول من لقينا مسلمة بن عبدالملك وهو يومئذ فتى العرب ، وكل واحد منا ينظر فى عطفيه لا يشك انه شريك الخليفة فى الخلافة ، فأحسن ضيافتنا وأكرم مثوانا ثم قال : أما علمتم ان امامكم لا يعطى الشعراء شيئا ، قلنا : قد جئنا الآن ، فوجه لنا فى هذا الامر وجها • فقال : ان كان ذو دين من آل مروان قد ولى الخلافة فقد بقى من ذوى دنياهم من يقضى حوائجكم ويفعل بكم ما أنتم له أهل •

فأقمنا على بابه أربعة أشهر لا نصل اليه ، وجعل مسلمة يستأذن لنا فلا يؤذن • فقلت : لو أتيت المسجد يوم الجمعة فحفظت من كلام عمر شيئا ! فأتيت المسجد فأنا أول من حفظ كلامه : سمعته يقول فى خطبة له: « لكل سفر زاد لا محالة ، فتزودوا من الدنيا الى الآخرة بالتقوى، وكونوا

كمن عاين ما أعد الله له من ثوابه وعقابه ، فعمل طلبا لهذا وخوفا من هذا • ولا يطولن عليكم الامد فتقسوا قلوبكم ، وتنقادوا لعدوكم •

واعلموا انه انما يطمئن بالدنيا من وثق بالنجاة من عذاب الله في الآخرة • فأما من لا يداوي جرحا الا أصابه جرح من ناحية اخرى ، فكيف يطمئن بالدنيا ! أعوذ بالله أن آمركم بما انهى نفسي عنه فتخسر صفقتي ، وتبدو علتي وتظهر مسكنتي يوم لا ينفع فيه الا الحق والعدل »•

فارتج المسجد بالبكاء ، وبكى عمر حتى بُلّ ثوبه ، وظننا انه قاضٍ نحبه ، فبلغت الى صاحبيَّ فقلت : جددا لعمر من الشعر غير ما أعددناه ، فليس الرجل بدنيوي •

ثم ان مسلمة استأذن لنا يوم جمعة بعدما أذن للعامة • فدخلنا فسلمنا عليه بالخلافة فرد علينا • فقلت له : يا أمير المؤمنين ، طال الثواء وقلت الفائدة وتحدثت بجفائك ايانا وفود العرب •

فقال : ياكثير : أما سمعت الى قول الله عز وجل في كتابه « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » ، أفمن هؤلاء أنت ؟ فقلت له وأنا ضاحك : أنا ابن سبيل ومنقطع به • قال: أولست ضيف أبي سعيد ؟ قلت : بلى قال : ما أحسب من كان ضيف أبي سعيد ابن سبيل ولا منقطعا به :

ثم استأذنته في الانشاد ، فقال : قل ولا تقل الا حقا • فان الله سائلك فقلت :

وليت فلم تشتم علياً ولم تخف بريئا ولم تتبع مقالة مجرم
وقلت تصدقت الذى قلت بالذى فعلت ، فأضحى راضيا كل مسلم
لقد لبست لبس الهلوك ثيابها وأبدت لك الدنيا بكف ومدحم

وتومض أحيانا بعين فريضة ... وتبسم عن مثل الجمال المنظم
فأعرضت عنها مشمئزا كأنما ... سقتك مدوفا فى سمام وعلقم
وقد كنت فى أجيالها فى ممتع ... ومن بحرها فى مزبد الموج مفعم
وما زلت سباقا الى كل غاية ... صعدت بها أعلى البناء المقدم
فلما أتاك الملك عفوا ولم يكن ... لطالب دنيا بعده من تكلم
تركت الذى يفنى وان كان موبقا ... وآثرت ما يبقى برأى مصمم
ومالك ان كنت الخليفة مانعا ... سوى الله من مال رغيد ودرهم
سما لك هم فى الفؤاد مورق ... صعدت به أعلى المعالى بسلم
فما بين شرق الارض والغرب كلها ... مناد ينادى من فصيح وأعجم
يقول : أمير المؤمنين ظلمتنى ... بأخذ لدينار وأخذ لدرهم
فلو يستطيع المسلمون تقسموا ... لك الشطر من أعمارهم غير ندم
فعشت به ما حج لله راكب ... معد مطيف بالمقام وزمزم
فاربح بها من صفقة لمبايع ... وأعظم بها أعظم بها ثم أعظم

فقال لى : يا كثير ، ان الله سائلك عن كل ما قلت . ثم تقدم اليه الاحوص فاستأذنه فقال : قل ولا تقل الا حقا فان الله سائلك فأنشده :

وما الشعر الا خطبة من مؤلف ... بمنطق حق أو بمنطق باطل
فلا تقبلن الا الذى وافق الرضا ... ولا ترجعنا كالنساء الارامل
رأيناك لم تعدل عن الحق يمنة ... ولا يسرة فعل الظلوم المجادل
ولكن أخذت القصد جهدك كله ... وتقفو مثال الصالحين الاوائل
فقلنا ولم نكذب بما قد بدا لنا ... ومن ذا يرد الحق من قول عاذل
ومن ذا يرد السهم بعد مروقه ... على فوقه ان عاد من نزع نابل
ولولا الذى قد عودتنا خلائف ... غطاريف كانت كالليوث البواسل
ولكن رجونا منك مثل الذى به ... صرفنا قديما من ذويك الافاضل
فان لم يكن للشعر عندك موضع ... وان كان مثل الدر من قول قائل
وكان مصيبا صادقا لا يعيبه ... سوى انه يبنى بناء المنازل

فان لنا قربى ومحض مودة ... وميراث آباء مشوا بالمناصل
فذادوا عدو السلم عن عقر دارهم ... وأرسوا عمود الدين بعد تمايل
فقبلك ما أعطى الهنيدة جلة ... على الشعر كعبا من سديس وبازل
رسول الاله المصطفى بنبوة ... عليه سلام بالضحا والاصائل
فكل الذى عددت يكفيك بعضه ... ونيلك خير من بحور السوائل

فقال له عمر : يا أحوص ، ان الله سائلك عن كل ما قلت . ثم تقدم اليه نصيب فاستأذن فى الانشاء . فأبى أن يأذن له وغضب غضبا شديدا وأمره باللحاق بمدينة دابق بحلب ، وقال لنا : ما عندى ما أعطيكم ، فانتظروا حتى يخرج عطائى فأواسيكم فيه ، فانتظرناه حتى خرج ، فأمر لى وللاحوص بثلاثمائة درهم ، وأمر لنصيب بمائة وخمسين درهما فما رأيت أعظم بركة من الذى أعطانيه . فابتعت بها وصيفة فعلمتها الغناء فبعتها بألف دينار . ولما المحنا له أن يكون عطاؤنا من بيت المال ، رفض بشدة وادعى انه لا يملك الحق فى التصرف فيه الا لمصلحة تفيد الاسلام والمسلمين وما هو الا وكيل وعليه أن يحسن التصرف فى أمر موكله .

٩ - فى وفاة عمر بن عبدالعزيز :

لما حضرت عمر بن عبدالعزيز الوفاة دخل عليه مسلمة بن عبدالملك فقال : يا أمير المؤمنين ، انك قد فغرت أفواه ولدك من هذا المال ، فلو أوصيت بهم الي والى نظرائى من قومك فكفوك مؤنتهم :

فلما سمع مقالته قال : اجلسونى ، فأجلسوه فقال : قد سمعت مقالتك يا مسلمة ، أما قولك : قد فغرت أفواه ولدى من هذا المال ، فو الله ما ظلمتهم حقا هو لهم ولم أكن لاعطيهم شيئا لغيرهم ، وأما ما قلت فى الوصية ، فان وصيتى فيهم (الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) وانما ولد عمر بين أحد رجلين : أما رجل صالح فسيغنيه الله ، وأما غير

ذلك فلن أكون أول من عانه بالمال على معصية الله •

ادع لى بنيي فأتوه ، فلما رآهم ترقرقت عيناه ، وقال : بنفسى فتية تركتهم عالة لا شيء لهم وبكى :

يا بني اني قد تركت لكم خيرا كثيرا لا تمرون بأحد من المسلمين وأهل ذمتهم الا رأوا لكم عليهم حقا ، يا بنى انى قد ميلت بين الامرين : أما أن تستغنوا وأدخل النار وأما أن تفتقروا الى آخر الابد وأدخل الجنة ، فأرى أن تفتقروا فذلك أحب الي قوموا عصمكم الله ، قوموا رزقكم الله •

١٠ ـ جئتك من عند أزهد الناس :

استعمل عمر ـ رضى الله عنه ـ على حمص رجلا يقال له عمير بن سعد ، فلما مضت السنة كتب اليه : ان اقدم علينا ، فلم يشعر عمر الا وقد قدم عليه عمير ماشيا حافيا ، عكازته بيده ، وأدواته ومزوده وقصعته على ظهره ، فلما نظر عمر قال له : يا عمير ، أجبتنا أم البلاد بلاد سوء ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، أما نهاك الله أن تجهر بالسوء ، وعن سوء الظن ؟ وقد جئت اليك بالدنيا أجرها بقرابها ! فقال له : وما معك من الدنيا ؟

قال : عكازة أتوكأ عليها ، وأدفع بها عدوا ان لقيته ، ومزود أحمل فيه طعامى ، وراوية أحمل فيها ماءاً لشربى وطهورى ، وقصعة أتوضأ فيها ، وأغسل فيها رأسى ، وآكل فيها طعامى ، فوالله يا أمير المؤمنين ، ما الدنيا بعد الا تبع لما معى !

فقام عمر رضى الله عنه الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه ، فبكى بكاء شديدا • ثم قال : اللهم الحقنى بصاحبى غير مفتضح ولا مبتذل •

ثم عاد الى مجلسه ، فقل : ما صنعت فى عملك يا عمير؟ فقال : أخذت الابل من أهل الابل والجزية من أهل الذمة عن يد وهم صاغرون ، ثم

قسمتها بين الفقراء والمساكين وأبناء السبيل ، فوالله يا أمير المؤمنين لو بقى عندى منها شيء لأتيتك به •

فقال عمر : عد الى عملك يا عمير • فقال : انشدك الله يا أمير المؤمنين أن تردنى الى أهلى • فأذن له فأتى أهله •

فبعث عمر رجلا يقال له حبيب بمائة دينار ، وقال : اختبر لى عميرا ، وأنزل عليه ثلاثة أيام حتى ترى حاله ، هل هو فى سعة أو ضيق ؟ فان كان فى ضيق فادفع اليه الدنانير •

فأتاه حبيب ، فنزل به ثلاثا ، فلم ير له عيشا الا الشعير والزيت ، فلما مضت ثلاثة أيام ، قال : يا حبيب ، ان رأيت أن تتحول الى جيراننا ، فلعلهم يكونون أوسع عيشا منا ، فاننا والله وتالله لو كان عندنا غير هـذا لآثرناك به •

فدفع اليه الدنانير ، وقال : قد بعث بها أمير المؤمنين ، فدعا بفرو خلق لامرأته فجعل يصر منها خمسة الدنانير والستة أو السبعة ، ويبعث بها الى اخوانه من الفقراء الى أن أنفذها •

فقدم حبيب على عمر ، وقال جئتك يا أمير المؤمنين من عند أزهد الناس ، ما عنده من الدنيا قليل ولا كثير ، فأمر له عمر بوسقين من طعام وثوبين • فقال : يا أمير المؤمنين ، أما الثوبان فأقبلهما وأما الوسقان فلا حاجة لى بهما ، عند أهلى صاع من بر هو كافيهم حتى أرجع اليهم •

١١ ـ الولد سر أبيه :

كان بيد عمر بن عبدالعزيز قبل الخلافة ضيعة تعرف بالسهلة، وكانت باليمامة ، وكانت لها غلة عظيمة كثيرة ، عيشه وعيش أهله منها •

فلما وليّ الخلافة قال لمزاحم مولاه ، وكان فاضلا : انى عزمت أن أرد السهلة الى بيت مال المسلمين • فقال مزاحم : أتدرى كم ولدك ، انهم

كذا وكذا !

فذرفت عيناه ، فجعل يستدمع ويمسح الدمعة بأصبعه الوسطى ، ويقول : أكلهم الى الله ، أكلهم الى الله !

فمضى مزاحم ، فدخل على عبدالملك بن عمر ، فقال له : ألا تعلم ما قد عزم عليه أبوك ؟ انه يريد أن يرد السهلة ! قال : فما قلت له ؟ قال ذكرتُ له ولده، فجعل يستدمع ويمسحُ الدمعة بأصبعه الوسطى، ويقول: أكلهم الى الله •

فقال عبدالملك : بئس وزير الدين أنت ! ثم وثب وانطلق الى أبيه ، فقال للآذن : استأذن لى عليه ، فقال : انه قد وضع رأسه الساعة للقائلة • فقال : استأذن لى عليه ، فقال أما ترحمونه ؟ ليس له من الليل والنهار الا هذه الساعة ! قال : استأذن لى عليه لا ام لك !

فسمع عمر كلامهما ، فقال : ائذن لعبدالملك ! فدخل فقال : علامَ عزمت ؟ قال : ارد السهلة ! قال : فلا تؤخر ذلك ، قم الآن ! فجعل عمر يرفع يديه ويقول : الحمد لله الذى جعل لى من ذريتى من يعيننى على أمر دينى • نعم ، يا بنى ، اصلى الظهر ، ثم أصعد المنبر ، فأردها علانيه على رؤوس الناس !

قال : ومن لك أن تعيش الى الظهر ، ثم من لك أن تسلم نيتك الى الظهر ان عشت اليها !

فقام عمر ، فصعد المنبر وخطب الناس ورد السهلة الى بيت المسلمين •

١٢ ـ لا أسألكم عليه أجرا :

قال عثمان بن عطاء الخراسانى : انطلقت مع أبى نريد هشام بن عبدالملك ، فلما قربنا اذا بشيخ على حمار أسود ، عليه قميص دنس ، وجبة دنسة وقلنسوة دنسة وركاباه من خشب فضحكت منه وقلت لابى من هذا

الاعرابى ؟ قال اسكت فهذا سيد فقهاء الحجاز عطاء بن أبى رباح !

فلما قرب منا نزل أبى عن بغلته ، ونزل هو عن حماره ، فاعتنقا وتساءلا ، ثم عادا فركبا وانطلقا حتى وقفا على باب هشام ، فما استقر بهما الجلوس ، حتى اذن لهما .

فلما خرج أبى قلت له : حدثنى ما كان منكما ! قال : لما قيل لهشام : ان عطاء بن أبى رباح بالباب أذن له ، فوالله ما دخلت الا بسببه .

فلما رآه هشام قال : مرحبا مرحبا ! ههنا ، ههنا ، ولا يزال يقول له: ههنا ، ههنا ، حتى أجلسه معه على سريره ، ومس بركبته ركبته . وعنده أشراف الناس يتحدثون فسكتوا فقال له : ما حاجتك يا أبا محمد ؟ قال : يا أميرالمؤمنين أهل الحرمين أهل الله وجيران رسوله ، تقسم عليهم أرزاقهم وأعطياتهم ، قال يا غلام اكتب لاهل مكة والمدينة باعطياتهم وأرزاقهم لسنة، ثم قال : هل فى حاجة غيرها يا أبا محمد ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين أهل الحجاز وأهل نجد هم أصل العرب وقادة الاسلام ، ترد فيهم فضول صدقاتهم قال نعم ! يا غلام اكتب بأن ترد فيهم فضول صدقاتهم ، هل من حاجة غيرها يا أبامحمد ؟ قال : نعم . يا أميراؤمنين ، أهل الثغور يردون من ورائكم ، ويقاتلون عدوكم ، تجرى لهم أرزاقا تدرها عليهم ، فانهم ان هلكوا ضاعت الثغور ، قال نعم ! يا غلام ! اكتب بحمل أرزاقهم اليهم . هل من حاجة غيرها يا أبامحمد ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، أهل ذمتكم لا يكلفون مالا يطيقون ، فأن ما تجبونه منهم معونة لكم على عدوكم . قال: نعم ! اتق الله فى نفسك ، فأنت خلقت وحدك ، وتموت وحدك ، وتحشر وحدك ، ولا والله ما معك ممن ترى أحدا !

فأكب هشام ينكت فى الارض وهو يبكى ، فقام عطاء .

فلما كنا عند الباب اذا رجل قد تبعه بكيس لا أدرى عدد الدراهم

فيه أو الدنانير ، فقال : ان أمير المؤمنين ، أمر لك بهذا • فقال : لا أسألكم عليه أجرا ان أجرى الا على رب العالمين ، فوالله ما شرب عنده قطرة ماء !

١٣ ـ عمر بن عبدالعزيز يحمل الناس على الحق :

لما دفن سليمان ، وقام عمر بن عبدالعزيز ، قربت اليه المراكب ، فقال : ما هذه ؟ فقالوا : مراكب لم تركب قط يركبها الخليفة أول ما يلى • فتركها وخرج يلتمس بغلته ، وقال : يا مزاحم ، ضم هذه المراكب الى بيت مال المسلمين •

ونصبت له سرادقات وحجر لم يجلس فيها أحد قط ، كانت تضرب للخليفة أول ما يلى ، فقال : ما هذه ؟ فقالوا : سرادقات وحجر لم يجلس فيها أحد قط يجلس فيها الخليفة أول ما يلى • قال يا مزاحم ، ضم هذه الى أموال المسلمين • ثم ركب بغلته ، وانصرف الى الفرش والوطاء الذى لم يجلس عليه أحد قط يفرش للخليفة أول ما يكون ، فجعل يدفع ذلك برجله حتى يفضى الى الحصير • ثم قال : يا مزاحم ، ضم هـذه لامـوال المسلمين •

وبات عيال سليمان يفرغون الادهان والطيب من هذه القارورة الى هذه القارورة ، ويلبسون ما لم يلبس من الثياب حتى تتكسر ـ وكـان الخليفة اذا مات فما لبس من الثياب ، أو مس من الطيب كان لولده ، وما لم يلبس من الثياب وما لم يمس من الطيب فهو للخليفة بعده •

فلما أصبح عمر قال له أهل سليمان : هذا لك وهذا لنا ، قال : وما هذا ؟ وما هذا ؟ فقالوا : هذا مما لبس الخليفة من الثياب ومس من الطيب فهو لولده ، وما لم يمس ولم يلبس فهو للخليفة بعده ، وهو لك •

قال عمر : ما هذا لى ، ولا لسليمان ، ولا لكم ، ولكن يا مزاحم ، ضم هذا كله الى بيت مال المسلمين • ففعل •

فتآمر الوزراء فيما بينهم ، فقالوا : أما المراكب والسرادقات والحجر والوطاء فليس فيه رجاء بعدما كان منه فيه ما قد علمتم ، وبقيت خصلة وهي الجوارى ، لغرضهن فعسى ان يكون ما تريدون فيهن ، فان كان والا فلا طمع لكم عنده ، فأتى بالجوارى فعرضن عليه كأمثال الدمى ، فلما نظر اليهن جعل يسألهن واحدة واحدة : من أنت ؟ ولمن كنت ؟ ومن بعث بك ؟ فتخبره الجارية بأصلها ، ولمن كانت ، وكيف أخذت ، فيأمر بردهن الى أهلهن ويحملن الى بلادهن ، حتى فرغ منهن ، فلما رأوا ذلك ، آيسوا منه ، وعلموا انه سيحمل الناس على الحق .

واحتجب عن الناس ثلاثا ، لا يدخل عليه أحد ، ووجوه بنى مروان وبنى امية ، وأشراف الجنود والعرب ، والقواد ببابه ، ينظرون ما يخرج عليهم منه ، فجلس للناس بعد ثلاث وحملهم على شريعة من الق فعرفوها ، فرد المظالم ، وأحيا الكتاب والسنة ، وسار بالعدل ، ورفض الدنيا وزهد فيها ، وتجرد لاحياء أمر الله عز وجل ، فلم يزل على ذلك حتى قبض !.

١٤ ـ نزاهة عاقبة بن يزيد القاضى : ـ

كان عاقبة بن يزيد القاضى يلى القضاء ببغداد فى عهد المهدى ، فجاء المهدى يوما وقت الظهر وهو خالٍ . فاستأذن عليه . فلما دخل استأذنه فيمن يسلم اليه القمطر ـ سجل الدعاوى ـ الذى فيه قضايا مجلس الحكم واستعفاه من القضاء وطلب منه أن يقيله من ولايته .

فظن المهدى ان بعض الولاة قد عارضه فى حكمه. فقال له فى ذلك: هل عارضك أحد تنكر عليه ؟ فقال القاضى : لم يكن شىء من ذلك . قال: فما سبب استعفائك من القضاء ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، تقدم لى خصمان منذ شهر فى قضية مشكلة ، وكل يدعى بينة وشهوا ، ويدلى بحجج تحتاج الى تأمل وتلبث فرددت الخصوم رجاء أن يصطلحوا وان يظهر

الفصل بينهما ، فسمع أحدهما انى احب الرطب فعمد ـ فى وقتنا هذا وهو أول أوقات الرطب ـ فجمع رطبا لا يتهيأ فى وقتنا هذا جمع مثله لامير المؤمنين ، وما رأيت أحسن منه ، ورشا بوابى بدراهم على أن يدخل الطبق عليّ ، ولا يبالى أن يرد الطبق عليه أم لا .

فلما أدخله عليّ أنكرت ذلك وطردت بوابى وأمرت برد الطبق ، فرد فلما كان اليوم تقدم الخصمان اليّ فما تساويا فى عينى ولا قلبى ، فهذا يا أمير المؤمنين ولم أقبل ، فكيف يكون حالى لو قبلت ؟ ولا آمن أن تقع عليّ حيلة فى دينى ، وقد فسد الناس ، فأقلنى يا أمير المؤمنين ، أقالك الله ، واعفنى عفا الله عنك . وبناء على شدة الحافه وتوسله أقاله المهدى وهو آسف .

١٥ ـ الزهد فى العيش :

قدم العيد على المسلمين وأراد سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يبتاع لاولاده ملابس جديدة فلم يكن يملك من المال ما ينقده ثمنا لها فاضطر أن يرهن درعه وسيفه عند أحد اليهود ويأخذ لاولاده ملابس جديدة أو حيث انه لا يملك ما يسدد به دينه فبقى الدرع والسيف عند اليهودى رهينة مدة طويلة حتى مر ذات يوم سيدنا عبدالرحمن بن عوف رآها فاستغربها عند اليهودى فسأله عنها فأخبره خبرها ، عندها نقده عن الملابس وأخذ الدرع والسيف وعاد بهما الى صاحبهما ، علماً بأن علياً عليه السلام كان آنذاك فى دست الخلافة وبيوت مال المسلمين تارعة بخيراتها غير أن النفس الابية الراضية بعيشها المرضية عند ربها تأبى أن تمد يدها الى مال المسلمين ولو كان فيها خصاصة اللهم ارحمنا بأفعال هؤلاء السادة والقادة .

تاسعا ـ الامثلة عند العرب

كانت الامثلة ضربا من ضروب الحكمة والبلاغة العربية الاصيلة ، وها نحن ننقل لك أيها القارىء بعضها للفائدة والافادة .

١ ـ الحديث ذو شجون (سبق السيف العذل) :

كان لضبة بن أدّ ابنان يقال لاحدهما سعد وللآخر سعيد فنفرت ابل لضبة تحت الليل ، فوجه ابنيه فى طلبها ، فتفرقا فوجدها سعد ، فردها ، ومضى سعيد فى طلبها ، فلقيه الحارث بن كعب ـ وكان على الغلام بردان ـ فسأله اياهما ، فأبى عليه ، فقتله ، وأخذ برديه .

فكان ضبة اذا أمسى فرأى تحت الليل سوادا قال : أسعد أم سعيد ؟ فمكث ضبة بذلك ما شاء الله أن يمكث ، ثم انه حج فوافى سوق عكاظ فلقى بها الحارث بن كعب ، ورأى عليه بردى ابنه سعيد فعرفهما فقال : هل أنت مخبرى : ما هذان البردان اللذان عليك ؟ قال : لقيت غلاما وهما عليه فسألته اياهما فأبى عليّ فقتلته ، وأخذت برديه هذين .

فقال ضبة : بسيفك هذا قال نعم . فقال خذ حذرك فانت قاتل ابنى سعيد ، انتضى سيفه وهزه وقال : الحديث ذو شجون فهجم عليه وضربه فقتله ، فقيل له : يا ضبة أفى الشهر الحرام ؟ فقال : « سبق السيف العذل » .

٢ ـ جوع كلبك يتبعك :

كان أحد ملوك حمير عنيفا على مملكته ، يغصبهم أموالهم ، ويسلبهم ما فى أيديهم ، وكانت الكهنة تخبره انهم سيقتلونه ، فلا يحفل بذلك .

وسمعت امرأته أصوات السؤال ، فقالت : انى لارحم هؤلاء ، لما يلقون من الجهد ، ونحن فى العيش الرغيد ، وانى لاخاف عليك أن يصيروا سباعا ، وقد كانوا لنا أتباعا ، فرد عليها وقال : « جوع كلبك

يتبعك » .

فلبث بذلك زمانا ، ثم أغزاهم ، فغنموا ، ولم يقسم منهم شيئا ، فلما خرجوا من عنده ، قالوا لاخيه : وهو أميرهم : قد ترى ما نحن فيه من الجهد ، ونحن نكره خروج الملك منكم ـ أهل البيت ـ الى غيركم ، فساعدنا على قتل أخيك ، واجلس مكانه .

وكان قد عرف بغيه واعتداءه عليهم ، فأجابهم الى ذلك ، فوثبوا عليه فقتلوه ! فمر به عامر بن جذيمة ـ وهو مقتول ـ وقد سمع بقوله : جوع كلبك يتبعك ! فقال : « ربما أكل الكلب مؤدبه اذا لم ينل شبعه » .

٣ ـ تأبط شرا وابن براق :

أغار تأبط شرا ومعه ابن براق على بجيلة ، فأطردا لهما نعما ، ونذرت بهما بجيلة ، فخرجت فى آثارهما ، ومضيا هاربين فى جبال السراة ، وركبا الحزن ، وعارضتهما بجيلة فى السهل ، فسبقوهما الى الوهط ، فدخلوا لهما فى قصبة العين ، وجاءا وقد بلغ العطش منهما الى العين .

فلما وقعا عليها ، قال تأبط شرا لابن براق : أقل من الشرب فأنها ليلة طرد ، قال : وما يدريك ؟ قال : والذى روحى بيده انى لاسمع وجيب قلوب الرجال تحت قدمى ـ وكان من اسمع العرب وأكيدهم ـ فقال له ابن براق : ذلك وجيب قلبك ، فقال له : تأبط شرا : والله ما وجب قلبى قط ولا كان وجابا ، وضرب بيده عليه ، وأصاخ نحو الارض يستمع ، فقال : والذى أعدو بطيره ، انى لاسمع وجيب قلوب الرجال ، فقال له ابن براق: فانى انزل قبلك .

فنزل فبرك وشرب ، وكان أكل القوم عند بجيلة شوكة ، فتركوه وهم فى الظلمة ، ونزل ثابت ، فلما توسط الماء وثبوا عليه ، فأخذوه

وأخرجوه من العين مكتوفا وابن براق قريب منهم لا يطمعون فيه لما يعلمون من عدوه ، فقال لهم ثابت : انه من أصدق الناس وأشدهم عجبا بعدوه ، وسأقول له : استأسر معى ، فسيدعوه عجبه بعدوه الى أن يعدو بين أيديكم ، وله ثلاثة اطلاق ، أولها كالريح الهابة ، والثانى كالفرس الجواد والثالث يكبو فيه ويعثر ، فاذا رأيتم منه ذلك فخذوه فأنى احب أن يصير فى أيديكم كما صرت اذخالفنى ، قالوا : فافعل .

فصاح به تأبط شرا : أنت أخى فى الشدة والرخاء ، وقد وعدنى القوم أن يمنوا عليك وعليّ ، فاستأسر وواسنى بنفسك فى الشدة كما كنت أخى فى الرخاء ، فضحك ابن براق ، وعلم انه قد كادهم ، وقال : مهلا ياثابت ، أيستأسر من عنده هذا العدو ؟ ثم عداه فعدا أول طلق مثل الريح كما وصف لهم ، والثانى كالفرس الجواد ، والثالث جعل يكبو ويعثر ويقع على وجهه ، فقال : ثابت خذوه فعدوا بأجمعهم ، فلما أن نفسوا عنه شيئا عدا تأبط شرا فى كتافه ، وعارضه ابن براق فقطع كتافه وأفلتا جميعا ، فقال تأبط شرا قصيدته القافية فى ذلك :

يا عيد مالك من شوق وابراق ومرطيف على الاهوال طراق
يسرى على الاين والحيات محتفيا نفسى فداؤك من سار على ساق

٤ ــ شب عمرو عن الطوق :

كان جذيمة الابرش ملك الحيرة قد جمع غلمانا من أبنـــاء الملوك يخدمونه ، منهم عدى بن نصر بن ربيعة اللخمى ، وكان لـه حـظ من الجمال ، فقالت له رقاش اخت جذيمة : اذا سقيت الملك فسكر فاخطبنى اليه ، فسقى عدى جذيمة ليلة ، وألطف له فى الخدمة ، ولما أسرعت الخمر فيه قال له : سلنى ما أحببت ، فقال : أسألك أن تزوجنى رقاش اختك ! قال : ما بها عنك رغبة ، قد فعلت . فدخل بها ، وأصبح فى ثيـاب جـدد وطيب . فلما رآه جذيمة قال يا عدى ما هذا الذى أرى ؟ قال : زوجتنى

اختك رقاش البارحة ، قال : ما فعلت ! ثم وضع يده في التراب ، وجعل يضرب بها وجهه ورأسه ، وأقبل على رقاش فقال :

حدثيني وأنت غير كذوب . . . . . .

فأجابته رقاش :

أنت زوجتني وما كنت أدري وأتاني النساء للتزيين

ذاك من شربك المدامة صرفا وتماديك في الصبا والمجون

فأطرق جذيمة ، فلما رآه عدى قد فعل ذلك خافه على نفسه ، فهرب منه ، ولحق بقومه وبلاده ، فمات هناك .

ثم ولدت رقاش غلاما ، فسماه جذيمة عمرا وتبناه ، وأحبه حبا شديدا ـ وكان جذيمة لا يولد له .

فلما بلغ الغلام ثماني سنين كان يخرج مع عدة من خدم الملك يجتنون له الكمأة ، فكانوا اذا وجدوا كمأة خيارا أكلوها وراحوا بالباقي الى الملك . وكان عمرو لا يأكل مما يجنى ، ويأتي به جذيمة فيضعه بين يديه ، ويقول :

هذا جناي وخياره فيه اذ كل جانٍ يده الى فيه

ثم انه خرج يوما وعليه ثياب وحلى ، ففقد زمانا ، فضرب في الآفاق فلم يوجد ، وأتى على ذلك ما شاء الله .

ثم وجده مالك وعقيل ابنا فارج ، وهما رجلان من بلقيس كانا متوجهين الى الملك بهدايا وتحف ، فبينما هما بواد في السماوة انتهى اليها عمرو بن عدى ، وقد عفت أظفاره وشعره ، فقالا له : من أنت ؟ قال : ابن التنخية ، فلهيا عنه ، وقالا لجارية معهما : اطعمينا فأطعمتهما ، فأشار عمرو الى الجارية أن اطعميني فأطعمته ثم سقتهما ، فقال عمرو : اسقيني، فقالت الجارية : لا تطعم العبد الكراع فيطمع في الذراع .

ثم انهما حملاه الى جذيمة ، فعرفه ، فضمه وقبله وقال لهما : حكمتكما ، فسألاه منادمته ، فلم يزالا نديميه حتى فرق الموت بينهم ، وبعث عمرواً الى امه ، فأدخلته الحمام ، وألبسته ثيابه ، وطوقته طوقا كان له من ذهب ، فلما رآه جذيمة قال : شب عمر عن الطوق .

٥ ـ كل امرىء يأكل زاده :

خرج المهدى وعلى بن سليمان الى الصيد ، فسنح لهما قطيع من ظباء ، فأرسلت الكلاب ، وأجريت الخيل ، فرمى المهدى سهما ، فصرع ظبيا ، ورمى على بن سليمان فأصاب كلبا فقتله ، فقال فى ذلك أبو دلامة :

قد رمى المهدى ظبيا ... شك بالسهم فؤاده
وعلى بن سليما ... ن رمى كلبا فصاده
فهنيئا لهما كل امرىء يأكل زاده

فضحك المهدى حتى كاد يسقط عن سرجه ، وقال : صدق والله أبو دلامة ، وأمر له بجائزة ، ولقب على بن سليمان بصائد الكلب ، فعلق به اللقب .

٦ ـ ما معى الا قفاى :

كان رجل ببغداد يعرف بابن المغازلى ، يتكلم على الطريق ، ويقص على الناس أخبارا ونوادر ومضحكات ، وكان فى نهاية الحذق ، لا يستطيع من يراه ويسمع كلامه الا أن يضحك .

قال : وقفت يوما فى خلافة المعتضد على باب الخاصة ، فحضر حلقتى بعض خدم المعتضد ، فأخذت فى حكاية الخدم ، فأعجب الخادم بحكايتى وشغف بنوادرى ، ثم انصرف عنى .

فلم يلبث أن عاد الىّ وأخذ بيدى ، وقال : انى لما انصرفت عن حلقتك دخلت ، فوقفت بين يدى المعتضد أمير المؤمنين ، فذكرت حكايتك ،

وما جرى من نوادر فاستضحكت ، فرآني أمير المؤمنين ، فأنكر ذلك مني ، وقال : ويلك ! مالك ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، على الباب رجل يعرف بأبن المغازلي يضحك ويحاكي ، ولا يدع حكاية أعرابي وتركي ومكي وزنجي وخادم الا حكاها ، ويخلط ذلك بنوادر تضحك الثاكل ، وتصبي الحليم ، وقد أمرني باحضارك ، ولي نصف جائزتك ، فقلت له ، وقد طمعت في الجائزة السنية : يا سيدي : أنا ضعيف وفقير ، وقد من الله عليّ بك ، فما عليك ان أخذت بعضها ، سدسها أو ربعها ، فأبى الا نصفها ، فطمعت في النصف ، وقنعت به .

فأخذ بيدي وأدخلني عليه فسلمت وأحسنت ، ووقفت في الموضع الذي اوقفت فيه ، فرد عليّ السلام ، وقد كان ينظر في كتاب ، فلما نظر في أكثره أطبقه ، ثم رفع رأسه اليّ وقال : أنت ابن المغازلي ؟ قلت : نعم ! يا أمير المؤمنين ، قال : قد بلغني انك تحكي وتضحك ، تأتي بحكايات عجيبة ، ونوادر ظريفة ! قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، الحاجة تفتق الحيلة ، أجمع بها الناس ، وأتقرب الى قلوبهم بحكايتها التمس برهم ، وأعيش بما أناله منهم ، قال : فهات ما عندك ، وخد في فنك ، فان أضحكتني اجزتك بخمسمائة درهم ، وان لم أضحك فمالي عليك ؟ فقلت : ما معي الا قفاي ، فاصفعه ما أحببت ، وكم شئت وبما شئت ! فقال لي : قد انصفت ، ان ضحكت فلك ما ضمنت ، وان أنا لم أضحك صفعتك بهذا الجراب عشر صفعات .

فقلت في نفسي : ملك لا يصفع الا بشيء يسير خفيف هين ، ثم التفت، واذا أنا بجراب أدم ناعم في زاوية البيت ، فقلت في نفسي : ما أخطأ حزري ، ولا أخلف ظني ، وما عسى أن يكون من جراب فيه ربح ان أنا أضحكته ربحت ، وان أنا لم اضحكه فأمر عشر صفعات بجراب منفوخ هين .

ثم أخذت فى النوادر والحكايات ، فلم أدع حكاية أعرابى ، ولا نحوى ، ولا قاضٍ ، ولا عبارة ولا نادرة ، ولا حكاية الا أحضرتها وأتيت بهـا حتى نفـد جميع ما عندى ، وتصدع رأسى ، ولم يبق ورائى خادم الا هرب ، ولا غلام الا ذهب لمّا استفزهم الضحك !

فقلت : قد نفد ـ والله يا أمير المؤمنين ـ ما معى ، وتصدع رأسى ، وذهب معاشى ، وما رأيت قط مثلك وما بقيت لي الا نادرة واحدة ، فقال : هاتها ! فقلت : يا أمير المؤمنين ، وعدتنى أن تصفعنى عشرا ، وجعلتها مكان الجائزة • فأسألك أن تضعف الجائزة ، وتضيف اليها عشـرا ، فأراد أن يضحك ، فاستمسك ، ثم قال : نفعل : يا غلام خذ بيده ، فأخـذ بيـدى ، ومددت قفاى فصفعت بالجراب صفعة ، فكأنما سقط على قفاى قلعة ، واذا فيه حصى مدور ، كأنه صنجات ، فصفعت به عشرا ، كادت أن تنفصل رقبتى ، وينكسر عنقى ، وطنت اذناى ، وقدح الشعاع من عينى •

فلما استوفيت العشرة صحت : يا سيدى نصيحة ، فرفع الصفع عنى ، فقال : ما نصيحتك ؟ قات : يا سيدى ، انه ليس فى الدنيا أحسن من الامانة، ولا أقبح من الخيانة ، وقد ضمنت للخادم الذى أدخلنى عليك نصف هذه الجائزة على قلتها أو كثرتها • وأمير المؤمنين ـ أطال الله بقاؤه ـ بفضـله وكرمه قد أضعفها ، فقد استوفيت نصفها ، وبقى لخادمك نصفها •

فضحك حتى استلقى ، واستفزه ما كان قد سمعه منى أولا ، وتحامل له ، وصبر عليه ، فما زال يضرب برجليه ، ويمسك بمراق بطنه ، حتى اذا سكن ضحكه ، ورجعت اليه نفسه قال : عليّ بفلان الخادم ، فأتى به ، وكان طوالا ، فأمر بصفعه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أى شيء قضيتى ؟ وأى جناية جنايتى ؟ فقلت له : هذه جائزتى ، وأنت شريكى ، وقـد اسـتوفيت نصفها ، وبقى نصيبك منها ، فلما أخذه ، وطرق قفاه الصافع أقبلت عليه

أقول له : أقول لك : انى ضعيف فقير ، وشكوت اليك الحاجة والمسكنة ، وقلت لك : يا سيدى ، لا تأخذ نصفها ، لك سدسها ، لك ربعها ، وأنت تقول : ما آخذ الا نصفها ، ولو علمت ان أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ جوائزه صفع ، وهبتها لك كلها ، فعاد الى الضحك .

فلما استوفى صفعه ، وسكن أمير المؤمنين من ضحكه ، أخرج صرة كان قد أعدها فيها خمسمائة درهم ، ثم قال له ـ وقد أراد الانصراف ـ قف ، هذه كنت أعددتها لك فلم يدعك فضولك حتى أحضرت لك شريكا. فقلت : يا أمير المؤمنين ، وأين الامانة ؟ وددت انك تدفعها كلها اليه وتصفعه مع القسوة عشرا اخرى ، وتدفع له الخمسمائة درهم . فقسم الدراهم بيننا وانصرفنا !...

٧ ـ قسم فأحسن القسمة :

قال أبو الحسن : حدثنى أعرابى كان ينزل بالبصرة قال : قدم أعرابى من البادية ، فأنزلته وكان عندى دجاج كثير ، ولى امرأة وابنان وابنتان ، فقلت لامرأتى : بادرى واشوى لنا دجاجة وقدميها الينا نتغذى بها .

فلما حضر الغذاء جلسنا جميعا أنا وامرأتى وابناى وابنتاى والاعرابى. فدفعنا اليه الدجاجة ، وقلنا له : اقسمها بيننا ـ نريد أن نضحك منه ـ فقال: لا احسن القسمة ، فان رضيتم بقسمتى قسمتها بينكم ، قلنا : نرضى ، فأخذ رأس الدجاجة فقطعها وناولنيه ، وقال : الرأس للرأس ، وقطع الجناحين وقال : الجناحان للابنين ، ثم قطع الساقين فقال الساقان ، للابنتين ثم قطع العجز وقال العجز للعجوز وقال : الزرور للزائر ، وأخذ الدجاجة بأسرها وسخر بنا .

فلما كان من الغد قلت لامرأتى اشوى لنا خمس دجاجات ، فلما

حضر الغذاء قلت : اقسم بيننا قال : انى أظن انكم وجدتم فى انفسكم ، قلنا : لا ، لم نجد فى أنفسنا ، فأقسم ! قال : اقسم شفعا أم وترا ؟ قلنا : اقسم وترا ، قال : أنت وامرأتك ودجاجة ثلاثة ، ثم رمى الينا بدجاجة ، ثم قال : وابناك ودجاجة ثلاثة ، ثم رمى اليهما بدجاجة ، ثم قال : وابنتاك ودجاجة ثلاثة ، ثم رمى اليهما بدجاجة ، ثم قال : أنا ودجاجتان ثلاثة ، وأخذ دجاجتين وسخر بنا !

ثم رآنا ونحن ننظر الى دجاجتيه ، فقال : ماتنظرون ؟ لعلكم كرهتم قسمة الوتر ، لا يجيىء الا هكذا ، فهل لكم فى قسمة الشفع ؟ قلنا : نعم ، فضمهن اليه ثم قال أنت وابناك ودجاجة أربعة ، ورمى الينا بدجاجة ، ثم قال والعجوز وابنتاها ودجاجة أربعة ، ورمى اليهن بدجاجة ، ثم قال : أنا وثلاث دجاجات أربعة ، وضم اليه الثلاث ، ورفع يديه الى السماء وقال : اللهم لك الحمد أنت فهمتنيها !.

٨ ـ تعدو الذئاب على من لا كلاب له :

حج أبو الاسود الدؤلى ومعه امرأته ـ وكانت جميلة ـ فبينما هى تطوف بالبيت اذ عرض لها عمر بن أبى ربيعة ، فأتت أبا الاسود فأخبرته، فأتاه أبو الاسود فعاتبه ، فقال له عمر : ما فعلت شيئا ، فلما عادت الى المسجد عاد فكلمها : فأخبرت أبا الاسود فأتاه فى المسجد وهو مع قوم جالس فقال له :

وانى ليثنينى عن الجهل والخنا   وعن شتم أقوام خلائق أربع
حياء واسلام وتقيا واننى   كريم ، ومثلى قد يضر وينفع
فشتان ما بينى وبينك اننى   على كل حال استقيم وتظلع

فقال له عمر : لست أعود يا عم لكلامها بعد هذا اليوم ، ثم عاد فكلمها فأتت أبا الاسود فأخبرته ، فجاء اليه فقال له :

أنت الفتى وابن الفتى وأخو الفتى وسيدنا لولا خلائق أربع
نكول عن الجلى وقرب من الخنا وبخل عن الجدوى وانك تبع

ثم خرجت وخرج معها أبو الاسود مشتملا على سيف ، فلما رآها عمر أعرض عنها ، فتمثل أبو الاسود :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقي صولة المستأسد الحامي

٩ ـ أكلت يوم أكل الثور الابيض :

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : انما مثلي ومثل عثمان كمثل أثوار ثلاثة كن في أجمة : أبيض وأسود وأحمر ، ومعهن فيها أسد ، فكان لا يقدر منهن على شيء لاجتماعهن عليه ، فقال للثور الاسود والثور الاحمر : لا يدل علينا في أجمتنا الا الثور الابيض ، فان لونه مشهور ، ولوني على لونكما ، فلو تركتماني آكله صفت الاجمة ، فقالا له : دونك فكله ، فأكله فلما مضت أيام قال للاحمر : لوني على لونك فدعني آكل الاسود لتصفو لنا الاجمة ! فقال له : دونك فكله ، فأكله ، ثم قال للاحمر : أني آكلك لا محالة ، فقال : دعني انادي ثلاثا ، فقال افعل ، فنادى : الا اني اكلت يوم اكل الثور الابيض ، ثم قال علي رضي الله عنه : ألا أني هنت يوم قتل عثمان : يرفع بها صوته •

١٠ ـ لا أحب تخديش وجه الصاحب :

زعمت العرب أن الثعلب رأى حجرا أبيض بين نصبين ، فأراد أن يغتال به الاسد ، فأتاه ذات يوم فقال له : يا أبا الحارث ، الغنيمة الباردة ! شحمة رأيتها بين نصبين ، فكرهت أن أدنو منها ، وأحببت أن تتولى ذلك أنت ! فهلم لاريكها •

فانطلق به حتى جاء به اليها ، فقال : دونك يا أبا الحارث !

فذهب الاسد ليدخل ، فضاق به المكان ، فقال له الثعلب : ادفع

برأسك ! فأقبل الاسد يدفع برأسه حتى نشب ، فلم يقدر أن يتقدم ولا يتأخر .

ثم أقبل الثعلب يخدش خورانه ، فقال الاسد : ما تصنع يا ثعالة قال : اريد لاستنقذك ، قال : فمن قبل الرأس اذن ! فقال الثعلب :

لا أحب تخديش وجه الصاحب !

١١ ـ حكومة الضب :

زعموا أن أرنبا التقطت تمرة ، فاختلسها الثعلب فأكلها ، فانطلقا يختصمان الى الضب ، فقال الارنب : يا أبا الحثل ! قال : « سميعاً دعوت » . قالت : اتيناك لنحتكم اليك . قال . « عادلا حكمتما » . قالت : فاخرج الينا . قال : « في بيته يؤتى الحكم » . قالت : اني وجدت تمرة . قال : « حلوة فكليها » .

قالت : فاختلسها الثعلب . قال : « لنفسه يبغي الخير » . قالت : فلطمته . قال : « بحقك أخذت » . قالت : فلطمني .

قال : « حر انتصر لنفسه » . قالت : « فاقض بيننا » قال : قد قضيت .....

١٢ ـ اعلمك ثلاث خصال :

قالوا : ان رجلا صاد قبرة ، فقالت : ما تريد أن تصنع بي ؟ قال : أذبحك وآكلك ! قالت : والله ما أشفي من قرم ، ولا اشبع من جوع ، ولكن اعلمك ثلاث خصال ، هي خير لك من أكلي : أما الاولى فأعلمك اياها وأنا في يدك ، وأما الثانية فاذا صرت على الشجرة ، وأما الثالثة فاذا صرت على الجبل .

فقال : هاتي الاولى ! قالت : لا تلهفن على ما فات ، فخلاها ، فلما صارت على الشجرة ، قال : هاتي الثانية ، قالت : لا تصدقن بما لا يكون

انه يكــون ، ثم طــارت عــلى الجبــل ، فقالت : يا شــقى ، لو ذبحتنى لاخرجت من حوصلتى درتين وزن كل واحدة ثلاثون مثقالا !

فعض على يديه وتلهف تلهفا شديدا ، وقال : هاتى الثالثة ، فقالت : أنت قد نسيت الاثنين ، فما تصنع بالثالثة ؟ ألم أقل لك : لا تلهفن عــلى ما فات ، وقد تلهفت ، أو لم أقل لك : لا تصدقن بما لا يكون انه يكون ، وأنا ولحمى ودمى لا يكون عشرين مثقالا ، فكيف صدقت أن فى حوصلتى درتين كل واحدة منهما ثلاثون مثقالا ! ثم طارت وذهبت .

١٣ ـ مجير أم عامر :

خرج قوم الى الصيد فى يوم حار ، فانهم لكذلك ، اذا عرضت لهم ام عامر وهى الضبع ـ فطردوها ، فأتعبتهم حتى الجأوها الى خباء أعرابى ، فاقتحمته، فخرج اليهم الاعرابى وقال: ما شأنكم ؟ قالوا : صيدنا وطريدتنا فقال كلا ، والذى نفسى بيده لا تصلون اليها ما ثبت قائم سيفى فى يدى ، فرجعوا وتركوه ، وقام الى نعجة فحلبها ، وماء فقرب منها فأقبلت تلغ مرة فى هذا ومرة فى هذا حتى رويت واستراحت ، فبينا الاعرابى نائم فى جوف بيته ، اذ وثبت عليه فبقرت بطنه ، وشربت دمه وتركته !

فجاء ابن عم له يطلبه ، فاذا هو بقرت بطنه فى بيته ، فالتفت الى موضع الضبع فلم يرها ، فقال : صاحبتى والله فأخذ قوسه وكنانته واتبعها فلم يزل حتى أدركها فقتلها ، وأنشأ يقول :

ومن يصنع المعروف فى غير أهله ‏‏ يلاق الذى لاقى مجير أم عامر

١٤ ـ كيف أعاودك وهذا أثر فاسك :

حكى : ان أخوين كانا فى ابل لهما ، فأجدبت بلادهمــا ، وكــان بالقرب منهما واد خصيب ، وفيه حية تحميه من كل أحد . فقال أحدهما للآخر : يا فلان ، لو انى أتيت هذا الــوادى المكــلىء فرعيت فيــه ابلى

وأصلحتها ، فقال له أخوه : انى أخاف عليك الحية ، ألا ترى أن أحدا لا يهبط ذلك الوادى الا أهلكته ؟ قال : فو الله لافعلن ! فهبط الوادى ورعى به ابله زمانا .

ثم ان الحية نهشته فقتلته ، فقال اخوه : والله ما فى الحياة بعد أخى خير ، فلأطلبن الحية ولاقتلنها أو لاتبعن أخى ، فهبط ذلك الوادى وطلب الحية ليقتلها ، فقالت الحية : ألست ترى انى قتلت أخاك ؟ فهل لك فى الصلح فأدعك بهذا الوادى تكون فيه وأعطيك كل يوم دينارا ما بقيت ؟ قال : أوَ فاعلة أنت ؟ قالت : نعم . قال : انى أفعل ، وحلف لها وأعطاها المواثيق لا يضرها ، وجعلت تعطيه كل يوم دينارا ، فكثر ماله حتى صار من أحسن الناس حالا ، ثم انه ذكر أخاه ، فقال : كيف ينفعنى العيش وأنا أنظر الى قاتل أخى ؟ ثم عمد الى فأس فأخذها ، ثم قعد لها ، فمرت به فتبعها ، فضربها فأخطأها ، ودخلت الحجر ، ووقعت الفأس فوق جحرها فأثرت فيه ، فلما رأت ما فعل قطعت عنه الدينار ، فخاف الرجل شرها وندم ، فقال لها : هل لك أن نتواثق ونعود الى ما كنا عليه ؟ فقالت : « كيف اعاودك وهذا أثر فأسك ؟ » .

١٥ ـ حكيم ـ ؟

لما مات بعض الخلفاء ، اختلفت الروم ، واجتمعت ملوكها ، فقالوا : الآن انشغل المسلمون بعضهم ببعض ، فتمكننا الغرة منهم والوثبة عليهم ، وعقدوا لذلك المشورات ، وتراجعوا فيه بالمناظرات ، وأجمعوا على أنه فرصة الدهر .

وكان رجل منهم من ذوى العقل والمعرفة غائبا عنهم ، فقالوا : من الحزم عرض الرأى عليه ، فلما أخبروه بما أجمعوا عليه ، قال : لا أرى ذلك صوابا ، فسألوه عن علة ذلك ، فقال : فى غد اخبركم .

فلما أصبحوا أتوا اليه ، وقالوا : قد وعدتنا ان تخبرنا فى هذا اليوم بالرأى فيما عولنا عليه ، فقال : سمعا وطاعة ؟ وأمر باحضار كلبين عظيمين، كان قد أعدهما ، ثم حرش بينهما ، وحرض كل واحد منهما على الاخر ، فتواثبا وتهارشا حتى سالت دماؤهما •

فلما بلغا الغاية فتح باب بيت عنده ، وأرسل على الكلبين ذئبا كان قد أعده لذلك ، فلما أبصراه تركا ما كانا فيه ، وتآلفت قلوبهما ووثبا جميعا على الذئب فقتلاه •

١٦ ـ أترى الله يعطيك وينسانى ؟

خرج الرشيد الى الحج فلما كان بظاهر الكوفة اذ أبصر بهلولا المجنون على قصبة ، وخلفه الصبيان وهو يعدو ، فقال : من هذا ؟ فقيل له : بهلول المجنون ، فقال : كنت أشتهى أن أراه ، فأدعوه من غير ترويع ، فذهبوا اليه وقالوا : أجب أميرالمؤمنين ، فلم يجب ، فذهب اليه الرشيد ، وقال : السلام عليك يا بهلول ، فقال : عليك السلام يا أميرالمؤمنين ، فقال : دعوتك لاشتياقى اليك ، فقال بهلول : لكنى لم أشتق اليك ! فقال الرشيد : عظنى يا بهلول ، فقال : وبم اعظك ؟ هذى قصورهم وهذى قبورهم ! فقال الرشيد : زدنى فقد أحسنت ! فقال : يا أميرالمؤمنين من رزقه الله مالا وجمالا ، فعف فى جماله وواسى فى ماله كُتب فى ديوان الابرار ، فظن الرشيد انه يريد شيئا ، فقال : قد أمرنا لك أن تقضى دينك ، فقال لا ، يا أمير المؤمنين ، لا يقضى الدين بدين ، اردد الحق على أهله ، واقض دين نفسك من نفسك ، قال : فانا قد أمرنا ان يجرى عليك • فقال : يا أميرالمؤمنين ، أترى الله يعطيك وينسانى ! ثم ولى هاربا •

١٧ ـ ذهب الحمار بأم عمرو :

قال الجاحظ : دخلت يوما مدينة ، فوجدت فيها معلما فى هيئة حسنة ، فسلمت عليه ، فرد على أحسن رد ، ورحب بى ، فجلست عنده ،

وباحثته فى القرآن ، فأفاد هو ماهر فيه ، ثم ناقشته الفقه والنحو وأشعار العرب ، فاذا هو كامل الآداب ، فقلت ! سأختلف اليه وأزوره .

وجئت يوما لزيارته ، فاذا الباب مغلق ، ولم أجده ، فسألت عنه ، فقيل : مات له ميت ، فحزن عليه ، وجلس فى بيته للعزاء .

فذهبت الى بيته ، وطرقت الباب ، فخرجت اليّ جارية وقالت ! ما تريد ؟ قلت : سيدك . فدخلت وخرجت ، وقالت : باسم الله ، فدخلت اليه ، واذا به جالس . فقلت عظم الله أجرك ، لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة . كل نفس ذائقة الموت ، فعليك بالصبر .

ثم قلت له : هذا الذى توفى ولدك ؟ قال : لا . قلت : فوالدك ؟ قال : لا . قلت : فأخوك ؟ قال : لا قلت : فزوجك ؟ قال : لا . فقلت : فمن هو؟ قال : حبيبتى . فقلت فى نفسى : هذه أولى العجائب . فقلت : سبحان الله النساء كثير ، وستجد غيرها .

فقال : أتظن أنى رأيتها ؟ قلت : وهذه الثانية . ثم قلت : وكيف عشقت من لم ترَ ؟ فقال : اعلم انى كنت جالسا فى هذا المكان ، وأنا أنظر من الطاق ، اذ رأيت رجلا عليه برد ، وهو يقول :

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة ردى علىّ فؤادى أينما كانا

فقلت فى نفسى : لولا أن أم عمرو هذه ما فىالدنيا أحسن منها ما قيل فيها هذا الشعر ، فعشقتها .

فلما كان منذ يومين مر ذلك الرجل بعينه وهو يقول :

لقد ذهب الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت انها ماتت ، فحزنت عليها ، وأغلقت المكتب ، وجلست فى الدار ! فقلت : يا هذا انى كنت قد الفت كتابا فى نوادركم معشر المعلمين ، وكنت حين صاحبتك عزمت على تقطيعه ، والآن قد قويت عزمى على اتيانه ، وأول ما أبدأ بك ان شاء الله .

٨١ ـ حذاء أبي القاسم :

كان في بغداد رجل اسمه أبو القاسم الطنبوري وكان له مداس ، لبسه سبع سنين ، وكان كلما تقطع منه موضع جعل مكانه رقعة الى أن صار في غاية الثقل ، وصار الناس يضربون به المثل .

فاتفق أن دخل يوما سوق الزجاج فقال له أحد السماسرة : يا أبا القاسم ، قد قدم الينا اليوم تاجر من حلب ، ومعه حمل زجاج مذهب قد كسد فاشتره منه ، وأنا أبيعه لك بعدئذ فتكسب به المثل مثلين ، فمضى واشتراه بستين دينارا .

ثم انه دخل الى سوق العطارين ، فصادفه سمسار آخر وقال له : يا أبا القاسم قد قدم الينا اليوم من الصين تاجر ومعه ماء ورد ، ولعجلة سفره يمكن أن تشتريه منه رخيصا ، وأنا أبيعه لك فيما بعد بأقرب مدة ، فتكسب به المثل مثلين !

فمضى أبو القاسم ، فاشتراه أيضا بستين دينارا اخرى وملأ به الزجاج المذهب وحمله ، وجاء به فوضعه على رف من رفوف بيته .

ثم ان أبا القاسم دخل الحمام يغتسل ، فقال له بعض أصدقائه يا أبا القاسم أشتهي أن تغير مداسك هذا ، فانه في غاية الشناعة . وأنت ذو مال بحمد الله ! فقال له أبو القاسم ، الحق معك ، فالسمع والطاعة .

ثم انه خرج من الحمام ولبس ثيابه ، فرأى بجانب مداسه مداسا آخر جديدا . فظن ان الناصح في كرمه اشتراه له ، فلبسه ومضى الى بيته .

وكان المداس الجديد ذلك يعود للقاضي الذي جاء يستحم في ذلك اليوم الى الحمام . ووضع مداسه هناك ودخل يستحم .

فلما خرج فتش عن مداسه ، فلم يجده فقال : هل من لبس حذائي

لم يترك عوضه شيئا ؟ ففتشوا ، فلم يجدوا سوى حذاء ابى القاسم فعرفوه لانه كان مضرب الامثال •

فأرسل القاضى خدمه ، فكبسوا دار أبى القاسم فوجدوا مداس القاضى عنده ، فأحضره القاضى وضربه تأديبا له ، وحبسه مدة وغرمه بعض المال ثم أطلقه أخيرا •

فخرج أبو القاسم من السجن ، وأخذ حذاءه وهو غضبان عليه ومضى به الى دجلة • فألقاه فيها • فغطس فى الماء • فأتى بعض الصيادين ورمى شبكته فى النهر فطلع الحذاء فيها ، فلما رآه الصياد عرفه ، وظن انه وقع من رجله ، فحمله وأتى به بيت أبى القاسم فلم يجده مفتوحا ، فنظر فرأى نافذة مفتوحة الى صدر البيت فرماه منها الى داخل البيت • فسقط على الرف الذى عليه الزجاج فكسره وتبدد ماء الورد منه •

فلما جاء أبو القاسم الى الدار ورأى ما حل بالزجاج وماء الورد لطم وجه ، وصاح وبكى ، وقال : وافقراه ! أفقرنى المداس الملعون •

ثم انه قام ليحفر له فى الليل حفرة ويدفنه فيها ، ويرتاح منه فسمع الجيران حس الحفر ، فظنوا ان أحدا يثقب عليهم دارهم ، ورفعوا الامر الى الحاكم ، فأرسل عليه وأحضره وقال له : كيف تستحل أن تنقب على جيرانك حائطهم ؟ وحبسه ، ثم غرمه بعض المال وأطلقه •

ثم خرج من الحبس ومضى وهو حردان من مداسه وحمله الى كنيف الخان ورماه فيه ، فسد قصبة الكنيف ، ففاض وضجر الناس من الرائحة الكريهة • وبحثوا عن السبب ، فوجدوا مداسا فتأملوه فاذا هو مداس أبى القاسم ـ فحملوه الى الوالى ، وأخبروه بما وقع ، فأحضره الوالى ووبخه وحبسه وقال : عليك تصليح الكنيف فغرمه مبلغا من المال لاصلاح الكنيف وأخذ منه مثل ذلك المال تأديبا له وأطلق سراحه •

فخرج أبو القاسم والمداس معه ، وقال ـ وهـو مغتاظ منـه ـ والله ما عدت افارق هذا المداس •

ثم انه غسله وجعله على سطح بيته حتى يجف ، فرآه كلب فظنه رمة مخملة ، وعبر به الى سطح آخر ، فسقط من الكلب على رأس رجل فآلمه وجرحه جرحا بليغا ، فنظروا وفتشوا لمن المداس ، فعرفوا انه لابى القاسم ، فرفعوا الامر الى الحاكم ، فألزمه بالعوض والانفاق على المجروح مدة مرضه ، فنفد عند ذلك جميع ما كان عنده من المال ولم يبق عنده شيء•

ثم ان أبا القاسم أخذ المداس ومضى به الى الحاكم وقال له : اريد من مولانا القاضى أن يكتب بينى وبين هذا المداس مباراة شرعية على انه ليس منى ولست منه ، وان كلا منا برىء من صاحبه وانه مهما يفعله هذا المداس لا اؤاخذ أنا به ، وأخبره بجميع ما جرى منه عليه ، فضحك الحاكم وأكرمه ومضى •

عاشراً : الاباء والشمم

الاباء صفة عربية اصيلة تجدها واضحة عند العرب الذين لم يختلطوا بغيرهم بارزة فى حياتهم العامة وفى معاملاتهم مع الناس فى تصرفاتهم فى أقوالهم وبأفعالهم وهم يتغنون بالاباء دوما ويندون بالضيم متمثلين بقول الشاعر :

ولا يقيم على ضيم يراد به — الا الاذلان عير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته — وذا يشج فلا يبكى له أحد

وهذه بعض مواقف الاباء والشمم قارئى الكريم :

١ ـ أبى الذل :

قال عمرو بن هند صاحب الحيرة يوما لجلسائه هل تعلمون أحدا

من الناس تأنف امه أن تخدم امى ؟ قالوا : نعم كثيرون ومنهم عمرو بن كلثوم التغلبى ، فان امه ليلى بنت مهلهل ابن ربيعة وعمها كليب وائل وزوجها كلثوم ، فسكت عمرو بن هند على ما فى نفسه وبعث الى عمرو بن كلثوم يستزيره ويطلب اليه أن تزور امه ليلى امه هند ابنة الحارث •

فقدم عمرو بن كلثوم فى فرسان من بنى تغلب ومعه امه ليلى فنزل على شاطىء الفرات ، وبلغ عمرو بن هند قدومه ، فأمر فضربت خيام بين الحيرة والفرات ، وأرسل الى وجوه مملكته ، وصنع لهم طعاما ثم دعا الناس اليه ، فقرب اليهم الطعام على باب السرادق • وجلس هو وعمر بن كلثوم وخواص أصحابه فى السرادق ، وليلى أم عمرو ابن كلثوم مع هند فى القبة ، وقال ابن هند لامه ، اذا فرغ الناس من الطعام ، ولم يبق الا فضلات الطعام فنحى خدمك عنك واستخدمى ليلى • ومريها لتناولك بعض الاشياء تباعا • ففعلت هند ، بما أمرها ـ ابنها ، فقالت هند لليلى : ناولينى الطبق قالت ليلى : لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها ! فألحفت عليها فقالت ليلى : واذلاه يا آل تغلب ، فسمعها ولدها عمرو بن كلثوم وثار الدم فى وجهه ، فعرف ابن هند الشر فى عينيه ، وقام ابن كلثوم الى سيف ابن هند وهو معلق بالسرادق وليس هناك سيف غيره فأخذه وضرب به رأس عمرو بن هند فقتله وخرج ونادى يا آل تغلب ، فانتهبوا ماله وخيله وسبوا النساء وساروا حتى لحقوا بالحيرة وقال بذلك قصيدته المشهورة وهى احدى المعلقات :

وقد علم القبائل من معد   اذا قبب بأبطحها بنينا
بأنا المطعمون اذا قدرنا   وانا المهلكون اذا ابتلينا
وانا المانعون لما أردنا   وانا النازلون بحيث شئنا
وانا التاركون اذا سخطنا   وانا الآخذون اذا رضينا
ونشرب ان أردنا الماء صفوا   ويشرب غيرنا كدرا وطينا

اذا ما الملك سام الناس خسفا ... أبينا أن نقر الذل فينا
لنا الدنيا ومن أمسى عليها ... ونبطش حين نبطش قادرينا
ملأنا البر حتى ضاق عنا ... ونحن البحر نملؤه سفينا
اذا بلغ الفطام لنا صبى ... تخر له الجبابر ساجدينا
تهددنا وتوعدنا رويدا ... متى كنا لامك خادمينا

٢ - بمن استجير من جورك ؟

جلس معاوية بن أبى سفيان فى مجلس كان له بدمشق ، وكان ذلك الموضع مفتح الجوانب يدخل منه النسيم فبينما هو جالس ينظر الى بعض الجهات فى يوم شديد الحر ، وقد اشتد نفح الهجير ، اذا نظر الى رجل يمشى نحوه وهو يتلظى بالنار من حر التراب ، ويحجل فى مشيته حافيا ، فتأمله معاوية وقال لجلسائه ، هل خلق الله أشقى ممن يحتاج الى الحركة فى هذه الساعة ؟ فقال بعضهم : لعله يقصد أمير المؤمنين ، فقال : والله لئن كان قاصدى سائلا لاعطينه ، أو مستجيرا لاجيرنه ، أو مظلوما لانصرنه ... يا غلام قف بالباب فان طلبنى هذا الاعرابى فلا تمنعه عليّ .

فخرج الغلام فوافى الاعرابى وقال : ما تريد ؟ قال : أمير المؤمنين . قال ادخل وسلم على معاوية . فدخل وسلم . فقال معاوية له : ممن الرجل؟ قال : من تميم ، قال : ما الذى جاء بك فى مثل هذا الوقت ؟ قال : جئتك مشتكيا وبك مستجيرا . قال ممن ؟ قال : من مروان بن الحكم ، عاملك ، ثم أنشد هذه الابيات :

معاوى، ياذا الفضل والحلم والعقل ... وذا البر والاحسان والجود والبذل
أتيتك لما ضاق فى الارض مذهبى ... وأنكرت مما قد أصبت به عقلى
ففرج - كلاك الله - عنى فاننى ... لقيت الذى لم يلقه أحد قبلى
وخذلى -هداك الله- حقى من الذى ... رمانى بسهم كان أيسره قتلى

وكنت أرجى عدله ان أتيته فأكثر ترداى مع الحبس والكبل
سبانى سعدى وانبرى لخصومتى وجار ولم يعدل وغاصبنى أهلى
فطلقتها من جهد ما قد أصابنى فهذا ، أمير المؤمنين من العدل ؟

فلما سمع معاوية انشاده والنار تتوقد من فيه قال : مهلا يا أخا العرب ، اذكر قصتك وافصح عن أمرك .

قال : يا أمير المؤمنين ، كانت لى زوجة ، وهى ابنة عمى وكنت لها محبا وبها مولها ، وكنت بقربها قرير العين ، طيب العيش وكانت لى قطعة من الابل استعين بها على قيام حالى واصلاح أودى فأصابتنا سنة ذات قحط شديد أذهبت الخف والضلف وبقيت لا أملك شيئا ، فلما قل ما بيدى ، وذهب حالى ومالى ، بقيت مهانا ثقيلا على وجه الارض ، أبعدنى من كان يشتهى قربى ، وازورّ عنى من كان يرغب فى زيارتى .

فلما علم أبوها ما بى من سوء الحال وشر المآل أخذها منى وسألنى الفراق وجحدنى وأغلظ عليّ ، فأتيت عاملك مروان بن الحكم مستصرخا وبه راجيا ينصرنى ، فأحضر أباها وسأله عن حالى فقال : ما أعرفه قبل اليوم ، فقلت : أصلح الله الامير ! ان رأى ان يحضرها ويسألها عن قول أبيها فليفعل .

فبعث اليها مروان وأحضرها مجلسه فلما وقفت بين يديه وقعت منه موقع القبول والاعجاب ، فصار لى خصما وعليّ منكرا وانتهرنى وأظهر لى الغضب وبعث بى الى السجن ، فبقيت كأنما خررت من السماء أو هوت بى الريح فى مكان سحيق .

ثم قال لابيها : هل لك أن تزوجها منى على الف دينار وعشرة آلاف درهم لك ؟ وأنا ضامن لك خلاصها من هذا الاعرابى . فرغب أبوها فى البذل وأجابه لذلك .

فلما كان من الغد بعث الي وأخرجني من السجن ، وأوقفني بين يديه ونظر الي كالاسد الغضبان ، وقال : يا أعرابي طلق سعدى ، فقلت: لا أقدر على هذا ، فسلط علي جماعة من غلمانه ، فأخذوا يعذبونني بأنواع العذاب ، فلم أجد بدا من ذلك ففعلت ، ثم عادوا بي الى السجن ، فمكثت فيه الى أن انقضت عدتها ، فتزوجها ودخل بها . وقد أتيتك ملتجئا ثم أنشد يقول :

في القلب مني نار والنار منها استعار
والجسم مني سقيم واللون فيه اصفرار
وفي فؤادي جمر والجمر فيه شرار
والعين تبكي بشجو فدمعها مدرار
والحب داء عسير فيه الطبيب يحار
حملت منه عظيما فما عليه اصطبار
فليس ليلي ليل ولا نهاري نهار

ثم اضطرب وخر مغشيا عليه وأخذ يتلوى كالحية المقتولة فلما سمع كلامه وانشاده قال : تعدى فظلم مروان بن الحكم في حدود الدين، واجترأ على حرم المسلمين ثم قال : والله يا أعرابي ، لقد أتيتني بحديث لم أسمع بمثله قط ثم دعى بدواة وقرطاس ، وكتب الى مروان بن الحكم : قد بلغني انك اعتديت على رعيتك وانتهكت حرمة من حرم المسلمين ، وتعديت حدود الدين وينبغي لمن كان واليا أن يغض بصره عن شهواته ، ويزجر نفسه عن لذاته ، وكتب في آخره الابيات التالية :

ركبت أمرا عظيما لست أعرفه استغفر الله من جور امرىء زان
قد كنت تشبه صوفيا له كتب من الفرائض أو آيات فرقان
حتى أتاني الفتى العذري منتحبا يشكو الي بحق غير بهتان

أعطي الاله عهودا لا أخيس بها | أو لا فبرئت من دين وايمان
ان أنت راجعتني فيما كتبت به | لاجعلنك لحما بين عقبان
طلق سعاد ، وعجلها مجهزة | مع الكميت ومع نصر بن ذبيان
فما سمعت كما بلغت من عجب | ولا فعالك حقا فعل انسان

ثم طوى الكتاب وختمه واستدعى الكميت ونصر بن ذبيان وكان يستنهضهما فى قضاء الحوائج لامانتهما فأخذاه وسارا حتى قدما المدينة ، ودخلا على مروان وسلما اليه الكتاب ، ففضه وقرأه ، ثم ارتعدت فرائصه ، فطلقها فى الحال وبعث بها الى أمير المؤمنين ، وكتب الى معاوية كتابا جاء فيه : ـ

فلما قرأ الكتاب معاوية قال : لقد أحسن فى الطاعة وأطنب فى المديح :

ولما رأى معاوية الجارية رأى صورة لم ير مثلها فى الحسن والقد والجمال وخاطبها فوجدها أفصح النساء بعذوبة منطق ، ثم قال : عليَّ بالاعرابى فأوتى به اليه وهو على غاية من سوء الحال ، فقال له : يا أعرابى ، هل لك عنها من سلوى ؟ وأعوضك ثلاث جوار أبكار مع كل جارية الف دينار وأعطيك فى كل سنة ما يكفيك ويعينك على صحبتهن .

فلما سمع الاعرابى كلام معاوية شهق شهقة ظن معاوية انه قد مات ، ولما أفاق قال له : ما بالك ؟ فقال : شر بال وأسوأ حال استجرت بعدلك من جور ابن الحكم ، فبمن استجير من جورك ثم أنشد فقال :

لا تجعلني والامثال تضرب بى | كالمستجير من الرمضاء بالنار
اردد سعادا على حيران مكتئب | يمسى ويصبح فى هم وتذكار
قد شفه قلق ما مثله قلق | وأسعر القلب منى أى اسعار
كيف السلو وقد هام الفؤاد بها | وأصبح القلب عنها غير صبار

ثم قال : يا أمير المؤمنين ، لو أعطيتنى ما حوته الخلافة ما قبلته دون سعدى •

فقال معاوية : يا أعرابى ، انك مقر انك طلقتها ، ومروان مقر انه طلقها ونحن نخيرها فان اختارت سواك زوجناه بها وان اختارتك رجعنا بها اليك ، قال : افعل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم •

ودعاها معاوية وقال لها : ما تقولين يا سعدى ؟ أى أحب اليك ؟ أمير المؤمنين فى عزه وشرفه وسلطانه وقصوره وما تصيرين عنده ، أو مروان بن الحكم فى عسفه وجوره ، أو هذا الاعرابى مع جوعه وفقره وسوء حاله ؟ فأنشدت هذين البيتين :

هـذا وان كان فى فقر واضـرار ... أعز عندى من قومى ومن جارى
وصاحب التـاج أو مراون عامله ... وكل ذى درهم عندى ودينـار

ثم قالت : والله يا أمير المؤمنين ، ما أنا بخاذلتـه لحوادث الزمـان ، ولا لعثرات الايام ، وان لى معه لصحبة قديمة لا تنسى ، ومحبة لا تبلى ، وأنا أحق من صبر معه على الضراء كما تنعمت معه فى السراء •

فتعجب معاوية من عقلها ومرؤتها ، وأمر لها بعشرة آلاف درهـم وللاعرابى بمثلها وردها اليه بعقد جديد ، فأخذها الاعرابى • وانصرف يقـول :

خلوا عن الطريق للاعرابى ... ألم ترقوا ويحكم ممـا بى

٣ ــ تنصرت الاشواف من عار لطمة :

روى أن جبلة بن الايهم بن أبى شمر الغسانى لما أراد أن يسلم ، كتب الى عمر بن الخطاب من الشام يعلمه بذلك ، ويستأذنه فى القـدوم عليه ، فسر بذلك عمر والمسلمون ، فكتب اليه : أن أقدم ولك ما لنا ، وعليك ما علينا •

فخرج جبلة فى خمسمائة فارس من عك وجفنة ، فلما دنا من المدينة البسهم ثياب الوش المنسوج بالذهب والفضة ، ولبس يومئذ جبلة تاجه وفيه قرطا مارية ، وهى جدته ودخل الدينة ، فلم يبق بها بكر ولا عانس الاخرجت تنظر اليه والى زيه ، فلما انتهى الى عمر رحب به ولطفه وأدنى مجلسه ! ثم أراد الحج ، فخرج معه جبلة .

فبينما هو يطوف بالبيت اذ وطأ ازاره رجل من بنى فزارة ، فالتفت اليه جبلة مغضبا ورفع يده فهشم أنفه ، فاشتكى عليه الفزارى عند عمر ابن الخطاب ، فبعث اليه ، فقال : ما دعاك يا جبلة الى أن لطمت أخاك هذا الفزارى ، فهشمت أنفه ، فقال : انه وطأ أزارى فحله ، فلولا حرمة البيت لضربت الذى فى عينيه . فقال له عمر : أما أنت فقد أقررت ، فأما أن ترضيه ، والا اقدته منك ، قال : اتقده منى وأنا ملك وهو سوقة !!

قال عمر يا جبلة ، انه قد جمعك واياه الاسلام ، فما تفضله بشىء الا بالتقى والعافية ! قال جبلة: والله لقد رجوت أن أكون فى الاسلام أعز منى فى الجاهلية .

قال عمر : دع عنك هذا فانك ان لم ترضِ الرجل اقدته منك ! قال جبلة : اذن أتنصر ! قال : ان تنصرت ضربت عنقك ! واجتمع قوم جبلة وبنو فزارة فكادت تكون فتنة ، فقال جبلة : أخرنى الى غد يا أمير المؤمنين .

ولما جنح الليل خرج جبلة وأصحابه من مكة ، وسار حتى دخل القسطنطينية على هرقل فتنصر ، وأقام عنده وأعظم هرقل قدوم جبلة ، وسر بذلك واقطعه الاموال والارضين وجعله من محدثيه وسماره .

فلما بعث عمر بن الخطاب رسولا الى هرقل يدعوه الى الاسلام ، وأجابه الى المصالحة على غير الاسلام ، أراد أن يكتب جواب عمر ، وقال

للرسول : اتبعت ابن عمك هذا الذى ببلدنا ـ يعنى جبلة ـ الذى أتانا راغبا فى ديننا ؟ قال ما اتبعته ، قال : القه ثم ائتنى أعطك جواب كتابك •

وذهب الرسول الى باب جبلة ، فاذا عليه من القهارمة والحجاب والبهجة وكثرة الجمع مثل ما على باب هرقل • قال الرسول : فلم أزل أتلطف الاذن حتى أذن لى ، فدخلت عليه ، فرأيت رجلا أصهب اللحية ذا سباك ، وكان عهدى به أسمر أسود اللحية والرأس ، فنظرت اليه فأنكرته ، فاذا هو قد أتى بسحالة الذهب ، فذرها فى لحيته حتى عاد أصهب ، وهو قاعد على سرير من قوارير قوائمه أربعة أسود من ذهب •

فلما عرفنى رفعنى معه فى السرير ، ورحب بى والطفنى ، ولامنى على تركى النزول عنده ، ثم جعل يسألنى عن المسلمين ، فذكرت خيرا ، وقلت : قد اضعفوا اضعافا على ما تعرف ، فقال : كيف تركت عمر بن الخطاب ؟ قلت : بخير ، فرأيت الغم قد تبين فيه لما ذكرت له من سلامة عمر • قال : ثم انحدرت عن السرير ، فقال لمَ تأبى الكرامة التى أكرمناك بها ؟ قلت : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا ، قال : نعم صلى الله عليه وسلم ، ولكن نق قلبك من الدنس ولا تبال علام قعدت • فلما سمعته يقول : صلى الله عليه وسلم طمعت فيه ، فقلت له : ويحك ! يا جبلة ألا تسلم وقد عرفت الاسلام وفضله ! قال : أبعدما كان منى ؟ قلت : نعم ، قد فعل رجل من فزارة أكثر مما فعلت : ارتد عن الاسلام ، وضرب وجوه المسلمين بالسيف ، ثم رجع الى الاسلام ، وقُبل ذلك منه ، وخلفته بالمدينة مسلما • قال : ذرنى من هذا ، ان كنت تضمن لى أن يزوجنى عمر ابنته ، ويولينى الامر بعده رجعت الى الاسلام ، قال : ضمنت لك التزويج ولم أضمن لك الامر •

قال : فأومأ الى خادم بين يديه ، فذهب مسرعا ، فاذا خدم قد جاءوا

يحملون الصناديق فيها الطعام ، فوضعت ونصبت موائد الذهب وصحاف الفضة ، وقال لى : كل ، فقبضت يدى وقلت : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الاكل فى آنية الذهب والفضة ، فقال : نعم ، صلى الله عليه وسلم ، ولكن نق قلبك وكل فيما أحببت . قال : فأكل فى الذهب والفضة وأكلت فى غيرها .

فلما رفع الطعام جىء بكأس الفضة وأباريق الذهب ، وأومأ الى خادم بين يديه ، فمر مسرعا ، فسمعت حسا ، فالتفت ، فاذا خدم معهن الكراسى مرصعة بالجواهر ، فوضعت عشرة عن يمينه ، وعشرة عن يساره ثم سمعت حسا ، فاذا عشر جوار قد أقبلن مطمومات الشعر ، متكسرات فى الحلى ، عليهن ثياب الديباج ، فلم أر وجوها قط أحسن منهن ، فأقعدهن على الكراسى عن يمينه ، ثم سمعت حسا ، فاذا عشر جوار اخرى فأجلسهن على الكراسى عن يساره ، ثم سمعت حسا فاذا جارية كأنها الشمس حسنا وعلى رأسها تاج ، وعلى ذلك التاج طائر لم أر أحسن منه ، وفى يدها اليمنى زجاجة فيها مسك وعنبر ، وفى يدها اليسرى زجاجة فيها ماء ورد فأومأت الى الطائر ، فوقع فى زجاجة ماء الورد فاضطرب فيه ، ثم أومأت اليه فطار حتى نزل على صليب فى تاج جبلة ، فلم يزل يرفرف حتى نفض ما فى ريشه عليه ، وضحك جبلة من شدة السرور ، حتى بدت أنيابه ، ثم التفت الى الجوارى اللواتى عن يمينه ، فقال بالله أطربننا ، فاندفعن يتغنين يخفقن بعيدانهن ويقلن :

لله در عصابة نادمتهم　　　يوما بجلَّق فى الزمان الاول .

فضحك حتى بدت نواجده ، ثم قال : أتدرى من قال هذا ؟ قلت : لا ، قال : قائله حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم التفت الى الجوارى اللاتى عن يساره ، فقال ، بالله ابكيننا ، فاندفعن يتغنين ، وهن يخفقن بعيدانهن .

فبكى حتى جعلت الدموع تسيل على خديه ، ثم قال : أتدرى من قائل هذا الذى يغنينه ؟ قلت لا أدرى ، قال : حسان بن ثابت ، ثم أنشأ يقــول :

تنصرت الاشــراف من عـار لطمة   وماكان فيها ـلوصبرتُ لهاـ ضرر
تكنفنى فيهـــا لجـــاج ونخـــوة   وبعت لهـا العين الصحيحة بالعور
فيـا ليت امى لـم تلدنى وليتنـى   رجعت الى الامر الذى قال لى عمر
ويا ليتنى أرعى المخاضَ بقفـرة   وكنت أسيرا فى ربيعة أو مضـــر
ويا ليت لى بالشام أدنى معيشـــة   اجالس قومى ذاهب السمع والبصر

ثم سألنى عن حسان : أحى هو ؟ قلت : نعم ، تركته حيا ، فأمر لى بكسوة ومال ، وبنوق موقرة ، ثم قال لى : ان وجدته حيا فادفع اليه الهدية واقرأه سلامى ، وان وجدته ميتا فادفعها الى أهله ، وانحر الجمال عـلى قبره .

قال : فلما قدمت على عمر أخبرته خبر جبلة ، وما دعوته اليه من الاسلام ، والشرط الذى شرطه ، وانى ضمنت له التزويج ، ولم أضمن له الامر ، فقال : هلا ضمنت له الامر ، فاذا أفاء الله به الى الاسلام قضى عليه بحكمه عز وجل ! ثم ذكرت له الهدية التى أهداها الى حسان بن ثابت ، فبعث اليه ، وقد كف بصره فأتى وقائد يقوده ، فلما دخل ، قال : يا أمير المؤمنين ، انى لاجد رياح آل جفنة عندك . قال : نعم ، هذا رجل أقبل من عند جبلة ، قال : هات يابن أخى انه كريم من كرام مدحتهم فى الجاهلية ، فحلف ألا يلقى أحدا يعرفنى الا أهدى اليّ معه شيئا ، فدفعت اليه الهدية ، المال والثياب ، وأخبرته بما كان أمر به فى الابل ان وجد ميتا ، فقال : وددت ان كنت ميتا فنحرت على قبرى ، وانصرف يقول :

ان ابن جفنـة من بقيـة معشـر   لم يغـذهـم آبـاؤهـم باللوم
لم ينسنى بالشـام اذ هو ربهـا   ملـكـا ولا مستنصـرا بالـروم

يعطى الجـزيل ولا يراه عنده　　الا كبعـض عطيـة المـذمـوم

فقال له رجل فى مجلس عمر : أتذكر ملوكا كفروا وأبادهم الله وأفناهم ؟ قال : ممن الرجل ؟ قال : مزى ، قال : والله لو لا سوابق قدمك رسول الله صلى الله عليه وسلم لطوقتك طوق الحمامة .

قال : ثم جهزنى عمر الى قيصر ، وأمرنى أن أضمن لجبلة ما اشترط به ، فلما قدمت القسطينية ، وجدت الناس منصرفين من جنازته .

الحادي عشر ـ الدهاء والسياسة

والسياسة هى الاخرى صفة عربية أصيلة برع بها دهاة العرب فى جاهليتهم وبعد اسلامهم وهاك شيئا عنها .

١ ـ الحجاج والغضبان بن القبعثرى :

سأل الحجاج يوما الغضبان بن القبعثرى عن مسائل يمتحنه فيهـا ، فقال له : من أكرم الناس ؟ قال : أفقههم فى الدين ، وأصدقهم لليمين ، وأبذلهم للمسلمين ، وأعزهم للمهانين ، وأطعمهم للمساكين .

قال : فمن ألأم الناس ؟ قال : المعطى على الهوان والمقتر عـلى الاخوان والكثير الالوان .

قال : فمن أشر الناس ؟ قال : أطولهم جفوة ، وأدومهـم حبـوة ، وأكثرهم خلوة ، وأشدهم قسوة .

قال : فمن أشجع الناس ؟ قال : أضربهم فى السيف وأقراهـم للضيف ، وأتركهم للحيف .

قال : فمن أجبن الناس ؟ قال : المتأخر عن الصفوف المنقبض عن الزحوف ، المرتعش عند الوقوف ، المحب لظلام السقوف ، الكاره لضرب السيوف .

قال : فمن أثقل الناس ؟ قال : المتفنن فى الملام ، الضنين بالسلام ، المهذار فى الكلام ، المتعنف على الطعام .

قال : فمن خير الناس ؟ قال : أكثرهم احسانا ، وأقومهم ميزانا ، وأدومهم غفرانا ، وأوسعهم ميدانا .

قال : لله أبوك ! فكيف يعرف الرجل الغريب ، أحسيب هو أم غير حسيب ؟ قال : أصلح الله الامير ، ان الرجل الحسيب يدلك أدبه وعقله وشمائله وعزة نفسه ، وكثرة احتماله ، وبشاشته ، وحسن مداراته على أصله ، فالعاقل البصير بالاحساب يعرف بشمائله ، والنذل الجاهل يعرف بجهله ، فمثله كمثل الدرة ، اذا وقعت عند من لا يعرفها ازدراها ، واذا نظر اليها العقلاء عرفوها وأكرموها ، فهي عندهم لمعرفتهم بها حسنة نفيسة .

فقال الحجاج : لله أبوك ! فما العاقل ؟ وما الجاهل ؟ قال : أصلح الله الامير العاقل الذى لا يتكلم هذرا ولا ينظر شزرا ، ولا يضمر غدرا ، ولا يطلب عذرا ، والجاهل هو المهذار فى كلامه ، المنان بطعامه ، الضنين بسلامه ، المتطاول على امامه ، الفاحش على غلامه .

قال : لله أبوك ، فما الحازم الكيّس ؟ قال : المقبل على شأنه ، التارك لما لا يعنيه .

قال فما العاجز ؟ قال : المعجب بآرائه ، الملتفت الى ورائه .

قال: هل عندك فى النساء علم ؟ قال : امهات الاولاد بمنزلة الاضلاع ان عدلتها انكسرت ، ولهن جوهر لا يصلح الا على المداراة ، فمن داراهن انتفع بهن ، وقرت عينه ، ومن شاورهن كدرت عيشه ، وتكدرت عليه حياته ، وتنغصت لذاته ، فأكرمهن أعفهن ، وأفخر أحسابهن العفة ، فاذا زلن عنها فهن أنتن من الجيفة .

فقال له الحجاج : يا غضبان ان ذهبت الى ابن الاشعث وافدا ، فماذا أنت قائل له ؟ قال : أصلح الله الامير ، أقول ما يرديه ويؤذيه ويضنيه ! فقال : انى أظنك لا تقول له ما قلت ، وكأنى بصوتك يجلجل فى قصرى

هذا ! قال : كلا ، أصلح الله الامير ، سأحدد له لساني ، وأجريه في ميداني •

فعند ذلك أمره بالمسير الى كرمان ، فلما توجه الى ابن الاشعث ، بعث الحجاج عينا عليه ـ وكان يفعل ذلك مع جميع رسله ـ

فلما قدم الغضبان على ابن الاشعث ، قال له : ان الحجاج قد همّ بخلعك وعزلك ، فخذ حذرك ، وتغذى به قبل أن يتعشى بك ! فأخذ حذره عند ذلك •

ثم أمر للغضبان بجائزة سنية ، وخلع فاخرة ، فأخذها وانصرف راجعا •

فأتى الى رملة كرمان في شدة الحر والقيظ ـ وهي رملة شديدة الرمضاء ـ فضرب قبته فيها ، وحط رحاله ، فبينما هو كذلك اذا بأعرابي من بني بكر ابن وائل ، قد أقبل على بعير ، قاصدا نحوه ، وقد اشتد الحر ، وحميت الغزالة وقت الظهيرة ، وقد ظمأ ظمأً شديدا ، فقال : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، فقال الغضبان : هذه سنة وردها فريضة ، قد فاز قائلها ، وخسر تاركها ، ما حاجتك يا أعرابي ؟ فقال : أصابتني الرمضاء ، وشدة الحر والظمأ فتيممت قبتك أرجو بركتها •

قال الغضبان : فهلا تيممت قبة أكبر من هذه وأعظم ؟

قال : أيتهن تعني ؟ قال : قبة الامير ابن الاشعث ! قال : تلك لا يوصل اليها ! قال : ان هذه أمنع منها ! فقال الاعرابي ما اسمك يا عبدالله ؟ قال : آخذ ، فقال : وما تعطي ؟ قال : أكره أن يكون لي اسمان !.

قال : بالله من أين أنتَ ؟ قال : من الارض • قال : فأين تريد ؟ قال : أمشي في مناكبها ، فقال الاعرابي ـ وهو يرفع رجلا ويضع اخرى من شدة الحر اتقرض الشعر ؟ قال : انما تقرض الفأر ؟ فقال : أتسجع، قال : انما تسجع الحمامة فقال : يا هذا ائذن لي أن أدخل قبتك ، قال :

خلفك أوسع لك ، فقال : قد أحرقني حر الشمس ! قال : مالي عليها من سلطان ، فقال : اني لا اريد طعامك . ولا شرابك ، قال : لا تتعرض لما لا تصل اليه ولو تلفت روحك .

فقال الاعرابي : سبحان الله ! قال : نعم من قبل أن تطلع أضراسك ، فقال : ما عندك غير هذا ؟ قال : بلى ، هراوة أضرب بها رأسك : فاستغاث الاعرابي ، يا جار بني كعب .

قال الغضبان : بئس الشيخ أنت ! فو الله ما ظلمت أحد فتستغيث .

فقال الاعرابي : ما رأيت رجلا أقسى منك . أتيتك مستغيثا فطردتني ، هلا أدخلتني قبتك وطارحتني القريض ؟. قال : مالي بمحادثتك من حاجة!

فقال الاعرابي : بالله ما اسمك ؟ ومن أنت ؟ فقال : أنا الغضبان بن القبعثري ، قال : اسمان منكران ، خلقا من غضب . قال قف متوكأ على باب قبتي برجلك هذه العوجاء فقال : قطعها الله ان لم تكن خيرا من رجلك هذه الشنعاء .

قال الغضبان : لو كنت حاكما لجرت في حكومتك ! لان رجلي في الظل قاعدة ورجلك في الرمضاء قائمة .

فقال الاعرابي : اني لاظن عنصرك فاسدا ، قال : ما أقدرني على اصلاحه ، فقال الاعرابي : لا أرضاك الله ولا حياك ، ثم ولى وهو يقول :

لا بارك الله في قوم تسودهم   اني أظنك ـ والرحمن ـ شيطانا
أتيت قبته أرجو ضيافته   فأظهر الشيخ ذو القرنين حرمانا

فلما قدم الغضبان على الحجاج ـ وقد بلغه الجاسوس ما جرى بينه وبين ابن الاشعث وبين الاعرابي ـ قال له الحجاج : يا غضبان كيف وجدت أرض كرمان ؟ قال : أصلح الامير ، أرض يابسة، الناس بها ضعاف، ان كثروا جاعوا وان قلوا ضاعوا .

فقال له الحجاج : ألست صاحب الكلمة التي بلغني أنك قلتها لابن

الاشعث ! تغـدّ بالحجاج قبل أن يتعشى بك ؟ فو الله لاحبسنك عن الوساد، ولانزلنك عن الجياد ، ولاشهرنك فى البلاد !

قال : الامان أيها الامير ، فو الله ما ضرت من قيلت فيه ، ولا نفعت من قيلت له !

ألم أقل لك : كأنى بصوتك يجلجل فى قصرى هذا ! اذهبوا به الى السجن .

فذهبوا به ، فقيد وسجن ، فمكث ما شاء الله .

ثم ان الحجاج ابتنى الخضراء بواسط ، فأعجب بها ، فقال لمن حوله : كيف ترون قبتى هذه وبناءها فقالوا : أيها الامير انها حصينة مباركة ، منيعة نضرة بهيجة ، قليل عيبها ، كثير خيرها ، قال : لِمَ لم تخبرونى بنصح ؟ قالوا : لا يصفها لك الا الغضبان .

فبعث الى الغضبان فأحضره ، وقال له : كيف ترى قبتى هذه وبناءها؟ قال : أصلح الله الامير ، بنيتها فى غير بلدك ، لا لك ، ولا لولدك ، لا تدوم لك ، ولا يسكنها وارثك ، ولا تبقى لك ، وما أنت لها بباق !

فقال الحجاج : قد صدق الغضبان ، ردوه الى السجن .

فلما حملوه قال : « سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين » . فقال : انزلوه ، فلما انزلوه قال : « ربى انزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين » . فقال اضربوا به الارض ، فلما ضربوا به الارض قال : « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى » .

فقال : جروه ، فأقبلوا يجرونه ، وهو يقول : « بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم » .

فقال الحجاج ويلكم ! اتركوه فقد غلبنى دهاء وخبثا . ثم عفا عنه وأنعم عليه ، وخلى سبيله .

٢ ـ حديث السقيفة :

قال أبو حيان علي بن محمد التوحيدي البغدادي : سمرنا ليلة عند القاضي أبي حامد أحمد بن بشر المروروذي ببغداد ، فتصرف في الحديث كل متصرف، وكان غزير الرواية ، لطيف الدراية، فجرى حديث السقيفة، فركب كل مركبا وقال قولا .

فقال : هل فيكم من يحفظ رسالة لابي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، الى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وجواب عليّ عنها ، ومبايعته اياه عقب تلك المناظرة ؟ فقال الجماعة : لا والله ، فقال : هي والله من بنات الحقائق ، ومخبآت الصنادق ، ومنذ حفظتها ما رويتها الا لابي محمد المهلبي في وزارته ، فكتبها عني بيده وقال : لا أعرف رسالة أعقل منها ولا أبين ، وانها لتدل على علم وحلم ، وفصاحة ونباحة وبعد غور ، وشدة غوص .

فقال له العباداني : أيها القاضي ، فلو أتممت المنة علينا بروايتها ؟ اسمعنا اياها فنحن أوعى لك من المهلبي ، وأوجب ذماما عليك فاندفع وقال:

حدثنا عيسى بن دأب ، قال : سمعت مولاي أبا عبيدة يقول : لما استقامت الخلافة لابي بكر رضي الله عنه بين المهاجرين والانصار ، بعد فتنة كان الشيطان بها ، فدفع الله شرها ، ويسر خيرها ، بلغ أبا بكر عن علي تلكؤ وشماس ، وتهمم ونفاس ، فكره أن يتمادى الحال فتبدو العورة، وتشتعل الجمرة ، وتتفرق ذات البين ، فدعاني بحضرته في خلوه ، وكان عنده عمر بن الخطاب ، رضي الله عنهما ، وحده ، فقال : يا أبا عبيدة ما أيمن ناحيتك ؟ وأبين الخير بين عينيك ! طالما أعز الله بك الاسلام ، وأصلح شأنه على يديك ، ولقد كنت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمكان المحوط ، والمحل المغبوط ، ولقد قال فيك في يوم مشهود : « لكل امة أمين وأمين هذه الامة أبو عبيدة » ولم تزل للدين ملتجأ ،

ولمؤمنين مرتجى ، ولأهلك ركنا ، ولأخوانك ردا١١ .

قد أردتك لامر خطره مخوف ، واصلاحه من أعظم المعروف ، ولئن لم يندمل جرحه بيسارك ورفقك ، وقع اليأس ، وأعضل البأس ، واحتيج بعد ذلك الى ما هو أمر فيه وأعلق ، وأعسر منه وأغلق ، والله أسأل تمامه بك ، ونظامه على يديك ، وتأت له أبو عبيدة وتلطف فيه ، وانصح لله عزوجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، ولهذه العصابة غير آل جهدا ولا قال حمدا ، والله كالئك وناصرك ، وهاديك ومبصرك ، ان شاء الله .

امضِ الى علي ، واخفض له جناحك ، واغضض عنده صوتك ، واعلم انه سلالة أبي طالب ، ومكانه ممن فقدناه بالامس - صلى الله عليه وسلم - معلوم ، وقل له : البحر مغرقه ، والبر مفرقه ، والجو أكلف ، والليل أغدق ، والسماء جلواء ، والارض صلعاء ، والصعود متعذر ، والهبوط متعسر ، والحق عطوف رؤوف ، والباطل عتوف عسوف ، والعجب قداحة الشر ، والضعف رائد البوار ، والتعريض شجار الفتنة ، والقيحة ثقوب العداوة ، وهذا الشيطان متكيء على شماله ، متحيل بيمينه ، نافخ حضينه لاهله ، ينتظر الشتات والفرقة ، ويدب بين الامة بالشحناء والعداوة ، عنادا لله عز وجل أولا ، ولآدم ثانيا ، ونبيه - صلى الله عليه وسلم - ودينه ثالثا ، يوسوس بالفجور ، ويدلي بالغرور ، ويمني أهل الشرور ، يوحي الى أوليائه ، زخرف القول غرورا بالباطل ، دأبا له منذ كان على عهد أبينا آدم ، دعاؤه له منذ أهانه الله تعالى في سالف الدهر ، لا منجى منه الا بعض الناجذ على الحق ، وغض الطرف عن الباطل ، ووطىء هامة عدو الله بالاشد فالاشد ، والاكد فالاكد ، واسلام النفس لله عز وجل في ابتغاء رضاه .

ولابد الآن من قول ينفع اذ قد أضر السكوت وخيف غبه ولقد

أرشدك من أفاء ضالتك ، وصافاك من أحيا مودته بعتابك ، وأراد لك الخير من آثر البقاء معك .

ما هذا الذى تسول لك نفسك ؟ ويدوى به قلبك ، ويلتوى عليه رأيك ، ويتحاوص دونه طرفك ، ويسرى فيه ضعنك ، ويتراد معه نفسك ، وتكثر معه صعداؤك ، ولا يفيضُ به لسانك ؟ أعجمة بعد افصاح ! أتلبيس بعد ايضاح ! أدين غير دين الله ! أخلق غير خلق القرآن ! أهدى غير هدى النبى صلى الله عليه وسلم ! أمثلى تمشى له الضراء ، وتدب له الخمر ! أم مثلك ينقبض عليه الفضاء ، ويكسف فى عينه القمر ؟ ما هذه القعقعة بالشنآن ! وما هذه الوعوعة باللسان .

انك والله جدُ عارف باستجابتنا لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، وبخروجنا عن أوطاننا وأموالنا وأحبتنا ، هجرة الى الله عز وجل ، ونصرة لدينه فى زمان أنت فيه فى كن الصبا ، وقدر الغرارة وعنفوان الشبيبة ، غافل عما يشيب ويريب ، لا تعى ما يراد ويشاد ، ولا تحصّل ما يساق ويقاد ، سوى ما أنت جار عليه الى غايتك التى اليها عدل بك ، وعندها حط رحلك ، غير مجهول القدر ، ولا مجحود الفضل ، ونحن فى أثناء ذلك نعانى أحوالا تزيل الرواسى ، ونقاسى أهوالا تشيب النواصى خائضين غمارها ، راكبين بثارها ، نتجرع صابها ،ونحكم أساسها ، ونبرم أمراسها ، والعيون تحدج بالحسد ، والانوف تعطس بالكبر ، والصدور تستعر بالغيظ ، والاعناق تتطاول بالفخر ، والشفار تشحذ بالمكر ، والارض تميد بالخوف ، لا ننتظر عند المساء صباحا ، ولا عند الصباح مساءا ، ولا ندفع فى نحر امرىء الا بعد أن نحسو الموت دونه ، ولا نبلغ مرادا الا بعد الاياس من الحياة عنده ، فادين فى جميع ذلك رسو الله صلى الله عليه وسلم بالاب والام ، والخال والعم ، والمال والنشب ، والسيد واللبد ، والهله والبله ، بطيب أنفس وقرة أعين ، ورحب صدر ، وثبات عزائم ،

وصحة عقول ، وطلاقة أوجه ، وذلاقة ألسن .

هذا مع خفيات أسرار ومكنونات أخبار، كنت عنها غافلا ، ولولا سنك لم تكن عن شيء فيها ناكلا ، كيف وفؤادك مشهوم ، وعودك معجوم ! والآن قد بلغ الله بك ، وانهض الخير لك ، وجعل مرادك بين يديك ، وعن علم أقول ما تسمع ، فارتقب زمانك ، وقلص أردانك ، ودع التعسعس والتحسس لمن لا يضلع لك اذا خطا ، ولا يتزحزح عنك اذا عطا ، فالامر غض ، والنفوس فيها مض ، وانك أديم هذه الامة ، فلا تحلم لجاجا ، وسيفها العضب ، فلا تنب اعوجاجا ، وماؤها العذب فلا تحل أجاجا .

والله قد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا الامر ، فقال لي « يا أبا بكر ، وهو لمن يرغب عنه لا لمن يجاحش عليه ، ولمن يتضاءل عنه لا لمن ينفج اليه ، هو لمن يقال هو لك لا لمن يقول هو لي » .

ولقد شاورني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصهر ، فذكر فتيانا من قريش ، فقلت : أين أنت من علي ! فقال صلى الله وسلم : اني أكره لفاطمة ميعة شبابه ، وحداثة سنه . فقلت له : متى كنفته يدك ، ورعته عينك ، حفت بهما البركة ، وأسبغت عليهما النعمة ، مع كلام كثير خاطبته به ، رغبة فيك ، وما كنت عرفت منك في ذلك لا حوجاء ولا لوجاء نقلت ما قلت ، وأنا أرى مكاني غيرك ، وأجد رائحة سواك ، وكنت اذ ذاك خيرا لك منك الآن لي .

ولئن كان عرض بك رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الامر ، فلم يكن معرضا عن غيرك ، وان كان قال فيك فما سكت عن سواك ، وأن تلجلج في نفسك شيء فهلم ، فالحكم مرضي ، والصواب مسموع ، والحق مطاع .

ولقد نقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جوار الله عز وجل ، وهو عن العصابة راض ، وعليها حدب ، يسره ما سرها ، ويسوءه ما ساءها ،

ويكيده ما كادها ، ويرضيه ما أرضاها ، ويسخطه ما أسخطها •

أما تعلم انه لم يدع أحدا من أصحابه وأقاربه ، الا ابانه بفضيلة ، وخصه بمزية ، وأفرده بحالة ، لو اتفقت الامة عليها لاجلها لكان عنده ايالتها وكفالتها •

أتظن انه صلى الله عليه وسلم ترك الامة سدى بددا ، عباهل مباهل ، مفتونة بالباطل ، معنونة عن الحق ، لا رائد ولا ذائد ، ولا ضابط ولا حائط ، ولا ساقي ولا واقي ، ولا هادى ولا حادى ! كلا ! والله ما اشتاق الى ربه ، ولا سأله المصير الى رضوانه وقربه ، الا بعد أن ضرب المدى ، وأوضح الهدى ، وأبان الصوى ، وأمّن المسالك والمطارح ، وسهل المبارك والمهابع ، والا بعد أن شذخ يافوخ الشرك بأذن الله ، وشرم وجه النفاق لوجه الله ، وجدع أنف الفتنة في ذات الله ، وتفل في عين الشيطان بعون الله ، وصدع بملء فيه ويده بأمر الله عز وجل •

وبعدُ فهؤلاء المهاجرون والانصار عندك ، ومعك في بقعة واحدة ، ودار جامعة ، ان استقالوني لك ، وأشاروا عندي بك ، فأنا واضع يدي في يدك ، وصائر الى رأيهم فيك •

وان تكن الاخرى فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، وكن العون على مصالحهم ، والفاتح لمغالقهم ، والمرشد لضالتهم ، والرادع لغوايتهم ، فقد أمر الله تعالى بالتعاون على البر والتقوى ، والتناصر على الحق ، ودعنا نقضي هذه الحياة الدنيا بصدور بريئة من الغل ، ونلقى الله تعالى بقلوب سليمة من الضغن •

وبعد فالناس ثمامة فأرفق بهم ، وأحنُ عليهم ، ولِنْ لهم ، ولا تشق نفسك بنا خاصة منهم ، واترك ناجم الحقد حصيدا ، وطائر الشر واقعا ، وباب الفتنة مغلقا ، فلا قال ولا قيل ، ولا لوم ولا تعنيف ، والله تعالى على ما نقول شهيد ، وبما نحن عليه بصير •

قال أبو عبيدة : فلما تأهبت للنهوض ، قال عمر رضى الله عنه : كن لدى الباب هنيهة ، فلى معك دور من القول ، فوقفت وما أدرى ما كان بعدى ، الا انه لحقنى بوجه يبدى تهللا ، وقال لى : قل لعلي : الرقاد محلمة، والهوى مقحمة ، وما منا الا له مقام معلوم ، وحق مشاع أو مقسوم ، ونبأ ظاهر أو مكتوم ، وأن أكيس الكيس من منح الشارد تألفا ، وقارب البعيد تلطفا ، ووزن كل شيء بميزانه ، ولم يخلط خبره بعيانه ، ولم يجعل فتره مكان شبره دينا كان أو دنيا ضلالا كان أو هدى .

ولا خير في علم مستعمل فى جهل ، ولا خير فى معرفة مشوبة بنكر . ولسنا كجلدة رفع البعير بين العجان والذنب . وكل ضال فناره ، وكل سيل فالى قراره . وما كان سكوت هذه العصابة الى هذه الغاية لِعِيّ ، ولا كلامها اليوم لفرق أو رفق . وقد جدع الله بمحمد صلى الله عليه وسلم أنف كل ذى كبر ، وقصم ظهر كل جبار ، وقطع لسان كل كذوب ، فماذا بعد الحق الا الضلال !

ما هذه الخنزوانة التى فى فراش رأسك ! ما هذا الشجا المعترض فى مدارج أنفاسك ! ما هذه القذاة التى أعشت ناظرك ! وما هذه الوحرة التى أكلت شراسيفك ! وما هذا الذى لبست بسببه جلد النمر ، واشتملت عليه بالشحناء والنكراء .

ولسنا فى كسروية كسرى ، ولا فى قيصرية قيصر ! تأمل لاخوان فارس وأبناء الاصفر ، قد جعلهم الله جزرا لسيوفنا ، ودريئة لرماحنا ، ومرمى لطعاننا ، وتبعا لسلطاننا ، بل نحن فى نور نبوة ، وضياء رسالة ، وثمرة حكمة ، وأثرة رحمة ، وعنوان نعمة ، وظل عصمة ، بين أمة مهدية بالحق والصدق ، مأمونة على الرتق والفتق ، لها من الله قلب أبي ، وساعد قوى ، ويد ناصرة ، وعين ناضرة .

أتظن ظنا يا علي أن أبابكر وثب على هذا الامر مفتانا على الامة ، خادعا

لها أو متسلطا عليها ! أتراه حل عقودها ، وأحال عقولها ! أتراه جعل نهارها ليلا ، ووزنها كيلا ، ويقظتها رقادا ، واصلاحها فسادا ! لا والله ! سلى عنها فولهت له ، وتطامن لها فلصقت به ، ومال عنها فمالت اليه ، واشمأز دونها فاشتملت عليه ، حبوة حباه الله بها ، وعاقبة بلغه الله اليها ، ونعمة سربله الله جمالها ، ويد أوجب الله عليه شكرها ، وآية نظر الله به اليها ، والله أعلم بخلقه ، وأرأف بعباده ، يختار ما كان لهم الخيرة .

وأنك بحيث لا يجهل موضعك من بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ، ولا يجحد حقك فيما أتاك الله ، ولكن لك من يزاحمك بمنكب أضخم من منكبك ، وقربى أمس من قرباك ، وسن أعلى من سنك ، وشيبة أروع من شيبتك ، وسيادة لها أصل فى الجاهلية وفرع فى الاسلام ، ومواقف ليس لك فيها جمل ولا ناقة ، ولا تذكر فيها مقدمة ولا ساقة ، ولا تغرب فيها بذراع ولا اصبع ، ولا تخرج منها ببازل ولا هُبَع ، ولم يزل أبو بكر حبة قلب رسو الله صلى الله عليه وسلم وعلاقة نفسه ، وعيبة سره ، ومفزع رأيه ومشورته ، وراحة كفه ، ومرمق طرفه ، وذلك كله بمحضر الصادر والوارد من المهاجرين والانصار : شهرته مغنية عن الدليل عليه .

ولعمرى أنك أقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة ، ولكنه أقرب منك قربة ، والقرابة لحم ودم ، والقربة نفس وروح .

وهذا فرق عرفه المؤمنون ، ولذلك صاروا اليه كلهم . ومهما شككت فى ذلك ، فلا تشك فى أن يد الله مع الجماعة ، ورضوانه لاهل الطاعة ، فادخل فيما هو خير لك اليوم ، وانفع لك غدا ، والفظ من فيك ما يعلق بلهاتك ، فان يك فى الامد طول ، وفى الاجل قسمة ، فستأكله مريئا أو غير مرىء ، وستشربه هنيئا أو غير هنىء ، حين لا راد لقولك الا من كان آيسا منك ، ولا تابع لك الا من كان طامعا فيك ، يمض اهابك ، ويعرك أديمك ، ويزرى على هديك ، هنالك تقرع السنَّ من ندم ، وتجرع

الماء ممزوجا بدم . وحينئذ تأس على ما مضى من عمرك ودارج قوتك ، فلله تعالى فينا وفيك أمر هو بالغه ، وغيب هو شاهده ، وعاقبة هو المرجو لسرائها وضرائها ، وهو الولى الحميد ، الغفور الودود .

قال أبو عبيدة : فتمشيت متزملا ، أنوء كأنما أخطو على رأسى ، فرقا من الفرقة ، وشفقا على الامة ، حتى وصلت الى علي رضى الله عنه فى خلاء ، فبثثه بثى كله ، وبرئت اليه منه ، فلما سمعها ووعاها ، وسرت فى مفاصله حمياها قال : خلت معلوّطة ، وولت مخروطة ، وأنشأ يقول :

احـدى لياليك فهيسى هيسى لا تنعمى الليلـة بالتعريس

نعم يا أبا عبيدة ، أكل هذا فى أنفس القوم ، ويحسون به !

قال أبو عبيدة :

فقلت : لا جواب لك عندى ، انما أنا قاضٍ حق الدين ، وراتق فتق المسلمين ، وساد ثلمة الامة ، يعلم الله ذلك من مجلجلات قلبى ، وقرارة نفسى .

فقال علي رضى الله عنه : والله ما كان قعودى فى كسر هذا البيت قصدا للخلاف ، ولا انكارا للمعروف ، ولا زراية على مسلم ، بل لما قو وقذنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من فراقه ، وأودعنى من الحزن لفقده . وذلك أننى لم أشهد بعده مشهدا الا جدد عليّ حزنا ، وذكرنى شجنا ، وان الشوق الى اللحاق به كافٍ عن الطمع فى غيره ، وقد عكفت على عهد الله أنظر فيه ، وأجمع ما تفرق ، رجاء ثواب معد لمن أخلص لله عمله ، وأسلم لعلمه ومشيئته ، وأمره ونهيه ، على أنى ما علمت أن التظاهر على واقـع ، ولا عن الحق الذى سيق اليّ دافع .

واذ قد أفعم الوادى بى ، وحشد النادى من أجلى ، فلا مرحبا بما ساء واحدا من المسلمين وسرنى . وفى النفس كلام لولا سابق عقد وسالف عهد ، لشفيت غيظى بخنصرى وبنصرى ، وخضت لجته بأخمصى ومفرقى ،

ولكنى ملجم الى أن القى الله ربى ، وعنده أحتسب ما نزل بى • وانى غاد الى جماعتكم ، فمبايع صاحبكم ، صابر على ما ساءنى وسركم ، ليقضى الله أمرا كان مفعولا •

قال أبو عبيدة • فعدت الى أبى بكر رضى الله عنه ، فقصصت عليه القول كله ، ولم أختزل شيئا من حلوه ومره ، وبكرت غدوة الى المسجد ، فلما كان صباح يومئذ اذا عليّ يخترق الجماعة الى أبى بكر رضى الله عنهما، فبايعه ، وقال خيرا ، ووصف جميلا ، وجلس زميتا ، واستأذن للقيام ، فمضى وتبعه عمر مكرما له ، مستثيرا لما عنده •

وقام أبو بكر اليه فأخذ بيده وقال : ان عصابة أنت منها يا أبا الحسن لمعصومة ، وأن امة أنت فيها لمرحومة ، ولقد أصبحت عزيزا علينا ، كريما لدينا ، نخاف الله اذا سخطت ، ونرجوه اذا رضيت ، ولولا انى شدهت لما أجبت الى ما دعيت اليه ، ولكنى خفت الفرقة واستئثار الانصار بالامر على قريش ، وأعجلت عن حضورك ومشاورتك ، ولو كنت حاضرا لبايعتك ولم أعدل بك ، ولقد حط الله عن ظهرك ما أثقل كاهلى به ، وما أسعد من ينظر الله اليه بالكفاية وانا اليك لمحتاجون ، وبفضلك عالمون ، والى رأيك وهديك فى جميع الاحوال راغبون ، وعلى حمايتك وحفيضتك معولون ، ثم انصرف وتركه مع عمر ، فالتفت علي الى عمر فقال :

والله ما قعدت عن صاحبكم كارها ، ولا أتيته فرقا • ولا أقول ما أقول تعلة وانى لاعرف منتهى طرفى ، ومحط قدمى ، ومنزع قوسى ، وموقع سهمى ، ولكن قد ازمت على فأسى ، ثقة بربى فى الدنيا والآخرة •

فقال له عمر رضى الله عنه : كفكف غربك ، واستوقف سربك ، ودع العصى بلحائها ، والدلاء على رشائها ، فانا من خلفها وورائها ، ان قدحنا أورينا ، وان متحنا أردينا ، وان قرحنا أدمينا ، ولقد سمعت أماثيلك التى لغزت بها صادرة عن صدر اكل بالجوى ، ولو شئت لقلت على مقالتك

ما سمعته ندمت على ما قلتَ ، وزعمت انك قعدت فى كن بيتك لما وقذك به رسول الله صلى الله عليه وسلم من فقده ، فهو وقذك ولم يقذ غيرك ؟ بل مصابه أعظم وأعم من ذلك ، وان من حق مصابه ألا تصدع شمل الجماعة بفرقة لا عصام لها ، ولا يؤمن كيد الشيطان فى بقائها ، هذه العرب حولنا ، والله لو تداعت علينا فى صبح نهار لم تلتق فى مسائه .

وزعمت ان الشوق الى اللحاق به كاف عن الطمع فى غيره ! فمن علامة الشوق اليه نصرة دينه ، ومؤازرة أوليائه ، ومعاونتهم .

وزعمت انك عكفت على عهد الله تجمع ما تفرق منه ، فمن العكوف على عهد الله النصيحة لعباد الله ، والرأفة على خلق الله وبذل ما يصلحون به ويرشدون عليه .

وزعمت انك لم تعلم ان التظاهر واقع عليك ، فقد سمعت وعلمت ما قال الانصار بالامس سرا وجهرا ، وتقلبت عليه بطنا وظهرا ، فهل ذكرتك أو أشادت بك ، أو وجدتَ رضاهم عنك ؟ هل قال أحد منهم بلسانه : انك تصلح لهذا الامر أو أومأ بعينه ، أو هم فى نفسه ؟ أتظن أن الناس ضلوا من أجلك ، وعادو كفارا زهدا فيك ، وباعوا الله تحاملا عليك ؟ لا والله ! لقد جاءنى عقيل بن زياد الخزرجى فى نفر من أصحابه ، ومعهم شرحبيل بن يعقوب الخزرجى ، وقالوا : ان عليا ينتظر الامامة ويزعم انه أولى بها من غيره ، وينكر على من يعقد الخلافة ، فأنكرتُ عليهم ، ورددت القول فى نحرهم حيث قالوا : انه ينتظر الوحى ، ويتوكف مناجاة الملك فقلت ذاك أمر طواه الله بعد نبيه عليه السلام ، أكان الامر معقودا بانشوطة أو مشدودا بأطراف ليطة ؟ كلا ! والله لا عجماء بحمد الله الا أفصحت ، ولا شوكاء الا وقد تفتحت .

ومن أعجب شأنك قولك : « ولولا سالف عهد وسابق عقد ، لشفيت غيظى » ، وهل ترك الدين لاهله أن يشفوا غيظهم بيد أو بلسان ؟ تلك

جاهلية وقد استأصل الله شأفتها ، واقتلع جرثومتها ، وهور ليلها ، وغور سيلها ، وأبدل منها الروح والريحان ، والهدى والبرهان ، وزعمت أنك مُلجم ، ولعمري ان من اتقى الله ، وآثر رضاه وطلب ما عنده ، امسك لسانه ، وأطبق فاه ، وجعل سعيه لما وراه !

وأما قولك : انى لاعرف منزع قوسى ، فاذا عرفت منزع قوسك عرف غيرك مضربَ سيفه ومطعن رمحه ، وأما ما تزعمه من الامر الذى جعله رسول الله لك فتخلفت اعذارا الى الله والى العارفة به من المسلمين ، فلو عرفه المسلمون لجنحوا اليه وأصفقوا عليه ، وما كان الله ليجمعهم على العمى ، ولا ليضربهم بالضلال بعد الهدى ، ولو كان لرسول الله فيك رأى ، وعليك عزم ، ثم بعثه الله ، فرأى اجتماع امته على أبى بكر لما سفه اراءهم ، ولا ضلل أحلامهم ، ولا آثرك عليهم ، ولا أرضاك بسخطهم ، ولامرك باتباعهم والدخول معهم فيما ارتضوه لدينهم .

فقال علي رضى الله عنه : مهلا يا أباحفص ، والله ما بذلتُ وأنا أريد نكثه ، ولا أقررت ما أقررت ، وأنا ابتغى حولا عنه . وان أخسرَ الناس صفقة عند الله من آثر النفاق ، واحتضن الشقاق ، وفى الله خلف من كل فائت ، وعوض من كل ذاهب ، وسلوة عن كل حادث ، وعليه التوكل فى جميع الحوادث . ارجع يا أبا حفص الى مجلسك ناقع القلب ، مبرود الغليل ، فسيح اللبان ، فصيح اللسان ، فليس وراء ما سمعت وقلت الا ما يشد الازر ، ويحط الوزر ، ويضع الاصر ، ويجمع الالفة بمشيئة الله وحسن توفيقه .

قال أبو عبيدة : فانصرف علي وعمر رضى الله عنهما ، وهذا أصعب ما مر عليّ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الثاني عشر ـ العدل والمساواة أمام القانون

ومن صفات العرب النبيلة التى يستقيم بها الحكم ويستتب بها الامن العدل بين الناس دون تمييز ولا تفريق غنيهم كفقيرهم وصغيرهم ككبيرهم وضعيفهم كقويهم والكل أمام القانون سواء واليك قارئى الكريم بعض الامثلة على ذلك :

١ ـ متى تعبدتم الناس يا عمرو :ـ

قال أنس : بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قاعد فى ديوان حكمه اذ برجل من مصر جاء يشكو اعتداء ابن الوالى عليه وكان والى مصر فى ذلك الوقت داهية العرب عمرو بن العاص . فقال الرجل : يا أمير المؤمنين، هذا مقام العائذ بك ؟ قال نعم :فما شأنك ؟ قال : سابقت على فرسى حصانا لابن عمرو بن العاص فجعل يضربنى بالسوط ويقول : أنا ابن الاكرمين ، فعلم أبوه بذلك وخشى أن آتيك بالخبر ، فحبسنى فى السجن ، فانفلت منه وأتيتك .

فكتب سيدنا عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص يقول : اذا أتاك كتابى هذا فاشهد المرسم أنت وولدك فلان ، وقال للمصرى : أقم حتى يأتيك ، فقدم عمرو فشهد الحج . فلما قضى عمر الحج وهو قاعد مع الناس وعمرو بن العاص وابنه الى جانبه ، قام المصرى فرمى اليه عمر بالدرة .

قال أنس : ولقد ضربه ونحن نشتهى أن يضربه ، فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ما ضربه ، وعمر يقول : اضرب ابن الاكرمين ، ثم قال المصرى : قد استوفيت واستشفيت ، قال عمر : ضعها على صلعة عمرو ، فقال الرجل : يا أمير المؤمنين قد ضربت الذى ضربنى ومالى بعمرو حاجة . فقال عمر : أما والله لو فعلت لما منعك أحد حتى تكون

أنت الذى تنزع ، ثم قال : يا عمرو ! متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم أحرارا فأصبحت مثلا يضرب به للعدل فى الحكم والمساواة أما القانون وعن هذا أخذ الغرب مثله : Men Are borne Equal

٢ ـ أحب الولاة الى عمر بن الخطاب :ـ

قال الربيع بن زياد الحارثى : كنت عاملا لابى موسى الاشعرى على البحرين فى خلافة عمر بن الخطاب فكتب عمر رضى الله عنه يأمر أبا موسى بالقدوم عليه هو وعماله وأن يستخلفوا بدلهم جميعا من ينوب عنهم فى ادارة أموال المسلمين •

فلما قدمنا أتيت برفأ فقلت : يا برفأ مسترشد وابن سبيل أى الهيئات أحب الى أمير المؤمنين أن يرى فيها عماله ؟ فقال الخشونة ، فاتخذت خفين مطبقين ولبست جبة صوف ولففت عمامتى على رأسى •

فدخلنا على عمر فصفنا بين يديه • فصعّد فينا وصوب ، فلم تأخذ عينه أحدا غيرى ، فدعانى فقال : من أنت ؟ قلت : الربيع بن زياد الحارثى قال : ما تتولى ؟ قلت : البحرين • قال : كم ترزق ؟ قلت الفا • قال : كثير! فما تصنع به؟ قلت: أتقوت منه شيئا•وأعود به على أقاربى، فما فضل عنهم فعلى فقراء المسلمين ، قال : لا بأس : ارجع الى موضعك •

فرجعت الى موضعى من الصف ، فصعّد ، فينا وصوب ، فلم تقع عينه الا عليّ فدعانى ، وقال : كم سنك ؟ قلت : خمس وأربعون سنة : قال : الآن حتى استحكمت ! ثم دعا بالطعام وأصحابى حديث عهدهم بلين العيش وقد تجوعت له ، فأتى بخبز واكسار بعير فجعل أصحابى يعافون ذلك ، وجعلت آكل فأجيد ثم جعلت أنظر اليه يلحظنى من بينهم ، ثم سقطت منى كلمة تمنيت أنى سخت فى الارض ، اذ قلت : يا أمير المؤمنين ، ان الناس يحتاجون الى صلاحك ، فلو عمدت الى طعام الين من هذا ، فزجرنى •

ثم قال : كيف قلت ؟ فقلت : أقول يا أمير المؤمنين ، تنظر الى قوتك من الطحين فيخبز لك قبل ارادتك اياه بيوم ، ويطبخ لك اللحم كذلك ، فتؤتى بالخبز لينا واللحم طريا ، فسكن من غضبه وقال : أهنا ذهبت ؟ قلت : نعم • فقال : يا ربيع انا لو نشاء ملأنا هذه الرحاب من طبخ وخبز وخردل مربى ولكن رأيت الله عز وجل نعى على قوم شهواتهم فقال جل شأنه : « أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا » واننا نأكل ما يأكله القوم ولا نريد أن ننعم دونهم ، فالناس متساوون فى حقوقهم وواجباتهم •

٣ ـ عمر يتفقد رعيته :ـ

خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ذات ليلة يطوف المدينة ويتفقد أهلها ويطلع على أحوال المسلمين ، فرأى بيتا من الشعر مضروبا ، لم يكن رآه بالامس • فدنا منه ، فسمع فيه أنين امرأة ، ورأى رجلا قاعدا فدنا من الرجل ، وقال : من الرجل ؟ قال : رجل من البادية قدمت الى أمير المؤمنين لاصيب من فضله وعدله ، قال فما هذا الانين الذى أسمعه ؟ قال : امرأة تمخض ، قال فهل عندها أحد ؟ قال : لا •

فانطلق عمر فجاء منزله وقال لامرأته أم كلثوم بنت علي بن أبى طالب هل لك من أجر ساقه الله اليك ؟ قالت : وما هو ؟ قال : امرأة تمخض وليس عندها أحد ، قالت : ان شئت ، قال : فخذى معك ما يصلح للمرأة من الخرق والدهن ، وائتنى بقدر وشحم ودقيق ، فجاءته به فحمل القدر ومشت خلفه ، حتى أتى البيت ، فقال لها : ادخلى على المرأة •

ثم قال للرجل : أوقد لي نارا ، ففعل ، فوضع القدر عليها ، وجعل عمر ينفخ النار ويضرمها ، والدخان يخرج من خلال لحيته ، حتى انضجها ، وولدت المرأة ، فقالت أم كلثوم : يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام ، فلما سمعها تقول : يا أمير المؤمنين ، ارتاع وخجل ، وقال : يا خجلتاه منك يا أمير المؤمنين ! أهكذا تفعل بنفسك ؟ قا : يا أخا العرب • من ولي شيئا

من أمور المسلمين ينبغي له أن يطلع على صغير امورهم وكبيرها ، فانه عنها مسؤول ومتى غفل عنها خسر الدنيا والآخرة •

ثم قام عمر وأخذ القدر ، وحملها الى باب البيت ، وأخذتها أم كلثوم وأطعمت المرأة ، فلما استقرت وسكنت ، طلعت أم كلثوم ، فقال عمر ــ رضى الله عنه ــ للرجل : قم الى بيتك وكل ما بقى من البرمة • وفى غد ائتنـــا •

فلما أصبح جاء فجهزه بما أغناه وسد حاجته •

٤ ــ عمر بن الخطاب يخاطب نفسه :ــ

قال الاحنف بن قيس : قدمنا على عمر بن الخطاب بفتح عظيم تبشره به فقال : أين نزلتم ؟ قلنا : فى مكان كذا •

فقام معنا حتى انتهينا الى مناخ ركابنا ، وقد أضعفها الكلاك وأجهدها السير فقال : هلا اتقيتم الله فى ركابكم هذه ! أما علمتم ان لها عليكم حقا ؟ هلا أرحتموها ؟ هلا حللتم بها فأكلت من نبات الارض !

فقلنا : يا أمير المؤمنين ، انا قدمنا بفتح عظيم ، فأحببنا التسرع اليك والى المسلمين بما يسيرهم ، فانصرف راجعا ، ونحن معه •

فأتى رجل فقال : يا أمير المؤمنين ان فلانا ظلمنى فأعدنى عليه ، فرفع عمر فى السماء درته وضرب بها رأسه ، وقال : تدَعون عمر حتى اذا شغل فى أمر المسلمين أتيتموه وقلتم أعدنى أعدنى ، فانصرف الرجل يتذمر ، فقال عمر عليّ بالرجل ! فجيء به اليه فألقى اليه الخفقة وقال : اقتص لنفسك قال : بل أدعه لله ولك ، قال : ليس كذلك ، بل تدعه أما لله وارادة ما عنده ، وأما تدعه لى ، قال : ادعه لله ، قال : انصرف •

ثم جاء حتى دخل منزله ، ونحن معه • فصلى ركعتين خفيفتين ثم جلس فقال لنفسه : يابن الخطاب ، كنت بسيطا فرفعك الله وكنت ضـالا

فهداك الله ، وكنت ذليلا فأعزك الله ، ثم حملك على رقاب الناس فجاء رجل يستعديك على من ظلمه فضربته ، ماذا تقول لربك غدا ؟ فجعل يعاتب نفسه ويبكي حتى ابتلت لحيته .

٥ ـ عمال عمر بن عبدالعزيز :

كتب عمر بن عبدالعزيز الى ابن ارطأة وكان عاملا على البصرة : أما بعد فقد جاءني كتابك تذكر ان قبلك عمالا قد ظهرت خيانتهم وتسألني أن آذن لك في عذابهم ، كأنك ترى أني لك "جنة" من دون الله ، فاذا جاءك كتابي هذا فان قامت عليهم بينة فخذهم بذلك والا فحلفهم دُبر صلاة العصر بالله الذي لا إله الا هو ما اختانوا من مال المسلمين شيئا، فان حلفوا فخل سبيلهم ، فانما هو مال المسلمين وليس للشحيح منهم الا جهد ايمانهم ، ولعمري لان يلقوا الله بخيانتهم أحب الي من أن القى الله بدمائهم والسلام .

٦ ـ قاضي ينصح خليفة بالعدل :

قال عبدالرحيم بن القاضي اسماعيل بن اسحق : كان في حجر أبي يتيم ، فبلغ ، وله أم واختها في دار الخليفة المعتضد بالله ، فقالت أم اليتيم لاختها : كلمي أمير المؤمنين حتى يرفع اسماعيل القاضي الحجر عن ولدي، فكلمته فدعا المعتضد عبيد الله بن سليمان بن وهب وزيره ، وقال له : قل لاسماعيل القاضي يفك الحجر عن فلان . فقال القاضي : حتى أسأل عنه ، وقام فسأل عنه ، فلم يخبر عنه برشد فتركه .

ومضت على ذلك أيام ، فرجعت والدة الصبي الى اختها وسألتها أن تعاود أميرالمؤمنين، وكان المعتضد لا يعاود لخشونته، فعاودته فقال: ألست قد أمرت ؟ فقالت لم يرفع عنه بعد ! فدعا وزيره عبيدالله ثانيا ، وقال : أمرتك أن تأمر اسماعيل القاضي أن يرفع الحجر عن فلان . فقال : قد كنت قلت له ذلك، فقال : حتى أسأل عنه، فقال: قل له يرفع الحجرعنه، فدعاه الوزير ثانية وقال له : أمير المؤمنين يأمرك أن ترفع الحجر عن فلان .

فأطرق القاضى ساعة ، ثم استدعى دواة وورقة ، وكتب شيئا وختمه ، فاستعظم الوزير أن يختم عنه كتابا . ولم يقل له شيئا لمحل اسماعيل من الورع والعلم ، ثم دفع ذلك للوزير وقال له : توصل هذا الى أمير اؤمنين فانه جوابه .

فأخذه الوزير ودخل على المعتضد ، وقال : زعم ان هذا جواب أمير المؤمنين ، ففتح المعتضد الكتاب ، وقرأه والقاه وقال : لا تعاوده فى هذا، فأخذ عبيدالله الوزير الكتاب واذا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق . ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » .

٧ ـ بنو امية وعمر بن عبدالعزيز :

لما أقبل عمر بن عبدالعزيز على رد المظالم ، وقطع عن بنى امية جوائزهم وارزاق احراسهم، ورد ضياعهم الى الخراج، وأبطل قطائعهم فأفقرهم فاجتمعوا اليه وقالوا : انك قد أجلبت المال للمسلمين وأفقرت بنى أبيك فيما ترد من هذه المظالم ، وهذا أمر قد وليه غيرك قبلك ، فدعهم وما كان منهم ، واشتغل أنت وشأنك ، واعمل بما رأيت .

قال لهم : هذا رأيكم ؟ قالوا : نعم ، قال : ولكنى لا أرى ذلك والله لوددت ألا تبقى فى الارض مظلمة الا رددتها .

فخرجوا من عنده ، ودخلوا على عمر بن الوليد بن عبدالملك ـ وكان كبيرهم وشيخهم ـ فسألوه أن يكتب الى عمر يوبخه لعمله برده عن مساءتهم ، فكتب اليه يقول :

« أما بعد فانك ازريت على من كان من قبلك من الخلفاء ، وعتبت عليهم وسرت بغير سيرهم ، وسميتها المظالم ، وعيبا لاعمالهم ، وشنآنا لمن كان بعدهم من أولادهم ، ولم يكن ذلك لك ، فقطعت ما أمر الله به أن

يوصل ، وعملت بغير الحق فى قرابتك . وعمدت الى أمـــوال قريش ومواريثهم وحقوقهم ، فأدخلتها بيت مالك ظلما وعدوانا ، فاتق الله يابن عبدالعزيز وراقبه ، فانك ان شططت لم يطمئن الى منبرك ، وان خصصت ذوى قرابتك بالقطيعة والظلم ، فو الله الذى خص محمدا صلى الله عليه وسلم بما خصه به من الكرامة ، لقد ازددت من الله بعدا فى ولا يتك هذه التى تزعم انها بلاء عليك وهى كذلك . فاقصدنى بعض ميلك وتحاملك اليهم فاسأل سليمان بن عبدالملك بما صنع بامة محمد صلى الله عليه وسلم .

فكتب عمر بن عبدالعزيز اليه وقال :

« من عمر أمير المؤمنين الى عمر بن الوليد ، سلام على من أتبــع الهدى . أما بعد فان أول أمرك يا فلان ان امك بنانة كانت أمة تدخل دور حمص وتطوف فى جوانبها ، والله أعلم بها ، فاشتراها ذبيان بن ذبيان من فيىء المسلمين ، فأهداها الى أبيك فحملت بك فبئس الحامل وبئس المحمول ثم نشأت فكنت جبارا شقيا ، كتبت الي تظلمنى وزعمت ان حرمتك وأهل بيتك فى بيت مال المسلمين الذى فيه حق القرابة والضعيف والمسكين وابن السبيل ، وانما أنت كأحدهم لك ما لهم وعليك ما عليهم .

وان أظلم منى واترك لعهد الله ، من استعملك صبيا سفيها تحكم فى دماء المسلمين وأموالهم برأيك ، ولم يكن يحمله على ذلك الا حب الولد ، ولم يكن ذلك له ، ولا حق له فيه ، فويلك ثم ويل أبيك ما أكثر طلابكما وخصماءكما يوم القيامة وكيف النجاة لمن كثر خصماؤه ؟

وان أظلم منى واترك لعهد الله ، من جعل لفلانة البربرية سهما فى فيىء المسلمين وصدقاتهم ، أهاجرت ثكلتك امك ! أم بايعت بيعة الرضوان فاستوجبت سهام المقاتلين ؟

وان اظلم منى واترك لعهد الله من استعمل قرة بن شريك أعرابيـا

جلفا حافيا على مصر • واذن له فى المعازف والعدد والخمر •

وان أظلم منى واترك لعهد الله من ولى يزيد بن أبى مسلم على جميع المغرب يجبى المال الحرام ، ويسفك الدم الرام ، رويدك لو التقت عليك حلقتا الحزام ، وطالت بى الحياة • ورد الله الحق الى أهله ، وتفرغت لك ولاهل بيتك ، فأقمتكم على المحجة البيضاء ، فطالما تركتم الحق وراءكم ظهريا ، وأخذتم فى ثنيات الطريق ومن وراء هذا ما أرجو أن يكون خير رأى ريته ، ببيع رقبتك ، وتقسيم ثمنك بين اليتامى والمساكين والارامل • فان لكل مسلم فيك حقا فى كتاب الله والسلام على من اتبع الهدى• ولا ينال سلام الله الظالمين •

٨ ــ اقطعك أربعا :

فى خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان معاوية بن ابى سفيان واليا على الشام وأراد ذات يوم اصلاح فناء المسجد الاموى وكانت دار اليهودى مجاورة للمسجد ومشوهة لبعض معالمه فأراد معاوية ابتياعها منه لاصلاح المسجد فعرض على اليهودى عشرة من الابل فأبى اليهودى فجعلها عشرين وثلاثين حتى بلغ ثمنها مائة من الابل فلما رأى معاوية اصرار اليهودى وعناده المتأتى لا من قلة الثمن وانما من سوء طوية اليهودى أمر بقلع الدار سواء رضى اليهودى أم لم يرض وعندها قصد اليهودى عمر بن الخطاب فى المدينة وعرض عليه شكواه فلما تفهم الخليفة قضيته خط له خطين متصالبين على عظمة ــ لوحة الكتف ــ وأعطاها له فأخذها وقدمها الى معاوية عند وصوله الشام فقبل معاوية العظم وأعاد الدار الى صاحبها غير أن اليهودى الحف فى الطلب لمعرفة ما كتب عليها فأخبره معاوية : ان الخليفة يأمر باعطاءك الدار والا قطعنى أربعا فأسلم اليهودى وتبرع بالدار للمسجد •

الثالث عشر ـ العدل في الحكم والمساواة أمام القانون

والمساواة فى الحقوق والواجبات أو ما يصطلح عليه بالتعابير الجديدة الدمقراطية تكوين طبيعى للمجتمع العربى السليم ونحن نورد فيما يلى بعض الامثلة على ذلك :

١ ـ المنصور فى ساحة القضاء :

قال نمير المدنى : قدم علينا فى المدينة أمير المؤممنين المنصور ومحمد بن عمران الطلحى ليتولى القضاء فيها ، وأنا كاتبه ، فحضر جماعة من الجمالين واستعدوه على امير المؤمنين المنصور فى شىء ذكروه ، فأمرنى أن أكتب الى المنصور بالحضور معهم أو انصافهم ، فقلت له : أعفنى من ذلك فأنه يعرف خطى ، فقال : اكتب ، فكتبت وختمت ، فقال : والله ما يمضي به غيرك ، فمضيت به الى الربيع حاجبه ، وجعلت اعتذر اليه ، فقال : لا بأس عليك ، ودخل بالكتاب على المنصور .

ثم خرج الربيع ، فقال للناس ـ وقد حضر وجوه أهل المدينة والاشراف وغيرهم : ان امير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم : انى دعيت الى مجلس الحكم فلا أحد منكم يقوم اذا خرجت ، ولا تبدءونى بالسلام .

ثم خرج وبين يديه المسيب والربيع وأنا خلفه ، وهو فى أزار ورداء ، فسلم على الناس ، فما قام له أحد ، ثم مضى حتى بدأ بقبر النبى صلى الله عليه وسلم ، فسلم عليه ، ثم التفت ، فلما رآه ابن عمران القاضى أطلق رداءه عن عاتقه ، ودعا بالخصوم الجمالين ، ثم دعا بالمنصور ، فأدعى عليه القوم ، وقضى لهم عليه ثم انصرف .

فلما دخل المنصور الدار قال للربيع : اذهب فاذا قام القاضى من مجلسه فادعه ، فلما دعاه ، ودخل على المنصور سلم عليه ، فرد عليه السلام .

وقال له : جزاك الله عن دينك وعن نبيك وعن حسبك ، وعن خليفتك أحسن الجزاء ، قد أمرت لك بعشرة آلاف ، صلةً لك فأقبضها .

فكانت عامة أموال محمد بن عمران من تلك الصلة .

٢ ـ لا أفلح قاض لا يقيم الحق :

كان عبيد بن طيبان قاضى الرشيد بالرقة ـ وكان الرشيد اذ ذاك بها ـ فجاء رجل الى القاضى ، فاستعداه على عيسى بن جعفر ، فكتب اليه القاضى ابن طيبان : « أما بعد ـ أبقى الله الامير وحفظه وتم نعمته ، أتانى رجل فذكر انه فلان ابن فلان ، وأن له على الامير ـ أبقاه الله تعالى ـ خمسمائة الف درهم ، فان رأى الامير ان يحضر مجلس الحكم ، أو يوكل وكيلا يناجز خصمه ، أو يرضيه فعل » .

ودفع الكتاب الى رجل ، فأتى باب ابن جعفر ، فدفع الكتاب الى خادمه فأوصله اليه ، فقال له : كل هذا الكتاب !

فرجع الرجل الى القاضى ، فأخبره ، فكتب اليه : « أبقاك الله وامتع بك ، حضر رجل يقال له فلان ابن فلان ، وذكر ان له عليك حقا ، فسر معه الى مجلس الحكم أو وكيلك ان شاء الله تعالى » .

ووجه الكتاب مع واحد من أعوانه ، فحضر باب عيسى بن جعفر ودفع الكتاب اليه فغضب ، ورمى به ، فانطلق ، فأخبره فكتب اليه : « حفظك الله وامتع بك ، لابد أن تصير أنت أو وكيلك الى مجلس الحكم ، فان أبيتَ أنهيتُ أمرك الى امير المؤمنين ـ ان شاء الله » .

ثم وجه الكتاب مع رجلين من اصحابه ، فقعدا على باب عيسى بن جعفر حتى طلع ، فقاما اليه ، ودفعا اليه كتاب القاضى ، فلم يقرأه ، ورمى به ، فأبلغاه ذلك ، فختم قمطره ، وأغلق بابه ، وقعد فى بيته .

فبلغ الخبر الى الرشيد ، فدعاه ، وسأله عن أمره ، فأخبره الخبر ،

فقال : يا أمير المؤمنين ، اعفنى من هذه الولاية ، فو الله لا افلح قاضٍ لا يقيم الحق على القوي ، فقال له الرشيد : من يمنعك من اقامة الحق ؟ فقال : هذا عيسى ابن جعفر ! فقال الرشيد ، لأبراهيم بن عثمان : سر الى دار عيسى بن جعفر ، وأختم أبوابه كلها ، لا يخرج منها أحد ، ولا يدخل اليها أحد ، حتى يخرج الى الرجل من حقه ، أو يسير معه الى مجلس الحكم .

فأحاط ابراهيم بداره خمسمائة فارس ، وأغلق الابواب كلها ، فتوهم عيسى بن جعفر ان الرشيد قد حدث عنده رأى فى قتله ، ولم يعرف الخبر ، فجعل يكلم الاعوان من خلف الباب ، وارتفع الصراخ فى منزله ، وضج النساء فسكتهن ، ثم قال لبعض الاعوان من غلمـــان ابراهيم : ادع لي أبا اسحاق لأكلمه ، فأعلموه ، فجاء حتى وقف على الباب ، فقال له عيسى : ويحك ! ما حالنا ؟ فأخبره خبر القاضى ابن طيبان ، فأمر بأحضار خمسمائة الف درهم من ساعته فأحضرت ، وأمر أن تدفع الى الرجل فجاء ابراهيم الى الرشيد فأخبره ، فقال : اذا قبض الرجل ماله فأفتح أبوابه وعرفه أن يصلح سيرته مع القاضى ، وأياه ومعارضته !

٣ ـ رجل يقاضى المأمون :

دخل رجل على المأمون ، وفى يده رقعة فيها مظلمة من امير المؤمنين ، فقال : أمظلمة مني ؟ فقال الرجل : أفأخاطب يا امير المؤمنين سواك ! .

قال : وما هى ظلامتك ؟ قال : ان سعيدا وكيلك اشترى مني جواهر بثلاثين الف دينار ، قال : فاذا اشترى سعيد منك الجواهر تشكو الظلامـة مني ! قال : نعم ، اذا كانت الوكالة قد صحت منك ! قال : لعـل سعيدا قد اشترى منك الجواهر ، وحمل اليك المال ، أو اشتراه لنفسه ! وعليه فلا يلزمني لك حق ، ولا أعرف لك ظلامة ، فقال له : جاء فى وصية عمر بن الخطاب رضىالله عنه ، لقضاته ، « البينة على من ادعى ، واليمين على من انكر » .

قال المأمون : انك عُدمتَ البينة ، فما يجب لك الا حلفَةً ولئن حلفتُها لأنا صادق ، اذ كنتُ لا أعرف لك حقا يلزمني ، قال . فأذن ادعوك الى القاضى الذى نصبته لرعيتك ، قال : نعم يا غلام ! علي بيحيى ابن اكثم ! فاذا هو قد مثل بين يديه ، فقال له المأمون : اقض بيننا ! قال : فى حكم وقضية ! قال : نعم ! قال : انك لم تجعل ذلك مجلس قضاء . قال : قد فعلت .

قال : فأنى ابدأ بالعامة أولا ليصلح المجلس للقضاء ، قال : افعل .

ففتح الباب ، وقعد فى ناحية من الباب ، وأذن للعامة ، ثم دعي بالرجل المتظلم ، فقال له يحيى : ما تقول ؟ قال : أقول : ان تدعو بخصمى امير المؤمنين المأمون ، فنادى المنادى ، فاذا المأمون قد خرج ، ومعه غلام يحمل مُصلى ، حتى وقف على يحيى وهو جالس ، فقال له : اجلس ، فطرح المصلى ليقعد عليها ، فقال له يحيى : يا امير المؤمنين ، لا تأخذ على خصمك شرف المجلس ، فطرح له مصلى أخرى ، ثم نظر فى دعوى الرجل ، وطالب المأمون باليمين فحلفه ، ووثب يحيى بعد فراغ المأمون من يمينه فقام على رجليه ، فقال له المأمون : ما أقامك ؟ فقال : انى كنت فى حق الله عزوجل حتى أخذته منك ، وليس الآن من حقى أن أتصدر عليك .

ثم أمر المأمون أن يحضر ما ادعى الرجل من المال ، فقال له : خذه اليك والله ما كنت احلف على فجرة ، ثم اسمح لك بالمال فأفسد دينى ودنياى ، والله يعلم ما دفعت اليك هذا المال الا خوفا من هذه الرعية ، لعلها ترى اني تناولتك من وجه القدرة .

٤ ـ درع علي بن ابى طالب :

فقد سيدنا علي بن ابى طالب درعه بعد معركة صفين وبعد مدة وجده عند نصرانى من أهل الذمة فلما ادعى ملكيته أنكرها النصرانى فاضطر

الخليفة أن يقاضيه عند شريح القاضى وفى اليوم المعين للمرافعة حضر الخليفة وحضر النصرانى فأبان سيدنا علي رضى الله عنه ان الدرع درعه وانه فقده بعد معركة صفين ثم سأل القاضى النصرانى فقال (الدرع درعى واميرالمؤمنين ليس بكاذب) فطلب شريح البينة من الخليفة فعجز عنها فحكم بالدرع الى النصرانى فأخذه وانصرف وبعد أن سار ثلاث خطــوات التفت الى مجلس القضاء وقال « أشهد أن هذا لحكم الانبياء » ثم أردف فقال (أشهد أن لا اله الا الله وأشهد ان محمدا رسول‌الله » ان‌الدرع درعك يا أميرالمؤمنين اذ كنت أسير وراء القافلة بعد حرب صفين فسقط الدرع من جمل اورك فحملته ، فأجابه الخليفة قائلا (وما دمت قد أسلمت فالدرع هبة منى لك) فهل روى لنا التاريخ منذ فجر السلالات البشرية حتى يومنا هذا مثلا واحــدا يقاضى فيه ملك فى دست الحكم صعلوكا هو فى ذمامه على أمر تعود ملــكيته لــه ، اللهم لا • الا فى شريعة محمد وفى امة يعرب •

الرابع عشر ـ الفصاحة والبلاغة

العرب أفصح الامم لسانا وأبلغها بيانا ودليلنا نزول القرآن بهذه اللغة فلو كانت هناك لغة أفصح من لغة العرب وأبلغ منها لاختارها الله لغة للقرآن المعجزة السماوية الكبرى ، وهاك قارىء العزيز بعض الامثلة على فصاحــة العربية وبلاغتها ••

١ ـ أبو الاسود الدؤلي وزوجه :

قال أبو محمد القشيرى : كان أبو الاسود الدؤلى من أكبر الناس عند معاوية بن ابى سفيان وأقربهم مجلسا ، وكان لا ينطق الا بعقل ، ولا يتكلم الا بعد فهم •

فبينما هو ذات يوم جالس ، وعنده وجوه قريش واشراف العرب اذ أقبلت امرأة أبى الاسود الدؤلى حتى حاذت معاوية وقالت : السلام عليــك

يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، ان الله جعلك خليفة فى البلاد ، ورقيبا على العباد ، يستسقى بك المطر ويستنبت بك الشجر ، وتؤلف بك الاهواء ، ويأمن بك الخائف ويردع بك الجانف ، فأنت الخليفة المصطفى ، والامام المرتضى ، فاسأل الله لك النعمة فى غير تغيير ، والعافية من غير تعذير ، قد الجأنى اليك يا امير المؤمنين أمر ضاق علي فيه المنهج ، وتفاقم علي منه المخرج ، لأمر كرهت عاره ، لما خشيت اظهاره فلينصفنى امير المؤمنين من الخصم ، فانى أعوذ بقوته من العار الوبيل ، والامر الجليل الذى يشتد على الحرائر ، ذات البعول الاجائر ٠

فقال لها معاوية : ومن بعلك هذا الذى تصفين من أمره المنكر ومن فعله المشهر ؟ فقالت : هو أبو الاسود الدؤلى ٠

فالتفت اليه وقال : يا أبا الاسود ، ما تقول هذه المرأة ؟ فقال أبو الاسود : هى تقول من الحق بعضا ، ولن يستطيع أحد عليها نقضا ، اما ما ذكرت من طلاقها فهو حق ، وأنا مخبر عنه امير المؤمنين بالصدق ، والله يا أمير المؤمنين ما طلقتها عن ريبة ظهرت ، ولا لأى هفوة حضرت ، ولكن كرهت شمائلها ، فقطعت عنى حبائلها ٠

فقال معاوية : وأى شمائلها يا أبا الاسود كرهت ؟ فقال : يا امير المؤمنين ، انك مهيجها علي بجواب عتيد ولسان شديد ٠

فقال معاوية : لابد لك من محاورتها ، فأردد عليها قولها عند مراجعتها ، فقال أبو الاسود : يا أمير المؤمنين ، انها كثيرة الصخب دائمة الذرب ، مهينة للأهل ، مؤذية للبعل ، مسيئة الى الجار ، مظهرة للعار ، ان رأت خيرا كتمته، وان رأت شرا أذاعته ٠

فقالت : والله لولا مكان امير المؤمنين ، وحضور من حضره من المسلمين لرددت عليك بوادر كلامك ، بنوافذ أقرع بها كل سهامك وان كان

لا يجمل بالمرأة أن تشتم بعلا ولا أن تظهر لأحد جهلا •

فقال معاوية : عزمتُ عليكِ لما أجبته فقالت : يا أمير المؤمنين ، ما علمته الا سؤلا جهولا ، ملما بخيلا ، ان قال فشر قائل وان سكت قد رد غائل ، ليث حين يأمن ، وثعلب حين يخاف ، شحيح حين يضاف ، اذا ذكر الجود انقمع ، لما يعرف من قصر رشائه ، ولؤم آبائه ، ضيفه جائع وجاره ضائع ، لا يحفظ جارا ، ولا يحمى ذمارا ولا يدرك ثارا ، أكرم الناس عليه من أهانه ، واهونهم عليه من أكرمه •

فقال معاوية : سبحان الله لما تأتى به هذه المرأة من السجع ، فقال أبو الاسود : أصلح الله امير المؤمنين ، انها مطلقة ، ومن أكثر كلاما من مطلقة ؟ ثم قال لها معاوية : اذا كان رواحا فتعالي أفصل بينك وبينه بالقضاء •

فلما كان الرواح جاءت ومعها ابنها قد احتضنته، فلما رآها أبو الاسود قام اليها لينتزع ابنه منها ، فقال له معاوية : يا أبا الاسود لا تعجل، دع المرأة أن تنطق بحجتها • قال : يا امير المؤمنين ، أنا أحق بحمل ابنى منها ، فقال له معاوية : يا أبا الاسود دعها تقل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، حملتُه قبل أن تحملَه ، فقالت : صدق والله يا أمير المؤمنين ، حمله خفا ، وحملته ثقلا ، ان بطنى لوعاؤه ، وان ثديى لسقاؤه ، وان حجرى لفناؤه ، فقال معاوية : سبحان الله لما تأتين به من سجع ، ثم قال لأبى الاسود : انها غلبتك فى الكلام ، فتكلف لها ابياتا لعلك تغلبها فأنشأ يقول :

مرحبا بالتى تجور علينا ثم سهلا بالحامل المحمول
أغلقت بابها علي وقالت ان خير النساء ذات البعول
شغلت نفسها علي فراغا هل سمعتم بالفارغ المشغول ؟

فأجابته بقولها :

ليس من قال بالصواب وبالحق كمن حار عن منار السبيل

كان ثديي سقاه حين يضحى ثم حجري فناه بالاصيل
لست أبغي بواحدى يا ابن حرب بدلا ما علمته والخليل

ففضى لها معاوية عليه ، واحتملت ابنها وانصرفت .

٢ ـ الفرزدق وسكينة بنت الحسين :

خرج الفرزدق حاجا فلما قضى حجه عدل الى المدينة ، فدخل الى سكينة بنت الحسين ، فسلم ، فقالت : من أشعر الناس ؟ قال : أنا ، قالت : كذبت ، أشعر منك الذى يقول :

بنفسى من تجنيه عزيز علي ومن زيارته لمام
ومن أمسى وأصبح لا أراه ويطرقنى اذ هجع النيام

فقال : أما والله لو أذنت لي لأسمعتك أحسن منه ، قالت : اقبحه ، فأخرج . ثم عاد اليها فى الغد ، فدخل عليها ، فقالت : يا فرزدق من أشعر الناس ؟ فقال أنا ، قالت : كذبت صاحبك جرير أشعر منك حين يقول :

لولا الحياء لعادنى استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار
كانت اذا هجرالضجيع فراشها كتم الحديث وعفت الاسرار
لا يلبث القرناء أن يتفرقوا ليل يكر عليهم ونهار

فقال : والله لئن اذنت لي لأسمعتك أحسن منه . فأمرت به فأخرج ثم عاد اليها فى اليوم الثالث ، وحولها مولدات لها كأنهن التماثيل ، فنظر الفرزدق الى واحدة منهن فأعجب بها ، وبهت ينظر اليها ، فقالت له سكينة : يا فرزدق ، من أشعر الناس ؟ قال : أنا ، قالت كذبت ! صاحبك أشعر منك حيث يقول :

ان العيون التى فى طرفها حور قتلتنا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن اضعف خلق الله انسانا

فقال : لئن تركتنى لاسمعنك أحسن منه فأمرت باخراجه !

فالتفت اليها وقال : يا بنت رسول الله ، ان لي عليك حقا عظيما قالت : وما هو ؟ قال : ضربت اليك آباط الابل من مكة ارادة التسليم عليك ، فكان جزائى من ذلك تكذيبى وطردى وتفضيل جرير علي ، ومنعك اياى أن انشدك شيئا من شعرى ، وبى ما قد عيل منه صبرى ، وهذه المنايا تغدو وتروح ، ولعلي لا افارق المدينة حتى اموت ، فاذا انا مت فمرى بى أن ادرج فى كفنى ، ثم أدفن فى ثياب هذه الجارية •

فضحكت سكينة وأمرت له بالجارية ، فخرج بها ثم قالت له : يا فرزدق ، احتفظ بها وأحسن صحبتها ، فانى آثرتك بها على نفسى ، بارك الله لك فيها •

قال الفرزدق : فلم ازل والله ارى البركة بدعائها فى نفسى واهلى ومالى حتى هلكت •

٣ ـ المتكلمة بالقرآن :

قال عبدالله بن المبارك : خرجت حاجا الى بيت الله الحرام ، وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام، فبينما أنا فىالطريق اذ أنا بسواد ، فتميزت ذاك ، فاذا عجوز عليها درع من صوف ، وخمار ، فقلت : السلام عليك ورحمة الله وبركاته • فقالت : « سلام قولا من رب رحيم » • فقلت لها : رحمك الله ! ما تصنعين فى هذا المكان ؟ قالت « ومن يضلل الله فما له من هاد » ، فعلمت انها ضالة عن الطريق •

فقلت لها : أين تريدين ؟ قالت : « سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى » ، فعلمت انها قضت حجها وهى تريد بيت المقدس • فقلت لها : انت منذ كم فى هذا الموضع ؟ قالت : « وهو يطعمنى ويسقين » • فقلت : فبأى شىء تتوضئين ؟ قالت : « فان لم تجدوا ماءً فتيمموا صعيدا طيبا » • فقلت لها : ان معى طعاما ، فهل لك

حاجة فى الاكل ؟ قالت : « ثم اتموا الصيام الى الليل » . فقلت قد ابيح لنا الافطار فى السفر . قالت : « وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون».

فقلت : لم لا تكلمينى مثل ما أكلمك ؟ قالت : « ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » . فقلت : فمن أى الناس أنت ؟ فقالت : « ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا .

فقلت : قد اخطأتُ فاجعلينى فى حل . قالت : « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم » .

فقلت : فهل لك ان احملك على ناقتى ، فتدركى القافلة ؟ قالت . « وما تفعلوا من خير يعلمه الله » .

قال : فأنختُ الناقة ، فقالت : « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم». فغضضت بصرى عنها ، وقلت لها : اركبى .

فلما ارادت أن تركب نفرت الناقة ، فمزقت ثيابها ، فقالت : « وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم » . فقلت لها : اركبى . قالت : «سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وانا الى ربنا لمنقلبون» .

فأخذتُ بزمام الناقة ، وجعلتُ اسعى واصيح ، فقالت : « واقصد فى مشيك ، واغضض من صوتك » ، فجعلت امشى رويدا رويدا ، واترنم بالشعر ، فقالت : « فأقروا ما تيسر من القرآن » . فقلت لها : لقد اوتيت خيراً كثيرا ، فقالت : « وما يذكر الا أولو الالباب » .

فلما مشيت بها قليلا قلت لها : ألك زوج ؟ قالت : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم » .

فسكت ولم اكلمها ، حتى ادركت بها القافلة ، فقلت لها : هذه القافلة فمن لك فيها ؟ فقالت : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » ، فعلمت

ان لها اولادا • فقلت : وما شأنهم فى الحج ؟ قالت « وعلامات وبالنجم هم يهتدون » ، فعلمت انهم ادلاء الركب •

فقصدت القباب والعمارات ، فقلت : هذه القباب ، فمن لك فيها ؟ قالت : « واتخذ الله ابراهيم خليلا » • « وكلم الله موسى تكليما » • « يا يحيى خذ الكتاب بقوة » • فناديت : يا ابراهيم ، يا موسى ، يا يحيى ، فاذا بشبان كأنهم الاقمار قد أقبلوا ، فلما استقر بهم الجلوس ، قالت : « ابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه » •

فمضى احدهم ، فاشترى طعاما فقدموه بين يدى ، فقالت « كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم فى الايام الخالية » •

فقلت : الآن طعامكم عليَّ حرام حتى تخبرونى بأمرها ، فقالوا : هذه امنا لها منذ أربعين سنة لم تتكلم الا بالقرآن ، مخافة ان تزل فيسخط عليها الرحمن ، فقلت : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » •

٤ ـ عبد الله بن عباس والحطيئة :

بينا ابن عباس جالس فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما كف بصره ، وحوله ناس من قريش اذ أقبل اعرابى يخطر ، وعليه مُطرف وجبة وعمامة خز ، حتى سلم على القوم ، فردوا عليه السلام ، فقال : يا ابن عم رسول الله ، افتنى ، قال : فيمَ ؟ قال : اتخاف على جناحا ان ظلمنى رجل فظلمته ، وشتمنى فشتمته ، وقصر بى فقصرت به ؟ فقال : العفو خير ، ومن انتصر فلا جناح عليه •

فقال: يا ابن عم رسول الله ، أرأيت امرأ أتانى فوعدنى وغرنى ومنانى، ثم اخلفنى واستخف بحرمتى ، ايسعنى ان اهجوه ؟ قال : لا يصلح

الهجاء ، لانه لا بد لك من ان تهجو غيره من عشيرته ، فتظلم من لم يظلمك ، وتشتم من لم يشتمك ، وتبغى على من لم يبغ عليك الظلم مرتعه وخيم ، وفى العفو ما قد علمت من الفضل ، قال صدقت وبررت •

فلم ينشب أن أقبل عبدالرحمن بن سليمان المحاربى حليف قريش، فلما رأى الاعرابى أجله واعظمه وألطف فى مسألته ،وقال : قرب الله دارك يا أبا مليكة ، فقال ابن عباس : أجرول ؟ قال : جرول ، فاذا هو الحطيئة ، فقال ابن عباس : لله انت ! يا أبا مليكة ! والله لو كنت عركت بجنبك بعض ما كرهت من أمر الزبرقان كان خير لك ، ولقد ظلمت من قومه من لم يظلمك ، وشتمت من لم يشتمك ، قال : انى والله بهم يا أبا العباس لعالم ، قال : ما أنت بأعلم بهم من غيرك ، قال : بلى والله ! يرحمك الله ! ثم أنشأ يقوم :

أنا ابن بجدتهم علما وتجربة فسل سعدا تجدنى اعلم الناس
سعد بن زيد كثيران عددتهم ورأس سعد بن زيد آل شماس
والزبرقان ذناباهم وشرهم ليس الذنابى أبا العباس كالراسى

فقال ابن عباس : اقسمت عليك ألا تقول الا خيرا ، قال : افعل •

ثم قال ابن عباس : يا أبا مليكة ، من اشعر الناس ؟ قال : أمن الماضين أم من الباقين ؟ قال : من الماضين ، قال : الذى يقول :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشر يشتم

وما بدونه الذى يقول :

ولست بمستبق اخا لا تلمه على شعث ، أى الرجال المهذب !

ولكن الضراعة أفسدته كما أفسدت جرولا ـ يعنى نفسه ـ والله يا ابن عم رسول الله لو لا الطمع والجشع لكنت اشعر الماضين ، فأما الباقون فلا شك أنى اشعرهم وأمردهم سهما اذا رميت !

٥ ـ **أشجع الناس شعراً :**

سأل يوما عبدالملك بن مروان : من اشجع الناس شعرا ؟ فقيل : عمرو بن معد يكربى • فقال : كيف ! وهو الذى يقول:

فجاشت الى النفس أول مرة   فردت على مكروهها فاستقرت

قالوا : فعمرو بن الاطنابة • فقال : كيف ! وهو الذى يقول :

وقولى كلما جشأت وجاشت   مكانك تحمدى او تستريحى

قالوا : فعامر بن الطفيل • قال : كيف ! وهو الذى يقول :

أقول لنفس لا يجاد بمثلها   اقلّي مِر َحا اننى غير مدبر

قالوا : فمن اشجعهم عند امير المؤمنين ؟ قال : اربعة ، عباس بن مرداس السلمى ، وقيس بن الحطيم الاوسى ، وعنترة بن شداد العبسى ، ورجل من بنى مزينة ، اما عباس فلقوله :

أشد على الكتيبة لا أبالي   أفيها كان حتفى ام سواها

واما قيس بن الحطيم فقوله :

وانى لدى الحرب العوان موكل   بتقديم نفس لا أريد بقاءها

وأما عنترة بن شداد فلقوله :

اذ تتقون بى الاسنةَ لم أضم   عنها ولكن قد تضايق مقدمى

واما المزنى فلقوله :

دعوت بنى قحافة فاستجابوا   فقلت : امضوا فقد طاب الورود

٦ ـ **من أشعر الناس :**

قال عبدالملك بن مسلم : كتب عبدالملك بن مروان الى الحجاج : انه لم يبق شيء من لذة الدنيا الا وقد اصبت منه ، ولم يبق لى الا مناقلة الاخوان الاحاديث وقبلك عامر الشعبى ، فابعث به الي يحدثنى •

فدعا الحجاج بالشعبى وجهزه ، وبعث به اليه ، واطراه فى كتابه ،

فخرج الشعبى ، حتى اذا كان بباب عبدالملك قال للحاجب : استأذن لي ، فقال : ومن أنت ؟ قال : عامر الشعبى ، قال : حياك الله ! ثم نهض ، وأجلسه على كرسيه ، فلم يلبث أن خرج الحاجب اليه فقال : ادخل ، قال الشعبى : فدخلت فاذا عبدالملك جالس على كرسى ، وبين يديه رجل ابيض الرأس واللحية على كرسى ، فسلمت فرد السلام ، ثم أومأ الي فقعدت عن يساره ، ثم اقبل على الذى بين يديه فقال : ويحك ! من اشعر الناس ؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين ! فأظلم عليّ ما بيني وبين عبدالملك ، ولم اصبر ان قلت : ومن هذا يا أمير المؤمنين الذى يزعم انه اشعر الناس ! فعجب عبدالملك من عجلتي قبل ان يسألني عن حالي ، ثم قال : هذا الاخطل ! فقلت : يا أخطل اشعر منك الذى يقول :

هذا غلام حسن وجهه … مقتبل الخير سريع التمام
للحارث الاكبر والحارث الاصغر … والحارث خير الانام
ثم لهند ولهند ، فقد … اسرع فى الخيرات منه امام
خمسة آباءهم ما هُمُ … هم خير من يشرب صوب الغمام

فقال عبدالملك : ردّدها عليّ ، فرددتها حتى حفظها ، فقال الاخطل : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذا الشعبى ، قال : صدق ، والله النابغة اشعر منى !

قال الشعبى : ثم أقبل عليّ عبدالملك فقال : كيف أنت يا شعبى ؟ قلت : بخير — لا زلت به — ثم ذهبت لاصنع معاذيرى لما كان من خلافى على الحجاج مع عبدالرحمن بن محمد الاشعث .

فقال : مه ! فأنا لا نحتاج الى هذا المنطق ، ولا تراه منا فى قول ولا فعل حتى تفارقنا ، ثم اقبل عليّ فقال : ما تقول فى النابغة ؟ قلت يا أمير المؤمنين ، قد فضّله عمر بن الخطاب فى غير موطن على جميع الشعراء ،

وذلك أنه خرج يوما وببابه وفد غطفان ، فقال : يا معشر غطفان ، أى شعرائكم الذى يقول :

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب
الم تر ان الله اعطاك سطوة ... ترى كل مَلك دونها يتذبذب
كأنك شمس والملوك كواكب ... اذا طلعت لم يبد منهن كواكب
لئن كنت قد بلغت عنى جناية ... لمبلغك الواشى أغش وأكذب
ولست بمستبق أخا لا تلمه ... على شعث ، أى الرجال المهذب!

قالوا النابغة ، قال ، فأيكم الذى يقول :

فانك كالليل الذى هو مدركى ... وان خلت ان المنتأى عنك واسع
خطاطيف مجنٍ فى حبال متينة ... تمد بها أيد اليك نوازع

قالوا : النابغة ، قال : أيكم الذى يقول :

الى ابن محرق اعملت نفسى ... وراحلتى وقد هدت العيون
اتيتك عاريا خلقا ثيابى ... على خوف تظن بى الظنون
فألفيت الامانة لم تخنها ... كذلك كان نوح لا يخونُ

قالوا : النابغة ، قال : هذا اشعر شعرائكم . ثم أقبل عبدالملك على الاخطل فقال : أتحب ان لك قياضا بشعرك شعر أحد من العرب ، او تحب انك قلته ، فقال : لا والله ، الا انى وددت انى كنت قلت أبياتا قالها رجل منا ، كان والله مغدف القناع ، قليل السماع ، قصير الذراع ، قال : وما قال : فانشده :

انا محيوكَ فأسلم أيها الطلل ... وان بليت وان طالت بك الطول
ليس الجديد به تبقى بشاشته ... الا قليلا ولا ذو خلة يصلُ
والعيش لا عيش الا ما تقر به ... عين ولا حال الا سوف تنتقل
والناس من يلق خيرا قائلون له ... ما يشتهى ولأم المخطىء الهبل

قد يدرك المتأني بعض حاجته　　وقد يكون مع المستعجل الزلل

قال الشعبي : فقلت : قد قال القطامي افضل من هذا ، قال وما قال؟

طرقت جنوب رحالنا من مطرق　　ما كنت احسبه قريب المعنق

حتى أتيت على آخرها ، فقال عبدالملك : ثكلت القطامي أمه ، هذا والله الشعر ، ثم قال : يا شعبي ، أي شعراء الجاهلية كان اشعر النساء ؟ قلت : خنساء قال : ولم فضلتها على غيرها ؟ قلت : لقولها :

وقائلة والنعش قد فات خطوها　　لتدركه يا لهف نفسي على صخر

ألا ثكلت أم الذين غدوا به　　الى القبر ، ماذا يحملون الى القبر

فقال عبدالملك : اشعر والله منها ليلى الاخيلية حيث تقول :

مهفهف الكشح والسربال منخرق　　عنه القميص لسيرِ الليل محتقر

لا يأمن الناس ممساه ومصبحه　　في كل حي وان لم يغز ينتظر

ثم قال يا شعبي لعله شق عليك ما سمعته ، فقلت : أي والله يا امير المؤمنين أشد المشقة ، اني قد حدثتك فلم افدك الا أبيات النابغة في الغلام .

ثم قال عبد الملك : يا شعبي انما أعلمناك هذا ، لأنه بلغني ان أهل العراق يتطاولون على أهل الشام ويقولون : ان كانوا غلبونا على الدولة ، فلن يغلبونا على العلم والرواية ، وأهل الشام أعلم بعلم أهل العراق . ثم ردد علي أبيات ليلى حتى حفظتها ، وأذن لي فانصرفت ، فكنت اول داخل وآخر خارج .

٧ ــ ايجاز في المقال وبلاغة في البيان :

قال سفيان القرشي : كنا عند هشام بن عبدالملك وقد وفد عليه وفود أهل الحجاز وكان شباب الكتاب اذا قدم الوفد حضروا لاستماع بلاغة خطبائهم فحضرت كلامهم .

وكان محمد بن ابى الجهم أعظم القوم قدرا ، وأكبرهم سنا ،

وأفضلهم رأيا وحلما فقال : أصلح الله امير المؤمنين ، ان خطباء قريش قد قالت فيك ما قالت : وأكثرت وأطنبت ، والله ما بلغ قائلهم قـــدرك ، ولا أحصى خطيبهم فضلك ، وان أذنت فى القول قلت ، قال : تكلم ، قال : أفأوجز أم أطنب ؟ قال : بل أوجز .

قال : تولاك الله يا امير المؤمنين بالحسنى ، وزينك بالتقوى ، وجمع لك خير الآخرة والاولى ، ان لى حوائج أفأذكرها ؟ قال : هاتها ، قال : كبرت سنى ونال الدهر منى ، فان رأى امير المؤمنين أن يجبـر كسرى ، وينفى فقرى فعل ! .

قال : وما الذى ينفى فقرك ، ويجبر كسرك ؟ قال : الف دينار والف دينار والف دينار . فأطرق هشام طويلا ، ثم قال هيهات يا ابن ابى الجهم ، بيت المال لا يحتمل ما ذكرت . فقال ان الله آثرك لمجلسنا ، فان تعطنا فحقـا أديت ، وان تمنعنا فنسأل الذى بيده ما حويت ، يا أميرالمؤمنين ، ان الله جعل العطاء محبة ، والمنع مبغضة ، والله لان احبك أحب الي من أن أبغضك .

قال : فألف دينار لماذا ؟ قال أقضى بها دينا قد حان قضاؤه ، وقد عنانى حمله ، وأضر بى أهله ، قال : فلا بأس ، تنفس كربة ، وتؤدى أمانـة ، والف دينار لماذا ؟ قال : ازوج بها من أدرك من ولدى . قال : نعم المسلك سلكت ، اغضضت بصرا ، واعففت ولدا ، ووضعت نسلا، والف دينار لماذا ؟ قال : أشترى بها أرضا يعيش بها ولدى ، وأستعين بفضلها على نوائب الدهر، وتكون ذخرا لمن بقى .

قال : فانا قد أمرنا لك بما سألت . قال : فالمحمود الله على ذلك وجزاك الله يا أمير المؤمنين والرحم خيرا ، ثم خرج .

فأتبعه هشام بصره ، وقال : تا الله ما رأيت رجلا الطف فى سؤال ، ولا أأرفق فى مقال من هذا ، هكذا فليكن القرشى ، أما والله انا لنعرف الحق

اذا نزل ، ونكره الاسراف والبخل ، وما نعطى تبذيرا ، ولا نمنع تقتيرا ، وما نحن الا خزان الله فى بلاده وامناؤه على عباده ، فاذا اذن أعطينا ، واذا منع أبينا ، ولو كان كل قائل يصدق وكل سائل يستحق ، ما جبهنا قائلا ، ولا رددنا سائلا ، ونسأل الذى بيده ما استحفظنا أن يجزيه على أيدينا ، فانه يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا . فقالوا : يا أمير المؤمنين ، لقد تكلمت فأبلغت وما بلغ فى كلامه ما قصصت . قال : انه مبتلى وليس المبتلى كالمعتلى .

٨ ـ فصاحة نصيب العباسى :

وجه المهدى نصيبًا الشاعر مولاه الى اليمن فى شراء ابل مهرية ، ووجه معه رجلا من الشيعة ، وكتب معه الى عامل اليمن بعشرين الف دينار ، فمد يده فى الدنانير ينفقها فى الاكل والشرب . وشراء الجوارى والتزويج ، فكتب الشيعى بخبره الى المهدى ، فطلبه المهدى موثقا بالحديد ، فلما حضر دخل على المهدى وأنشده فقال :

تأوبنى ثقل من الهم موجع ... فارق عينى والخليون هجع
هموم توالت لو اطاف يسيرها ... بسلمى لظلت صمة تتصدع
وعادت بلاد الله ظلماء حندسا ... فخلف دجا ظلمائها لا تقشع
اليك أمير المؤمنين ولم أجد ... سواك مجيرا منك يدنى ويمنع
تلمست هل من شافع لى فلم أجد ... سوى رحمة أعطاكها الله تشفع
لئن جلت الاجرام منى وأفظعت ... لعفوك عن جرمى أجل وأوسع
لئن لم تسعنى يا ابن عم محمد ... فما عجزت عنى وسائل أربع
طبعت عليها صبغة ثم لم تزل ... على صالح الاخلاق والدين تطبع
تغابيك عن ذى الذنب ترجو صلاحه ... وأنت ترى ما كان يأتى ويصنع
وعفوك عمن لو تكون جزيته ... لطارت به فى الجو نكباء زعزع
وانك لا تنفك تنعش عاثرا ... ولم تعترضه حين يكبو ويضلع

وحلمك عن ذي الجهل من بعدما جرى　　به عنق من طائش الجهل أشنع
وانى لمولاك الذى ان جفوته　　أتى مستكينا خاشعا يتضرع
وانى لمولاك الضعيف فاعفنى　　فانى لعفو منك أهل وموضع

ثم تشفع له الهادي واعتقه ، وأمضى المهدى ذلك له ، وأمر بحديده ففك عنه ، وخلع عليه عدة من الخلع ، ووصله بألفى دينار ، وأمر له بجارية جميلة فائقة ، فقال له سالم : لا أدفعها لك أو تعطينى الف درهم فعاد الى المهدى وأنشده :

ما زلت تبذل لى الاموال مجتهدا　　حتى لاصبحت ذا أهل وذا مال
زوجتنى يا ابن خير الناس جارية　　ما كان أمثالها يهدى لامثالى
زوجتنى بضة بيضاء ناعمة　　كأنها درة فى كف مختال
حتى توهمت ان الله عجلها　　يا ابن الخلائف لى من خير أعمالى
فسالنى سالم الفا فقلت له　　انى لى الالف يا قبحت من سال
هيهات الفك الا ان اجىء بها　　من فضل مولى لطيف المن مفضال

فأمر له المهدى بألف دينار اخرى ولسالم بألف درهم :

٩ ـ أتته الخلافة منقادة :ـ

جلس المهدى للشعراء يوما فأذن لهم ، وفيهم بشار بن برد أعجمى أبوه أخذ فى سبى المهلب بن ابى صفرة ، وكان اشجع يأخذ عن بشار ويعظمه ، وكان فى القوم غير هذين ، أبو العتاهية واسمه اسماعيل بن القاسم من أهالى الكوفة ، قال أشجع : فلما سمع بشار كلام أبى العتاهية قال : يا أخا سُليم ، أهذا ذلك الكوفى الملقب ؟ قلت : نعم ! قال : لا جزى الله خيرا من جمعنا معه . ثم قال له المهدى : انشد ، فقال ويحك ! أو يستنشد أيضا قبلنا ؟ فقلت : قد ترى ، فأنشد :

ألا ما لسيدتى ما لها　　اولا فأحمل اولالها
والا ففيم تجنت وما　　جنيت ! سقى الله اطلالها

الا أن جـاريةً للامـــا م قد أسكن الحسنُ سربالها

مشت بين حـــور قصار الخطى تجـاذب فى المشى اكفالهـا

وقــد اتعب الله نفســى بهـا وأتعب باللــوم عــذالها

قال أشجع : فقال لى بشار : ويحك يا أخا سُليم ! ما أرى من أى أمريه أعجبُ : أم ضعفِ شعره ، أم من تشبيهِ بجارية الخليفة ، وهــو يسمع ذلك بأذنه حتى أتى على قوله :

أتتــه الخلافــة منقــادة اليــه تجـرر أذيالهـــا

فـلم تـك تصلح الا لــه ولـم يـك يصـلح الا لهـا

ولـو رامهـا أحـد غـيره لـزلـزلت الارض زلزالهـا

ولو لم تطعـه نيـات القلوب لمـا قبـل الله أعمالهـا

قال أشجع : فقال لى بشار ، وقد اهتز طربا : ويحك يا أخا سُليم أترى الخليفة لم يطر من فراشه طربا لما يأتى به هذا الكوفى •

١٠ ـ لولا فصاحتهم لضربت أعناقهم :

أمر الحجاج صاحب حرسه أن يطوف بالليل ، فمن رآه بعد العشاء سكرانا ضرب عنقه ! فطاف ليلة من الليالى ، فوجد ثلاثة فتيان يتمايلون وعليهم امارات السكر ، فأحاطت بهم الغلمان ، وقال لهم صاحب الحرس : من أنتم حتى خالفتم أمر امير المؤمنين ، وخرجتم فى مثل هـذا الوقت ؟ فقال أحدهم :

أنـا ابن من دانت الرقـاب له مـا بـين مخزومهـا وهاشـمها

تأتيــه بالرغـم وهى صاغــرة يأخـذ من مالهـا ومن دمهـا

فأمسك عنه ، وقال : لعله من أقارب امير المؤمنين ! ثم قال للآخر : وأنت من تكون ؟ فقال :

أنا ابن لمن لا تنزل الدهر قدره وأن نزلت يوما فسوف تعـود

ترى الناس أفواجا الى ضوء ناره　　فمنهم قيـــام حولهـــا وقعـــود

فأمسك عنه ، وقال : لعله ابن أشرف العرب ! ثم قال للآخر : وأنت من تكون ؟ فأنشد على البديهة :

أنا ابن لمن خاض الصفوف بعزمه　　وقوّمهـا بالسـيف حتى استقامت
وركـاه لا ينفـك رجلاه منهمـا　　اذا الخيـل فى يوم الكريهة ولت

فأمسك عنه ايضا ، وقال لعله ابن أشجع العرب ، واحتفظ عليهم • فلما كان الصباح رفع أمرهم الى الحجاج ، فأحضرهم ، وكشف عن حالهم ، فاذا الاول ابن حجّام ! والثانى ابن فوال ! والثالث ابن حائك !

فتعجب من فصاحتهم ، وقال لجلسائه : علموا أولادكم الادب ، فوالله لولا فصاحتهم لضربتُ أعناقهم !

الخامس عشر ــ أيام العرب

للعرب أيام هى عنوان عزهم وفخرهم حوت مكرمات وفضائل تجعلنا نفاخر بها ونتطاول على الامم الاخرى بمفاخرها وهـــذه الايام حدثت فى جاهلية العرب وبعد اسلامهم • منها :

١ ــ معركة ذى قار :ــ

كان للمنذر ملك الحيرة اثنا عشر ولدا يسمون بالاشاهب لفرط جمالهم ومن أشهرهم النعمان والاسود ، فأوكل بتربية النعمان الى عـدى بن زيد وبالاسود الى قوم من مُرينا وكان عدى مقربا عند الاكاسرة وأحد المترجمين عندهم الى اللغة العربية ، فلما مات المنذر استدعى كسرى عـديا وسأله رأيه فى اولاد المنذر وأيهم يصلح للخلافة أبيه فأجابه عدى كلهم رجال وأرى أن تختبرهم بنفسك فدعاهم كسرى الى زيارته فلما حضروا اجتمع بهم عـدى قبل كسرى وأظهر لهم انه يفضلهم جميعا على النعمان لتولى الملك وأخـذ يخلو بهم واحدا واحدا ويقول لهم اذا سألكم الملك « أتكفونى شر العرب ؟

فقولوا : نكفيكم الا من النعمان • وقال للنعمان : اذا سألك الملك هل تكفيني العرب ؟ فقل نعم ، فاذا سألك من لى بأخوتك ؟ فقل له : اذا عجزت عن اخوتى فانا عن غيرهم اعجز • وكان لبنى مرينا شاعر داهية يميل الى الاسود بن المنذر فنصحه ألا ينخدع بعدى بن زيد وأكد له أن عديا بن زيد غير مخلص فى نصيحته ، فلم يلتفت الاسود الى قوله ، وحضروا امام كسرى فسألهم رجلا رجلا اتكفونني شر العرب ؟ فقالوا نعم ، الا النعمان • ولما دخل النعمان سأله كسرى أتكفينني شر أخوتك وبأس العرب ؟ فقال : نعم• وان عجزت عن اخوتى فانا عن غيرهم اعجز ، فأعجب كسرى بجوابه وساعده على تسلم العرش والبسه تاجا قيمته ستون الف درهم ، وحنق ابن مرينا وذهب الى الاسود وقال : اذا فاتك الملك فلا تنس أن تطلب بثأرك من عدى بن زيد الذى ساعد اخاك ، وقد نصحتك قبلا فخالفت نصحى فخسرت الملك ، وانى اود ان لا يأتيك فائدة من مالك وارضك الا عرضتها عليّ ولى فى هذا مأرب ينفعك ، فعمل الاسود بمشورة ابن مرينا ، وكان ابن مرينا غنيا فأخذ يقدم الهدايا والطرف للنعمان يوميا حتى أحبه النعمان وقربه اليه ثم استمال ابن مرينا أصحاب النعمان فمالوا اليه ، ثم أعدّ دسيسة محكمة اذ جعلهم يقولون للنعمان ان عدى بن زيد يقول : انك عامله وانه هو الذى بوأك العرش حتى أضغنوه عليه فأرسل النعمان الى عدى بن زيد يسأله أن يزوره فى الحيرة ، فأستأذن على كسرى وأتى الى النعمان فأمر بحبسه فأخذ عدى ينظم فى السجن الشعر المؤثر فوصل أكثر شعره الى النعمان فخشى اذا هو أطلقه أن يكيد له ، وينتقم منه ، فلم يطلقه ، فنظم عدى قصيدة وأرسلها سرا الى أخيه الذى كان ذا حضوة عند كسرى فأعلمه بحال أخيه ، فكتب كسرى كتابا الى النعمان وأرسله مع رجل من خاصته يطلب فيه اطلاقه وأشار أخو عدى على الرسول أن يدخل على عدى قبل النعمان ففعل ودخل على عدى وأعلمه انه أرسل لاطلاقه فقال له عدى : لا تخرج من عندى

واعطنى الكتاب حتى أرسله الى النعمان ، فانك ان خرجت من عندى قتلنى، فلم يفعل ، ودخل أعداء عدى على النعمان وأعلموه بالخبر ، وخوفوه انتقامه بعد اطلاقه ، فأرسل من خنقه فى السجن ودفنه فيه ، وجاء الرسول بالكتاب الى النعمان • فقال النعمان بعد أن قرأ الكتاب : حبا وكرامة ونفح الرسول اربعة آلاف مثقال ذهب وجارية وقال له : اذا أصبحت فأدخل عليه وخذه أنت بنفسك • ولما أصبح الرسول غدا الى السجن فلم ير عديا وقال له الحرس انه مات منذ أيام فلم نجترىء على أن نخبر الملك خوفا منه لأنه يحرص على حياته • فرجع الى النعمان وأخبره انه رآه بالامس ولم يره اليوم ، فقال النعمان للرسول : كذبت وزاده رشوة واستوثق منه أن لا يخبر كسرى الا بأنه مات قبل أن يقدم عليه ، فرجع الرسول الى كسرى وقال : انى وجدت عديا قد مات قبل أن أدخل عليه • وأخذ اعداء عدى يجترؤن على النعمان حتىأصبح يهابهم وخرج النعمان ذات يوم فرأى ابنا لعدى يقال له زيد ففرح به ولاطفه واعتذر اليه من أمر أبيه وسيره الى كسرى وأرفقه بكتاب سأل فيه كسرى أن يجعل الولد مكان أبيه ففعل وعينه كاتبا عنده يكتب له الى العرب خاصة وأقام عنده سنوات مكرما • وكان لملوك الاعاجم صفة للنساء مكتوبة عندهم ، وكانوا يبعثون فى طلب من تكون على هذه الصفة من النساء ولا يقصدون العرب لأن العرب معروفون بأنفتهم من تزويج العربيات من الاعاجم ولكن زيدا بن عدى قال لكسرى ذات يوم : « اننى أعرف عند النعمان من بناته وأخواته وبنات عمه أكثر من عشرين امرأة جميلة كلهن على هذه الصفة » فقال كسرى : « اننى أحتاج الى تزويج أولادى وأهلى وأود أن أزوجهم من بنات النعمان » فأجابه زيد : « ايها الملك ان شر شىء فى العرب وفى النعمان خاصة انهم يتكرمون بأنفسهم عن العجم مهما كانت منزلة العجم ، وأرى أن تبعث معى رجلا يفقه العربية ويرى ما يكون » فبعث معه رجلا ورحلا الى الحيرة فدخلا على النعمان

وتكلم زيد وقال : « ان كسرى العظيم قد احتاج الى بنات يزوجهن من ولده وأهله ، وهو يعلم ان الصفات التى يطلبها فى عرائس أولاده لا تتوفر الا فى بناتك ، فبعث اليك يطلب ود بناتك » • فشق هذا الكلام على النعمان وقال لزيد والرسول يسمع : « اما فى مها السواد ما تبغون به حاجتكم » ؟ فسأل الرسول زيدا ما المها ؟ فقال له : البقر ، وأنزلهما النعمان يومين ، ثم كتب الى كسرى يعتذر اليه • وقال لزيد التمس لى العذر عند كسرى ، وعاد زيد والرسول الى كسرى فلما دخلا عليه قال زيد لكسرى : سل هذا الرسول عن الذى قاله فاننى اكرم الملك عن ذلك ، ولا أبيح لنفسى التلفظ • قال : فسأل الرسول فأجاب : « انه قال ألا يوجد فى بقر السواد وفارس ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا » ؟ فغضب كسرى وسخط ، وبلغ هذا النعمان فاستعد ، حتى أتاه بعد أشهر كتاب من كسرى يستدعيه اليه ، فأخذ النعمان سلاحه ولجأ الى قبيلة من طى وطلب منهم أن يمنعوه ويحموه وكانوا ضعافا بالنسبة الى كسرى فلما رأى النعمان ضعفهم تركهم وذهب الى بنى شيبان فى مكان يسمى (ذى قار) وهو ما بين الكوفة وواسط فنزل عندهم ولقى هناك هانىء بن مسعود الشيبانى وكان سيدا هماما فاستجار به فأجاره وقال له : « لقد لزمنى ذمامك وأنا مانعك مما أمنع نفسى وأهلى وولدى منه ما بقى من عشيرتى رجل واحد ، ولكن لا يجمل بالرجل أن يكون بعد الملك سوقة ، ولأن تموت كريما خير من أن تتجرع الذل وتبقى سوقة بعد الملك فامض الى كسرى وأحمل اليه الهدايا فأن صفح عنك عدت ملكا عزيزا وان أصابك فالموت خير من أن يتلعب بك صعاليك العرب » فقال النعمان : واهلى ؟ فأجاب هانىء • هن فى ذمتى لا يخلص اليهن شر حتى يخلص الى بناتى » فقال النعمان : هذا الرأى صحيح • فأودعه النعمان أهله وماله وفيه اربعمائة درع وتوجه الى كسرى حتى اذا وصل الى المدائن (سلمان باك حاليا) لقيه زيد بن عدى على قنطرة ساباط فقال : « انج نعيم ان استطعت النجاة » •

فقال النعمان : أفعلتها يا زيد ؟ أما والله لأن بقيت لأفعلن بك ما فعلته بأبيك !
فقال زيد : امض نعيم فقد وضعت لك عقبة هيهات أن تجتازها ، ولما بلغ كسرى قدوم النعمان بعث اليه من قيده وأرسله الى سجن خانقين حيث أصابه الطاعون فمات هناك . فلما علمت بكر بموته ، شرعت تغير على السواد تثأر له فحنق كسرى وأرسل الى هانىء ابن مسعود يطلب ما استودعه أياه النعمان فأبى هانىء ورفض طلب كسرى وقال: « من اسودع أمانة فهو حقيق أن يردها على من أودعه أياها ولن يسلم العربى الحر أمانته » فغضب كسرى حين علم ذلك وعقد لعامله على عين التمر (اياس بن قبيصة) على جميع العرب الذين تحت أمرته وجاء بنو شيبان الى ذى قار فأرسل اليهم كسرى رسولا يخيرهم بين واحدة من ثلاث :ـ

١ ـ اما أن يسلموا جميع مخلفات النعمان ٢ـ أن يتركوا ديارهم ٣ـ وأما الحرب . فأجمع العرب كلهم على حرب كسرى وصاحوا صيحة رجل واحد « الثأر ولا العار » وعند ذلك ارسل كسرى اليهم جيشا عرمرما يقوده أياس بن قبيصة ومعه بعض مرازبة الفرس ومعهم جيش

واجمع العرب على اختيار حنظلة بن ثعلبة قائدا لهم . وقبل أن يبدأ القتال برز من صفوف جيش كسرى عربى هو النعمان بن زرعة وقال : أتيتكم رسولا من عند كسرى وأنتم اخوالى وأهلى والرائد لا يكذب اهله وقد اتاكم بما لا قبل لكم به من ابطال فارس وفرسان العرب فادفعوا ودائعكم ورهنا من اولادكم تنجو من المهالك فاجاب حنظلة : قبح الله رأيا أنت حامله ولا تستطيع جيوش فارس ان تضع ارجلها ببطحاء ذى قار وانا اسمع المنادى ولو لا أن العرب لا تقتل الرسول لما رجعت الى قومك سالما ، ثم التفت الى هانىء فقال : ان ذمتكم ذمتنا عامة ولن يصل اليك كسرى حتى تفنى أرواحنا وأنشد :

يا قوم طيبوا بالقتال نفسا   اجود يوم أن تعلوا الفرسا

واشار هانى بالانسحاب الى الفلاة غير ان حنظلة قطع حزام هودج زوجتـه وأحزمة الهوادج الاخرى وضرب رأسـه قبـة حمراء وأقسم أن لا يفر حتى تفر هذه القبة من فوق رأسه واستقوا ماء يكفيهم نصف شهر • فلما تقدمت اليهم جيوش فارس صاح حنظلة يخاطب بنى بكر وهم مقدمة قبائل ربيعة فقال : يا معشر بكر ان نشاب العجم كثير فاذا ارسلوه لم يخطئكم فعاجلوه باللقاء والتحموا معهم بالسيوف • ثـم نهض هانىء وقال : ياقوم مهلك مقدور خير مـن فرار مغرور ، وان الحذر لا يدفع القدر ، وان الصبر من أسباب الظفر ، المنية ولا الدينة واستقبال الموت خير من استدباره يا قوم جدوا فما من الموت بد ، ويا آل بكر شدوا واستعدوا ، والا تشدوا تردوا • ثم وقف شريك بن عمر احد رؤسائهم فقال : يا قوم انما تهابونهم لانكم ترونهم عند الحرب أكثر منكم وكذلك انتم فى اعينهم ، وعليكم بالصبر فان الاسنة تروى الاعنة يا آل بكر الى الامام قدما قدما •

وبدأ القتال واشتد وطيسه وحمى سعيره فانهزم العجم فى الهجمة الاولى فلحقتهم فتيان يعرب وابلت فيهم بلاءا حسنا واخذوا يضربون فى أقفية العجم حتى حالوا الى بطحاء ذى قار فاشتد هناك القتال فخرج قائد الفرس الهامرز فبرز اليه الحارث بن شريك وقتله وعنـد اشتداد القتال انحاز العرب الذين مع الفرس الى جانب اخوانهم العرب اذ عز عليهم ان يقاتلوا اخوتهم وبنى عمومتهم ففر الفرس وهزموا هزيمة منكرة وعقبتهم العرب حتى ادخلوهم سواد فارس وقتل العرب مـن الفرس خلقا كبيرا وغنموا كثيرا وكان اول الواصلين الى كسرى باخبار الهزيمة قائده العميل اياس بن قبيضة واعتبر العرب يـوم ذى قار تأريخـا فاصـلا بـين عهـد العبوديـة وعهـد الاستقلال والحرية ولما بلغ الخبر رسول الله صلى الله عليه

قال « هذا أول يوم انتصفت العرب فيه من العجم وبى نصروا » وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم رويت له الواقعة بالمدينة فرفع يديه الى السماء ودعا لبنى ربيعة وقال (اللهم انصر ربيعة) وهذا برهان آخر على عروبة النبى العربى الكريم • وقد وقعت ذى‌قار بعد بدر بقليل فبارکهما الله معا •

٢ ـ مقتل كليب وحرب البسوس : ـ

كان كليب قد عزّ وساد فى ربيعة ، فبغى بغيا شديدا ، وكان هو الذى ينزلهم منازلهم ويرحلهم ، ولا ينزلون ولا يرحلون الا بأمره ، فضرب به المثل فى العز فقيل « أعز من كليب وائل » وكان لا يجير أحد من بكر وتغلب الا بأذنه ، ولا يحمى حمى الا بأمره •

وكان لمرة بن ذهُل من شيبان عشرة بنين ، جساس اصغرهم ، وكانت اختهم زوجة كليب •

وكان لجساس خالة تعرف بالبسوس ، فجاءت فنزلت على ابن اختها جساس ، فكانت جارة لبنى مُرة ومعها ابن لها ، ولهم ناقة خوارة ، ومعها فصيل ، فرأى كليب الناقة فأنكرها ، فقال : لمن هذه ؟ قالوا لخالة جساس ، قال : أوقد بلغ من امر ابن السعدية أن يجير عليّ بغير اذنى ! ارم ضرعها يا غلام ، فأخذ القوس فرمى ضرع الناقة فاختلط دمها بلبنها •

وراحت الرعاة على جساس فأخبروه بالامر ، فقال : اطلبوا لها مكيالي لبن ، ولا تذكروا لها من هذا شيئا •

فسكت جساس حتى ضعن ابن وائل ، فمرت بكرٌ على نهي يقال له شُبيث فنفاهم كليب عنه ، وقال : لا يذوقون منه قطرة • ثم مروا على نهي آخر يقال له الاحص فنفاهم عنه ، ثم مروا على بطن الجريب فمنعهم اياه ، حتى نزلوا الذنائب وتبعهم كليب وحيُّه حتى نزلو عليه •

ثم مر عليه جساس وهو واقف على غدير الذنائب ، فقال: طردت

اهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشا ! فقال كليب : ما منعناهم من ماء ، الا ونحن له شاغلون ، فقال له جساس : هكذا كفعلك بناقة خالتى ! فقال له : أوقد ذكرتها ! أما انى لو وجدتها في غير ابل مرة لاستحللت تلك الابل بها !

فعطف عليه جساس فرسه ، فطعنه برمح فأنفذه خصيتيه ، فلما تداءمه الموت قال : يا جساس ، اسقنى من الماء ، قال : ما عَقَلْتَ استسقائك الماء منذ ولدتك امك الا ساعتَك هذه ! ثم أمال يده بالفرس حتى انتهى الى اهله .

فقالت اخته حين رأته لابيها : ان ذا جساس" أتى خارجة ركبتاه ، قال : والله ما خرجت ركبتاه الا لامر عظيم .

فلما جاء قال : ما ورائك يا بني ؟ قال ورائى أنى قد طعنت طعنة لتشغلن بها شيوخ وائل زمنا ؟ قال : أقتلت كليبا ؟ قال : نعم ! قال : وددت انك واخوتك كنتم متم قبل هذا ، ما بى الا ان تتشاءم بى أبناء وائل ! فقال جساس :

تأهب عنك اهبة ذى امتناع فأن الامر جلّ عن التلاحى
فأنى قد جنيت عليك حربا تغُصُّ الشيخ بالماء القراح

فأجابه أبوه :

فان تك قد جنيت عليّ حربا فلا وانٍ ولا رثّ السلاح
سألبس ثوبها وأدب عني بها يوم المذلة والفضاح

وكان همام بن مرة آخى مهلهلا وعاقده ألا يكتمه شيئا ، فجاءت امة" له فأسرت اليه قتل جساس كليبا ، فقال مهلهل : ما قالت ؟ فلم يخبره فذكره العهد بينهما ، فقال : اخبرتنى ان جساسا قتل كليبا ، فلم يصدق مهلهل الخبر ، واجتمع نساء الحي للمآتم فقلن لاخت كليب : رحلي جليله

عن مأتمك « زوج كليب وأخت جساس » فأن قيامها فيه شماتة وعار علينا عند العرب ، فقالت لها : يا هذه اخرجي عن مأتمنا ، إت اخت واترنا وشقيقة قاتلنا ، فخرجت وهي تجر أعطافها ، فلقيها أبوها مرة فقال : ما وراءك يا جليلة ؟ فقالت ثكل العدو وحزن الابد ، وفقد خليل ، وقتل اخ عن قليل ، وبين ذين غرس الاحقاد ، وتفتت الاكباد .

فقال لها : اويكفي ذلك كرم الصفح واغلاء الديات ؟ فقالت جليلة : امنيةُ مخدوعٍ ورب الكعبة ! أبا لبدنٍ تَدَعُ لك تغلب دمَ ربها ؟

ولما رحلت جليلة قالت اخت كليب : رحلة المعتدى وفراق الشامت! ويل غداً لآل مرة ، من الكرّة بعد الكرة . فبلغ قولها جليلة ، فقالت : وكيف تشمت الحرة بهتك سترها وترقب وترها ؟ اسعد الله جدّ اختى ! أفلا قالت : نفرة الحياء ، وخوف الاعتداء ثم انشأت تقول :

يابنة الاقوام ان شئتِ فلا — تعجلي باللوم حتى تسألي
فاذا انت تبنيت الذى — يوجبُ اللوم فلومي واعذلي
ان تكن اخت امرىء ليمت على — شنقٍ منها عليه فأفعلي
جل عندى فعل جساسٍ فيا — حسرتى عما انجلت أو تنجلى
فعل جساس على وجدى به — قاطعٌ ظهرى ومدنٍ اجلى
يا قتيلا قوض الدهر به — سقف بيتى جميعا من علِ
هدم البيت الذى استحدثته — وانثنى فى هدم بيتى الاول
يا نسائى دونكنّ اليوم قد — خصنى الدهر برزء مُعضل
خصنى قتل كليب بلظى — من ورائى ولظى مستقبلى
ليس من يبكى ليومين كمن — انما يبكى ليوم ينجلى .
يشتفى المدرك بالثأر وفى — دَرْكى ثأرى ثكلُ المثكلَ
ليته كان دمى فأحتلبوا — بدلاً منه دماً من أكحلي
اننى قاتلةٌ مقتولةٌ — ولعل الله أن يرتاحَ لي

ثم قال بنو تغلب بعضهم لبعض : لا تعجلوا على اخوتكم حتى تعذروا بينكم وبينهم ، فانطلق رهط من اشرافهم وذوى أسنافهم حتى أتو مُرةَ بن ذهل ، فعظموا ما بينهم وبينه وقالوا : اخترمنا خصالا : اما ان تدفع الينا جساساً فنقتله بصاحبنا ، فلم يظلم من قتل قاتله ، واما ان تدفع الينا هماما واما ان تقيدنا من نفسك .

فسكت وقد حضرته وجوه بنى بكر بن وائل ، فقالوا : تكلم غير مخذول ، فقال : اما جساس فغلام حديث السن ركب رأسه ، فهرب حين خاف ، فلا علم لي به ، واما همام فأبو عشرة ، وأخو عشرة ، ولو دفعته اليكم لصاح بنوه فى وجهى ، وقالوا : دفعت أبانا للقتل بجريرة غيره ؟ واما أنا فلا اتعجل الموت ، وهل تزيد الخيل على ان تجول جولة فأكون أول قتيل !

ولكن هل لكم فى غير ذلك ؟ هؤلاء بنيّ ، فدونكم احدهم فاقتلوه به ، وان شئتم فلكم الف ناقة تضمنها لكم بكر بن وائل ، فغضبوا وقالوا : انا لم نأتك لترذل لنا بنيك ، ولا لتسومنا اللبن ، فتفرقوا ووقعت الحرب .

٣ ـ الهجرس بن كليب يثأر لابيه :

ولدت جليلة زوج كليب غلاما فسمته الهجرس ، ورباه خاله جساس ، فكان لا يعرف أباً غيره ، وزوجه ابنته . فوقع بين الهجرس وبين رجل من بنى بكر بن وائل كلام ، فقال له البكرى : ما أنت بمنته حتى نلحقك بأبيك فأمسك عنه ، ودخل الى امه كئيبا ، فسألته عما به ، فأخبرها الخبر .

فلما آوى الى فراشه ، ونام الى جنب زوجته وضع انفه بين ثديبها ، وتنفس تنفسةً تنفط ما بين ثدييها من حرارتها ، فقامت الجارية فزعة ، وقد أقلقها رعدة حتى دخلت على أبيها ، فقصت عليه قصة الهجرس ، فقال جساس : ثائرٌ ورب الكعبة !

وبات جساس قلقاً حتى أصبح ، فأرسل الى الهجرس فأتاه فقال له ، انما انت ولدى ومنى بالمكان الذى قد علمت ، وقد زوجتك ابنتى ، وأنت معى ، وقد كانت الحرب فى أبيك زمانا طويلا حتى كدنا نفنى ، اصطلحنا وتحاجزنا ، وقد رأيت ان تدخل فيما دخل الناس فيه من الصلح ، وان تنطلق حتى تأخذ عليك مثل ما أخذ علينا وعلى قومنا •

فقال الهجرس : أنا فاعل ، ولكن مثلى لا يأتى قومه الا بلامته وفرسه ، فحمله جساس على فرسه واعطاه لامة ودرعا ، فخرجا حتى أتيا جماعة من قومهما • فقص عليهم جساس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا اليه من العاقبة ، ثم قال : وهذا الفتى ابن اختى قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه ويعقد ما عقدتم ، فلما قربوا الدم ، وقاموا الى العقد أخذ الهجرس بوسط رمحه ، ثم قال : (وفرسى واذنيه ، ورمحى ونصليه ، وسيفى وغرّيه ، لا يترك الرجل قاتل ابيه وهو ينظر اليه) ثم طعن جساس فقتله ، ولحق بقومه ، فكان آخر قتيل فى بكر ابن وائل •

٤ ـ ضيعنى صغيرا ، وحملنى دمه كبيرا !

كان حجْر فى بنى اسد ، وكانت له عليهم اتاوة فى كل سنة مؤقتة ، فغبر ذلك دهرا ، ثم بعث اليهم جابيه الذى كان يجبيهم ، فمنعوه ذلك ـ وحِجْرٌ يومئذ بتهامة ـ وضربوا رسله ، وخرجوهم خرجا شديدا قبيحا •

فبلغ ذلك حجرا ، فسار اليهم بجند من ربيعة وقيس وكنانة ، فأتاهم وأخذ سراتهم ، فجعل يقتلهم بالعصا ، واباح الاموال وصيرهم الى تهامة ، آلى بالله ألا يساكنوهم فى بلد أبدا ، وحبس منهم عمرو بن مسعود الاسدى ، وكان سيدا ، وعبيد بن الابرص الشاعر ، فسارت بنو اسد ثلاثاً •

ثم ان عبيد بن الابرص قام فقال : أيها الملك اسمع مقالتى :

يا عــين فأبكى مــا بنى اســد فهم اهــل الندامة
اهــل القبــاب الحمــر والنعــم المؤبن والمدامــة
وذوى الجيــاد الجرد والا ســل المثقفــة المقامــة
حـلاً ابيت اللعن حـلاً ان فيمــا قلــت آمــه
فى كــل واد بــين يثــ رب فالقصور الى اليمامــة
تطريب عـان أو صياح محرق او صـوت هامــة
ومنعتهم نجـــدا فقــد حلوا عـلى وجل تهامــة
برمــت بنــو اســد كمـا برمت لبيضتهـا الحمامــة
جعلت لهــا عودين مــن نشم وآخــر من ثمامــة
امّــا تركتَ تركت عفــ ـواً او قتلت فلا ملامــة
انــتَ المليــك عليهــم وهــم العبيد الى القيامــة
ذلوا لسـوطك مثــل مــا ذل الأشيقر ذو الخِزامَــة

فرق لهم حجر حين سمع قوله ! فبعث فى أثرهم فأقبلوا ، حتى اذا كانوا عـلى مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم فقال لبنى أسد : من الملك الاصهب ، الغلاب غير المغلب ، فى الابل كأنها الربرب ، لا يقلق رأسه الصخب ؟ هذا دفه ينثعب ، وهذا غدا اول من يسلب .

قالوا : من هو ؟ قال : لولا ان تجيش نفس جاشية لاخبرتكم انه حجر .

فركبوا كل صعب وذلول ، فما اشرق لهم النهار ـ حتى أتو عـلى عسكر حجر فهجموا عـلى قبته ، وهزموا اصحابه واسروه فحبسوه ، وتشاور القوم فى قتله ، فقال لهم كاهن من كهنتهم بعد ان حبسوه ليروا رأيهم فيه : أى قوم ! لا تعجلوا بقتل الرجل حتى ازجرَ لكم .

فانصرف عن القوم لينظر فى قتله ، فلما رأى ذلك علباء بن الحارث الكاهلى خشيَ ان يتواكلوا فى قتله ، فدعا غلاما من بنى كاهل وكان ابن اخته ـ فقال : يا بنى ، أعندك خير فتثأر بأبيك ، وتنال شرف الدهر ، وان قومك لن يقتلوك ؟!

فلم يزل بالغلام حتى أقنعه ، ودفع اليه حديدة وقد شحذها وقال : ادخل عليه مع قومك ، ثم اطعنه فى مقتله •

فعمد الغلام الى الحديدة فخبأها ، ثم دخل على حجر فى قبته التى حبس فيها • فلما رأى الغلام غفلة وثب عليه فقتله ، فوثب القوم على الغلام فقالت بنو كاهل : ثأرنا وفى ايدينا !

فقال الغلام : انما ثأرت بأبى فخلوا عنه •

واقبل كاهنهم المزدجر فقال : أى قوم ! قتلتموه ! ملك شهر ، وذل دهر ، أما والله لا تحظون عند الملوك بعده أبدا •

ولما طعن الغلام حجرا ولم يجهز عليه ، اوصى ودفع كتابه الى رجل وقال له : انطلق الى ابنى نافع ـ وكان اكبر ولده ـ فأن بكى وجزع فأله عنه ، واستنفرهم واحدا واحدا ، حتى تأتى امرأ القيس ـ وكان اصغرهم ـ فأيهم لم يجزع فادفع اليه سلاحى وخيلى ووصيتى ، وبين فى وصيته من قتله ، وكيف كان خبره •

فانطلق الرجل بوصيته الى نافع ابنه فأخذ التراب فوضعه على رأسه ، ثم استفزهم واحدا واحدا ، فكلهم فعل ذلك ، حتى اتى أمرأ القيس فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويداعبه بالنرد ، فقال له : قُتل حجر ، فلم يلتفت الى قوله ، وامسك نديمه • فقال له امرؤ القيس : اضرب فضرب ، حتى اذا فرغ قال : ما كنت لافسد عليك لعبتك •

ثم سأل الرسول عن أمر ابيه كله ، فأخبره ، فقال : الخمر عليّ والنساء حرام ، حتى اقتل من بنى اسد مائة واجز نواحى مائة •

وكان امرؤ القيس قد طرده ابوه حجر ، وآلى ألا يقيم معه أَنفةً من قوله الشعر – وكانت الملوك تأنف من ذلك – فكان يسير فى احياء العرب ومعه اخلاط من شذاذ العرب : من طىء وكلب وبكر بن وائل ، فاذا صادف غديرا او روضة او موضع صيد اقام فذبح لمن معه فى كل يوم ، وخرج الى الصيد فتصيد فأكل واكلوا معه ، وشرب الخمر وسقاهم وغنته قيانه •

ولا يزال كذلك حتى ينفذ ماء ذلك الغدير ، ثم ينتقل عنه الى غيره• فأتاه خبر أبيه ومقتله وهو بدَمُّون من ارض اليمن فقال :

تطاول الليل علينا دمُّون   دمُّون انا معشر يمانون
وانا لاهلنا محبون

ثم قال : ضيعنى ابى صغيرا ، وحملنى دمه كبيرا • لا صحوَ اليوم ، ولا سكر غدا ، « اليوم خمر ، وغدا امر » ثم قال :

خليلى لا فى اليوم مصحىً لشارب   ولا فى غدٍ اذ ذاك ما كان يشرب

ثم شرب سبعا ، فلما صحا آلى ألا يأكل لحما ، ولا يشرب خمرا ، ولا يدهن بدهن ، ولا يصيب امرأة حتى يدرك بثأره ، فلما جنّه الليل رأى برقا ، فقال :

ارقت لبرق بليل أهلْ   يضيء سناه بأعلى الجبل
أتانى حديث فكذبته   بأمر تزعزع منه القُلل
بقتل بنى اسد ربهم   ألا كل شىء سواه جلل
فاين ربيعة عن ربها   وأين تميم وأين الخول
ألا يحضرون لدى بابه   كما يحضرون اذا ما أكلْ

وارتحل امرؤ القيس حتى نزل بكراً وتغلب ، فسألهم النصر ، وبعث العيون على بنى اسد ، فلما كان الليل قال لهم علباءُ : يا معشر بنى

أسد : تعلمون والله ان عيون امرىء القيس قد أتتكم ، ورجعت اليه بخبركم ، فأرحلوا بليل ، ولا تعلموا بنى كنانة ، ففعلوا .

واقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب ، حتى انتهى الى بنى كنانة وهو يحسبهم بنى اسد ، فوضع السلاح فيهم ، وقال : يا لثارات الملك ! يا لثارات الهمام ! فخرجت اليه عجوز من بنى كنانة فقالت : أبيت اللعن ! لسنا لك بثأر ، نحن من كنانة ، فدونك ثأرك فأطلبهم ، فان القوم ساروا بالامس .

فتبع بنى اسد ، فقال :

ألا يا لهف هند إثر قوم — هم كان الشفاء فلم يصابوا

وأدركهم ظهرا ، وقد تقطعت خيله ، وقطع أعناقهم العطش ، وبنو اسد جامون على الماء ، فنهد اليهم فقاتلهم ، حتى كثرت الجرحى والقتلى فيهم ، وحجز الليل بينهم ، وهربت بنو اسد .

فلما أصبحت بكر وتغلب أبوا أن يتبعوهم ، وقالوا له : قد أصبت ثأرك . قال : والله ما فعلت ولا اصبت من بنى كاهل ولا من غيرهم من بنى أسد أحدا . قالوا : بلى ، ولكنك رجل مشئوم ، وكرهوا قتالهم ، وانصرفوا عنه ، فمضى هاربا لوجهه حتى لحق بحمْيَر .

فاستأجر من قبائل العرب رجالا ، فسار بهم الى بنى اسد ، ومر بصنم للعرب تعظمه ، فأستقسم عنه بقداحه ، وهى ثلاثة : الآمر ، والناهى ، والمتربص . فأجالها فخرج الناهى ، ثم اجالها فخرج الناهى ، فجمعها فكسرها وضرب بها وجه الصنم ، وقال : لو أبوكَ قُتل ما عقتنى ، ثم خرج فظفر ببنى اسد .

وألح المنذر فى طلب امرىء القيس ، ووجه الجيوش فى طلبه من اياد وبهراء وتنوخ ، وأمده أنو شروان بجيش من الاساورة فسرحهم فى

طلبه ، فلم يكن لامرىء القيس بهم طاقة ، فتفرقت حِمْيَر ومن كان معه عنه ، فنجا فى عصبة من بنى آكل المرار ، ونـزل بعض رؤساء القبائـل يستجير بهم ، وصار يتحول عنهم الى غيرهم ، حتى نزل برجل من بنى فزارة يقال له عمرو بن جابر بن مازن ، فطلب منه الجوار ، حتى يرى ذات عيه •

فقال له الفزارى : يا بن حجر ، انى اراك فى خلل مـن قومك ، وأنا أنفسك بمثلك من اهل الشرف ، وقد كدت بالامس تؤكل فى دار طىء ، واهل البادية أهل وبر ، لا اهل حصون تمنعهم ، وبينك وبين اهل اليمن ذؤبان من قيس ، أفلا ادلك على بلد ! فقد جئتُ قيصرَ ، وجئتُ النعمان فلم أر لضيف نازل ولا لمجند مثله ولا مثل صاحبه •

قال : من هو ؟ وأين منزله ؟ قـال : السموءل بقيماء ، وهـو يمنع ضعفك حتى ترى ذات عيك ، وهو فى حصن حصين وحسب كبير •

فقال له امرؤ القيس : وكيف لي به ؟ قال : اوصلك الى من يوصلك اليـــه •

فصحبه الى رجل من بنى فزارة يقال له الربيع بن ضبع الفزارى ممن يأتى السموءل فيحمله ويعطيه •

فلما صار اليه قال له الفزارى : ان السموءل يعجبه الشعر ، فتعال نتناشد له اشعارا ، فقال امرؤ القيس : قل حتى اقول • فقال الربيع :

قـل للمنية أى حـــين نلتقى ... بفناء بيتك فى الحضيض المزلق
ولقد أتيت بنىالمصاص مفاخرا ... والى السموءل زرتـه بالابلقِ
فأتيت افضل من تحمل حاجة ... إن جئته فى غـارم او مرهق
عرفت لـه الاقوام كل فضيلة ... وحوى المكارم سابقا لم يسبقِ

فقال امرؤ القيس :

طرقتك هند بعد طول تجنبٍ ... وهناً ولم تكُ قبل ذلك تطرق

ثم مضى القوم حتى اقدموا على السموءل ، فأنشدو الشعر ، وعرف لهم حقهم ، ثم انه طلب اليه ان يكتب له الى الحارث بن ابى شمر الغسانى ليوصله الى قيصر .

ومضى حتى انتهى الى قيصر ، فقبَله واكرمه ، وكانت له عنده منزلة . ثم ان قيصر ضم اليه جيشا كثيفا ، فيه جماعة من أبناء الملوك ، فلما فعل قال لقيصر قوم من اصحابه : قولا شككته بنية امرىء القيس وخوفوه منه .

فبعث اليه حينئذ بحلة مسمومة منسوجة بالذهب ، وقال له انى ارسلت اليك بحلتى التى كنت البسها تكرمةً لك ، فاذا وصلت اليك فألبسها باليمن والبركة ، واكتب اليّ بخبرك من منزل الى منزل .

فلما وصلت اليه لبسها ، واشتد سروره بها ، فأسرع فيه السم وسقط جلده ، فقال :

لقد طمح الطماح من بعد ارضه ليلبسنى مما يلبس أبْؤساً
فلو انها نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط أنفُساً

فلما صار الى بلدة من بلاد الروم تدعى انقره احتضر بها فقال :

رب جفنة متغنجرة وطعنة مستحضرة
تبقى غدا بأنقره

ورأى قبر امرأة من ابناء الملوك ماتت هناك ، فدفنت فى سفح جبل يقال له : عَسيب ، فسأل عنها فأخبر بقصتها ، فقال :

عاذلتى إن المزار قريب وإنى مقيم ما أقام عسيبُ
اجارتنا إنا غريبان ها هنا وكل غريب للغريب نسيب

ثم مات ودفن هناك .

٥ ـ فى يوم اليرموك :

شهد اليرموك الف رجل من اصحاب رسول الله فيهم مائة من اهل بدر ، وكان ابو سفيان يسير فيقف على الكراديس فيقول : الله الله انكم ذادة العرب وانصار الاسلام ، وانهم ذادة الروم وانصار الشرك ، اللهم ان هذا يوم من ايامك ، اللهم انزل نصرك على عبادك .

وأمر خالد" عكرمة والقعقاع ، فأنشبا القتال ، وارتجز القعقاع وقال :

يا ليتنى القاك فى الطراد قبل اعتزام الجحفل الورّاد

وقال عكرمة :

قد علمت بفكتى الجوارى أنى على مكرمة أحامى

فنشب القتال ، والتحم الناس ، وتطارد الفرسان ، فبينما هم على ذلك اذ قدم البريد من المدينة فأخذته الخيول ، وسألوه الخبر ، فلم يخبرهم إلا بسلامة ، وأخبرهم عن امداد ، وانما جاء بموت ابى بكر رحمه الله ، وتأمير أبى عبيدة !

فأبلغوه خالدا فأخبروه خبر أبى بكر اسرّه اليه ، واخبره بالذى أخبر به الجند ، فقال : احسنت فقف وأخذ الكتاب ، وجعله فى كنانته ، وخاف إن هو أظهر ذلك ان ينتشر له امر الجند ، فوقف محمية بن زنيم مع خالد ـ وهو الرسول ـ وخرج جرجة حتى كان بين الصفين ، ونادى ليخرج الى خالد !

فخرج اليه خالد ، وأقام ابا عبيدة مكانه ، فواقفه بين الصفين حتى اختلفت اعناق دابتهما ، وقد أمن احدهما صاحبه ، فقال جرجة : يا خالد ، اصدقنى ولا تكذبنى فأن الحر لا يكذب ، ولا تخادعنى فان الكريم

لا يخادع ، هل انزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاكه فلا تسله على قوم إلا هزمتهم ، قال : لا ! قال : فيما سميت سيف الله ؟ قال : ان الله عز وجل بعث فينا نبيه ، فدعانا فنفرنا عنه ، وتأبينا جميعا ، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه ، وبعضنا باعده وكذبه ، فكنت فيمن كذبه وباعده وقاتله ، ثم ان الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به فتابعناه ، فقال : انت سيف من سيوف الله سلّه الله على المشركين ، ودعا لي بالنصر ، فسميت سيف الله بذلك ، فأنا من أشد المسلمين على المشركين ، قال صدقتني !

ثم اعاد اليه جرجة : يا خالد ، اخبرني إلام تدعوني ؟ قال : الى شهادة أن لا اله إلا الله ، وان محمدا عبده ورسوله ، والاقرار بما جاء به من عند الله ، قال : فمن لم يجبكم ؟ قال فالجزية ونمنعه ! قال : فان لم يعطها ؟ قال نؤذنه بحرب ثم نقاتله ! قال : فما منزلة الذى يدخل فيكم ويجيبكم الى هذا الامر اليوم ؟ قال : منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا •

ثم أعاد عليه جرجة : هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالد مثل ما لكم من الاجر والذخر ؟ قال : نعم وأفضل • قال : وكيف يساويكم وقد سبقتموه ؟

قال : انما دخلنا فى هذا الامر ، وبايعنا نبينا وهو حى بين اظهرنا تأتيه اخبار السماء ، ويخبرنا بالكتب ، ويرينا الآيات ، وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا ان يسلم ويبايع ، وانكم انتم لم تروا ما رأينا ، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج ، فمن دخل فى هذا الامر بحقيقة ونية كان افضل منا •

قال جرجة : بالله لقد صدقتنى ولم تخادعنى ولم تألفنى ؟• قال : با الله لقد صدقتك وما بى اليك ولا الى احد منكم وحشة ، وان الله لو لي

ما سألت عنه • فقال : صدقتني وقلب الترس ومال مع خالد ،وقال: علمني الاسلام ، فمال به خالد الى فسطاطه فشف عليه قربة من ماء وصلى ركعتين !

٦ - في يوم القادسية :

كان ابو محجن الثقفي قد اتهم بشرب الخمرة فنفاه سيدنا عمر رضى الله عنه ، الى جزيرةفيالبحر ، وبعث معه حرسا ، فهرب منهم ولحق بسعد بن ابى وقاص ، وهو في حربه مع الفرس ـ وكانت حرب القادسية المعركة التى غيرت مجرى تاريخ العروبة في بلاد الشرك •

ولما بلغ عمر خبر هروبه كتب الى سعد بحبسه ، فحبسه في القصر، وتطلع ابو محجن الى الحرب ، فرآها مشتعلة ، فطلب الى سلمى بنت ابى حفص زوج سعد ، فقال لها : هل لك في خير ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال تخلين عني وتعيرنني البلقاء ولامة حرب سعد ، فا الله عليّ ان سلمني الله ان ارجع اليك حتى تضعى رجلى في قيدى ، فقالت : وما انا وذاك ؟ فرجع يرسف في قيوده ، ويقول :

كفى حَزَناً ان ترتدىالخيل بالقنا ... وأترك مشدودا عليّ وثاقيا
اذا قمت عنانى الحديد وغلّقت ... مصاريع من دونى تصم المناديا
وقد كنت ذا مال كثير واخوةٍ ... فقد تركونى واحدا لا أخا ليا
وقد شفجسمى اننىكل شارفٍ ... اعالج كبلا مصمتاً قد برانيا
فلله دَرّى يوم أترك موثقا ... وتذهل عنى اسرتى ورجاليا
حبيساً عنالحرب العوان وقد بدت ... وإعمال غيرى يوم ذاك العواليا
ولله عهد لا أخيسُ بعهده ... لئن فرجت ألا ازور الحوانيا

فقالت له سلمى : انى قد استخرت الله ورضيت بعهدك واطلقته • فاقتاد ابو محجن الفرس ، وأخرجها ثم ركبها ، ودب عليها ، وفي ذلك

اليوم أظهر من شجاعته عجبا . ولما تحاجز أهل العسكرين أقبل ابو محجن حتى دخل القصر ، ووضع نفسه عن دابته ، وأعاد رجليه في القيد وقال :

لقد علمت ثقيف غير فخرٍ ... بأنا نحن اكرمهم سيوفا
واكثرهم دروعا سابقاتٍ ... واصبرهم اذا كرهوا الوقوفا
فأن احْبَسْ فقد عرفوا بلائى ... وان اطلق اجرعهم حتوفا

فقالت له سلمى : يا أبا محجن ، فى أى شىء حبسك هذا الرجل ؟ فقال : اما والله ما حبسنى بحرام اكلته ولا شربته ، ولكنى كنت صاحب شراب فى الجاهلية ، وانا امرؤ شاعر ، يدب الشعر على لسانى ، فينفثه احيانا ، فحبسنى لانى قلت :

اذا مت فأدفنى الى اصل كرمة ... تروى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفننى بالفلاة فأننى ... اخاف اذا ما مت أن لا أذوقها

فذهبت الى سعد واخبرته خبر ابى محجن ، فدعا به واطلقه ، وقال : اذهب فما أنا مؤخذك بشىء تقوله حتى تفعله ، فقال والله لا أجبت لسانى الى قبيح ابدا .

٧ ـ فى فتح نهاوند :

بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه السائب بن الاقرع مولى ثقيف ، وكان رجلا كاتبا حاسبا ، فقال الحق بهذا الجيش ـ جيش المسلمين بنهاوند ـ فكن فيهم ، فان فتح الله عليهم فأقسم على المسلمين فيئهم ، وخذ خمس الله وخمس رسوله ، وان هذا الجيش اصيب فأذهب فى سواد الارض فبطن الارض خير من ظهرها .

قال السائب : فلما فتح الله على المسلمين نهاوند اصابوا غنائم عظاما ، فوالله انى لاقسم بين الناس اذ جاءنى علج من اهلها ، فقال : أتؤمننى على

نفسى واهلى واهل بيتى عـلى أن ادلك على كنوز آل كسرى ، تكون لك ولصاحبك ولا يشركك فيها احد ؟ قال : قلت نعم ! قال : فابعث معى من ادله عليها • فبعثت معه احد رجالى فأتى بسفطين عظيمين ليس فيهما إلا اللؤلؤ والزبرجد والياقوت •

فلما فرغت من قسمى بين الناس احتملتهما معى ، ثم قدمت على عمر ابن الخطاب فقال : ما وراءك يا سائب ؟ فقلت : خيرا يا أمير المؤمنين ، فتح الله عليك بأعظم الفتح ، واستشهد النعمان بن مُقرّن رحمه الله ، فقال عمر : انا لله وانا اليه راجعون ، فبكى حتى نشج •

فلما رأيت ذلك قلت : والله يا أمير المؤمنين ما أصيب بعده من رجل يعرف وجهه !

ثم قام ليدخل المسجد فقلت : ان معى مالا عظيما قد جئت به ، ثم اخبرته خبر السفطين ، فقال : ادخلهما بيت المال حتى ننظر فى شأنهما ، والحق بجندك ، فأدخلتهما بيت المال ، وخرجت سريعا الى الكوفة •

قال : وبات تلك الليلة التى خرجت فيها ، فلما اصبح بعث بى أثرى رسولا فوالله ما أدركنى حتى دخلت الكوفة ، فأنخت بعيرى واناخ بعيره على عرقوبى بعيرى ، فقال : الحق بأمير المؤمنين ، فقد بعثنى فى طلبك ، فلم اقـدر عليك إلا الآن ! قلت : ويلك ، ماذا ؟ ولماذا ؟ قال : لا ادرى والله •

فركبت معه حتى قدمت عليـــه ، فلما رآنى قال : مالي ولابن ام السائب ؟ بل ما لابن ام السائب وما لي ؟ قلت : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال ويحك ! والله ما هو الا ان نمت فى الليلة التى خرجت فيهـــا فباتت ملائكة ربى تسحبنىالى ذينك السفطين يشتعلان نارا ، يقولون : لنكوينك بهمـا ، فأقول : انى سأقسمهما بين المسلمين ، فخذهـا عنى لا أبا لك ،

والحق بهما فبعهما فى اعطية المسلمين وارزاقهم !

قال : فخرجت بهما حتى وضعتهما فى مسجد الكوفة ، فابتاعهما منى عمرو بن حُريث المخزومى بألفى ألف ، ثم خرج بهما الى أرض الاعاجم فباعهما بأربعة آلاف ألف .

٨ ـ فى فتح بيت المقدس :

لما تكامل للمسلمين فتوح الشام ، واقاموا على دمشق شهرا ، جمع قائدهم ابو عبيدة امراء المسلمين واستشارهم فى المسير الى قيسارية او الى بيت المقدس ، قال معاذ بن جبل : أيها الامير ، اكتب الى امير المؤمنين عمر بما أمرك فامتثله . فقال له أصبت الرأى يا معاذ .

ثم كتب الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعلمه بذلك، وارسل الكتاب مع عرفجة ابن ناصح النخعى ، فسار حتى وصل الى المدينة ، فسلم الكتاب الى عمر .

فقرأه على المسلمين واستشارهم ، فقال عليّ بن أبى طالب : يا أمير المؤمنين ، مُرْ صاحبك ينزل بجيوش المسلمين الى بيت المقدس ، فاذا فتح الله بيت المقدس ، حرف وجهه الى قيسارية ، فانها تفتح بعدها ان شاء الله .

فدعا عمر بدواة وكتب . « بسم الله الرحمن الرحيم . من عمر بن الخطاب الى عامله بالشام أبى عبيدة .

اما بعد ، فانى احمد اليك الله الذى لا اله اِلا هو ، واصلى على نبيه. وقد وصل اِليّ كتابك تستشيرنى الى أى ناحية تتوجه ؟

وقد اشار ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسير الى بيت المقدس ، فان الله يفتحها على يدك ، والسلام » .

ولما وصل الكتاب الى أبى عبيدة قرأه على المسلمين ، ففرحوا بالمسير

الى بيت المقدس ، وتقدم الجيش اليها ، وأقام المسلمون فى القتال عشرة أيام ، واهل بيت المقدس يظهرون الفرح وعدم الخوف •

فلما كان اليوم الحادى عشر اشرفت عليهم راية ابى عبيدة وخالد عن يمينه وعبدالرحمن بن ابى بكر عن يساره ، فضجّ الناس بالتهليل والتكبير ، ووقع الرعب فى قلوب اهل بيت المقدس ، فاجتمعوا فى البيعة المعظمة عندهم •

فلما وقفوا بين يدى البطرك قال لهم : ما هذه الضجة التى أسمع ؟ قالوا : قد قَدِمَ امير المؤمنين ببقية المسلمين •

فلما سمع ذلك تربد وجهه ، وقال : إنّا وجدنا فى علمنا الذى ورثناه : بأن الذى يفتح الارض هو الرجل الاحمر ، صاحب نبيهم محمد• فان كان قَدِمَ عليكم فلا سبيل الى قتاله ، ولا بد ان أُشرف عليه ، وانظر الى صفته ، فان كان هو اجبته الى ما يريد ، وان كان غيره فلا بأس عليكم •

ثم وثب قائما والقسس والرهبان من حوله ، وقد رفعوا الصلبان على رأسه ، فصعدوا الى السور الى ان ورد ابو عبيدة ، فناداهم رجل من الروم : يا معشر المسلمين ، كفوا عن القتال حتى نسألكم !

فأمسك المسلمون عنهم فناداهم بلسان عربى : اعلمو ان الرجل الذى يفتح بلدتنا هذه صفته عندنا ، فان كانت فى اميركم لم نقاتلكم ، بل نسلم اليكم ،وان لم تكن هذه صفته فلا نسلم اليكم ابدا •

فأعلم المسلمون أبا عبيده بذلك ، فخرج ابو عبيدة اليهم الى أن حاذاهم ، فنظر اليه البطرك مليا ، ثم قال : ليس هو الرجل ، فابشروا وقاتلوا عن دينكم وحريمكم •

وكان نزول المسلمين على بيت المقدس فى فصل الشتاء والبرد ،

فأقاموا اربعة اشهر فى أشد قتال .

فلما نظر اهل بيت المقدس الى شدة الحصار ورأوا ما حل بهم من المسلمين ، وقفوا بين يدى البطرك ، وقالوا : قد عظم الامر ، ونريد منك أن تشرف على القوم وتسأل ما الذى يريدون ؟ فان كان امرا صعبا فتحنا الابواب ، وخرجنا اليهم ، فاما ان نقتل عن آخرنا او نهزمهم عنا .

فاجابهم البطرك الى ذلك ، وصعد فى السور ، واجتمع القيسيسون والرهبان حوله ، ونادى رجل : يا معشر الفرسان ، عمدة دين النصرانية قد اقبل يخاطبكم ، فليدنُ منا أميركم .

فقام ابو عبيدة يمشى، ومعه جماعة من اصحاب رسول الله فلما وقف بازائهم قال : ما الذى تريدون ؟ قال البطرك : انكم لو اقمتم علينا عشرين سنة لم تصلوا الى فتح بلدتنا ، وانما يفتحها رجل ليس معكم .

قال : ابو عبيدة ، وما صفة من يفتح بلدكم ؟ قال : لا نخبركم بصفته ولكن قرأنا ان هذا البلد يفتحه صاحب لمحمد يعرف بالفاروق لا تأخذه فى الله لومة لائم ، ولسنا نرى صفته فيكم .

فلما سمع ابو عبيدة كلام البطرك تبسم وقال : فتحنا البلد ورب الكعبة ! ثم اقبل البطرك وقال : ان رأيت الرجل تعرفه ؟ قال نعم ! وكيف لا اعرفه ؟

قال ابو عبيدة : هو والله خليفتنا وصاحب نبينا ! قال : فاذا كان الامر على ما ذكرت فاحقن الدماء ، وابعث الى صاحبك ، فاذا رأيناه وتبينا نعته فتحنا له البلد ، واعطيناه الجزية .

فانصرف ابو عبيدة وامر الناس بالكف عن القتال . وكتب الى عمر يعلمه الخبر ، فلما وصل اليه الكتاب قرأه على المسلمين ، وقال : ما ترون – رحمكم الله – فيما كتب الينا أبن الامة ، فكان اول من تكلم عثمان بن

عفان ، فقال : يا أمير المؤمنين ان الله قد اذل الروم ، فان انت اقمت ولم تسر علموا انك بأمرهم مستخف فلا يلبثون الا يسيرا •

فلما سمع عمر ذلك من عثمان جزاه خيرا ، وقال : هل عند احد منكم رأى غير هذا ؟ فقال عليّ بن ابى طالب : نعم ! عندى غير هذا الرأى وانا ابديه اليك • فقال له عمر : وما هو يا أبا الحسن ؟ قال . ان القوم قد سألوك ، وفى سؤالهم ذلّ ، وهو على المسلمين فتح ، وقد اصابهم جهد عظيم ، من البرد والقتال ، وطول المقام ، وان سرت اليهم فتح الله على يديك هذه المدينة ، وكان فى مسيرك الاجر العظيم ولست آمن منهم اذا يئسوا منكم أن يأتيهم المدد من طاغيتهم فيحصل للمسلمين بذلك الضرر فالرأى أن تسير اليهم •

فقال عمر : لقد احسن عثمان النظر فى المكيدة للعدو ، واحسن عليّ النظر للمسلمين جزاهما الله خيرا • ولست آخذ إلا فى مشورة علي ، فما عرفناه الا عمود المشورة ميمون الطلعة •

ثم ان عمر أمر الناس ان يأخذوا الاهبة للمسير معه ، واستخلف على المدينة عليّ بن ابى طالب ، وخرج على بعير له احمر عليه غزارتان فى احداهما سويق وفى الاخرى تمر وبين يديه قربة ماء وخلفه جفنة للزاد •

وسار الى ان اقبل على بيت المقدس ، فتلقاه ابو عبيدة ، فلما رآه اناخ قلوصه ، واناخ عمر بعيره ، وترجلا ، ومد ابو عبيدة يده وصافح عمر ، واقبل المسلمون يسلمون على عمر ، ثم ركبوا جميعا الى أن نزلوا• فصلى عمر صلاة الفجر ، ثم خطبهم ، فلما فرغ من خطبته جلس وابو عبيدة يحدثه بما لقى من الروم الى ان حضرت صلاة الظهر ! فاذن بلال فى ذلك اليوم ، فلما قال الله اكبر خشعت جوارحهم واقشعرت ابدانهم ،

وحينما قال : اشهد ان لا إله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله • بكى الناس بكاءاً شديدا عند ذكر الله وذكر رسوله ، فلما فرغ من الاذان صلى عمر ، وجلس ، ثم امر القوم بالركوب •

وركب هو ـ وكانت عليه مرقعة من الصوف ـ فقال المسلمون : يا أمير المؤمنين لو ركبت غير بعيرك هذا جوادا ، ولبست ثيابا لكان ذلك اعظم لهيبتك في قلوب اعدائك ! واقبلوا يسألونه ، ويتلطفون له الى ان أجابهم الى ذلك ، ونزع مرقعته ، ولبس ثيابا بيضاء ، وطرح على كتفيه منديلا من الكتان دفعه اليه ابو عبيده ، وقدم له برذونا اشهب من براذين الروم •

فلما صار عمر فوقه جعل البرذون يهجلج به ، فلما نظر الى ذلك نزل مسرعا وقال : اقيلوني اقال الله عثراتكم يوم القيامة ، لقد كاد أميركم يهلك مما داخله من الكبر •

ثم انه نزع ثيابه وعاد الى لبس مرقعته ، وركوب بعيره ، فعلت ضجة المسلمين ، فقال البطرك لقومه : انظروا ما شأن المسلمين •

فأشرف رجل منهم ، فقال : يا معشر العرب ! ما شأنكم ؟ قالوا : ان عمر ابن الخطاب قد قدم الينا ، فرجع هذا واعلم البطرك ، فاطرق ولم يتكلم •

فلما كان الغد صلى عمر بالمسلمين ، ثم قال لابى عبيدة ، تقدم الى القوم واعلمهم انى قد أتيت •

فخرج ابو عبيدة وصاح بهم : ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب قد أتى ، فما تصنعون ؟ قال البطرك : قل له يدنو منى ، فانا نعرفه بصفاته ونعته ، وافردوه من بينكم حتى نراه •

فرجع ابو عبيدة الى عمر ، فاخبره بما قال : فهمّ عمر بالقيام ،

فقال له بعض اصحابه : يخشى عليك من الانفراد بلا عدة •

فقال عمر : لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا ، هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون • ثم لبس مرقعته وركب بعيره ، وأبو عبيدة سائر بين يديه الى ان أتى بازاء البطرك قريبا من الحصن •

فقال ابو عبيدة : هذا أمير المؤمنين ! فأخرج البطرك عنقه ونظر اليه فزعق وقال : هذا والله الذى صفته بكتبنا •

ثم قال : يا أهـل بيت مقدس ، انزلوا اليـه ، وخذوا منه الامان والذمة ، فهذا والله صاحب محمد • فنزلوا مسرعين ، وكانت انفسهم قد ضاقت من شدة الحصار ، وفتحوا الباب وخرجوا الى عمر يسألونه العهد•

فلما رآهم عمر على تلك الحالة خر لله ساجدا على قتب بعيره ، ثم اقبل عليهم وقال : ارجعوا الى بلدكم ولكم العهد •

فرجع القوم الى البلد ، ولم يغلقوا الابواب ، ورجع عمر •

فلما كان الغد دخل عمر القدس ، وخط بها محرابا واقر اهلها على عهدهم واداء الجزية فيهم ، وادركته صلاة العصر فصلاها خارج الكنيسة لئلا يتخذها المسلمون مسجدا واختط المسجد الحالى مكانَ صلاته •

٩ ـ عند ملك الصين :

وغل قتيبة بن مسلم الباهلى فى بلاد الشرق حتى قرب من الصين ! فكتب اليه ملك الصين : أن إبعث الينا رجلا من الشرق ممن معكم يخبرنا عنكم ونسأله عن دينكم • فانتخب قتيبة من عسكره اثنى عشر رجلا ، لهم جمال واجسام والسن وشعور ، وبأس عظيم ، فكلمهم قتيبة وفاطنهم فرأى عقولا وجمالا ، فأمر لهم بعدة حسنة من السلاح والمتاع الجيد من الوشى والرقيـق والبغال وغيره ، وحملهم عـلى خيول مطهمة تقاد معهم ودواب يركبونها •

وكان هبيرة الكلابى مفوها ، فقال له : يا هبيرة ، كيف أنت صانع ؟ قال : اصلح الله الامير ! قل ما شئت اقله وآخذ به ، قال : سيروا على بركة الله وبالله التوفيق ، لا تضعوا العمائم عنكم حتى تقدموا البلاد ، فاذا دخلتم عليه فاعلموه انى قد حلفت ألا انصرف حتى أطأ بلادهم ، واجبى خراجهم .

فساروا وعليهم هبيرة الكلابى ، فلما قدموا أرسل اليهم ملك الصين يدعوهم ، فدخلوا الحمام ثم خرجوا فلبسوا ثيابا بيضا تحتها الغلائل ، ولبسوا النعال والاردية ، ودخلوا عليه ، وعنده عظماء اهل مملكته فجلسوا فلم يكلمهم الملك ولا أحد من جلسائه فنهضوا وانصرفوا .

فقال الملك لمن حضره : كيف رأيتم هؤلاء ؟ قالوا : رأينا قوما ما هم الا نساء ، ما بقى أحد منا حتى رآهم الا وجد رائحتهم .

فلما كان الغد أرسل اليهم ، فلبسوا الوشى وعمائم الخز والمطارف ، وغدوا عليه فلما دخلوا عليه قيل لهم : ارجعوا ، فرجعوا ، فقال لاصحابه: كيف رأيتم هذه الهيئة ؟ قالوا : هذه الهيئة أشبه بهيئة الرجال من تلك الاولى وهم اولئك .

فلما كان اليوم الثالث أرسل اليهم فشدوا عليهم سلاحهم ، ولبسوا البيض والمغافر وتقلدوا السيوف ، وأخذوا الرماح ، وتنكبوا القسىّ ، وركبوا خيولهم وغدوا فنظر اليهم صاحب الصينى فرأى أمثال الجبال مقبلة ، فلما دنوا ركزوا رماحهم ، ثم أقبلوا نحوهم مشمرين ، فقيل لهم قبل أن يدخلوا : ارجعوا ، لما دخل قلوبهم من خوفهم .

فانصرفوا فركبوا خيولهم ، وحملوا رماحهم ، ثم دفعوا خيولهم كأنهم يتطاردون بها ، فقال الملك لاصحابه : كيف ترونهم ؟ قالوا : ما رأينا مثل هؤلاء قط .

فلما أرسل اليهم الملك أن ابعثوا الى زعيمكم وأفضلكم ، فبعثوا اليه هبيرة • فقال له : حين دخل عليه : قد رأيتم عظيم ملكى ، وانه ليس أحد يمكنكم منى ، وأنتم فى بلادى ، وانما أنتم بمنزلة البيضة فى كفى ، وأنا سائلك عن أمر فان لم تصدقنى قتلتكم ، قال : سل ، قال : لما صنعتم ما صنعتم من الزى فى اليوم الاول والثانى والثالث ؟ قال : أما زينا الاول فلبسنا عند أهالينا وريحنا عندهم ، وأما يومنا الثانى ، فنلبسه اذا أتينا امراءنا ، وأما زينا فى اليوم الثالث ، فزينا لعدونا ، فاذا هاجنا هيج وفزع كنا هكذا ، قال : ما أحسن ما صنعتم ، فانصرفوا الى صاحبكم فقولوا له : ينصرف فانى قد عرفت حرصه وقلة أصحابه ، والا بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه •

قال له : كيف يكون قليل الاصحاب من أول خيله فى بلادك وآخرها فى منابت الزيتون ؟ وكيف يكون حريصا من خلف الدنيا قادرا عليها وغزاك ؟ وأما تخويفك ايانا بالقتل فانا لنا آجالا اذا حضرت فأكرمها القتل • فلسنا نكرهه ولا نخافه •

قال : فما الذى يرضى صاحبك ؟ قال : انه قد حلف الا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويعطى الجزية ، قال : فانا نخرجه من يمينه فنبعث اليه بتراب من تراب أرضنا فيطأوه ، ونبعث اليه بجزية يرضاها ، ثم دعا بصحاف من ذهب فيها تراب وبعث بحرير وذهب ، ثم جزاهم فأحسن جوائزهم ، فساروا فقدموا بما بعث به ، فقبل قتيبة الجزية ووطىء التراب •

١٠ ــ وامعتصماه ــ فتح عموريا ــ :

وقف رجل على المعتصم بن الرشيد فقال : يا أمير المؤمنين ، كنت بعمورية وجارية من أحسن النساء سيرة ، قد لطمها علج فى وجهها ،

فنادت : وامعتصماه ! فقال لها العلج : وما يقدر عليه المعتصم ؟ يجيء على أبلق وينصرك ! وزاد فى ضربها .

فقال المعتصم : وفى أى جهة عمورية ؟ فأشار الرجل الى جهتها قائلا : ها هى ذى فرد المعتصم وجهه اليها ، وقال : لبيك ، لبيك أيتها الجارية لبيك هذا المعتصم بالله أجابك . ثم تجهز اليها فى اثنى عشر الف فرس أبلق ، وحاصرها .

ولما طال مقامه عليها جمع المنجمين فقالوا له : انا نرى انك لا تفتحها الا فى زمان نضج فيه العنب والتين ، فشق عليه ذلك واغتم ، وخرج ليلة مع بعض حشمه متجسسا فى العسكر يسمع ما يقول الناس فمر بخيمة حداد يضرب نعال الخيل ، وبين يديه غلام أقرع قبيح الصورة ، وهو يضرب على السندان ويقول : فى رأس المعتصم ! فقال له معلمه ، اتركنا من هذا ، مالك وللمعتصم ؟ فقال : ما عنده تدبير ، له كذا وكذا يوما على هذه المدينة مع قوته ولا يفتحها ، لو أعطانى الامر ما بات غدا الا فيها .

فتعجب المعتصم مما سمع ، وترك بعض رجاله موكلا به ، وانصرف الى خبائه ، فلما أصبح جاؤه به ، فقال : ما حملك يا هذا على ما بلغنى عنك ؟ فقال الرجل ؟ الذى بلغك حق ، ولو وليتنى الحرب فانى أرجو أن يفتح الله عليك ، فقال : قد وليتك وخلع عليه وقدمه على الحرب ، ففتح الله عليه ، ودخل المعتصم المدينة ولم يثبت قول المنجمين .

ثم دعا بالرجل الذى بلغه حديث الجارية : فقال له : سر بى الى الموضع الذى رأيتها فيه ، فسار به ، وأخرجها من موضعها ، وقال لها : يا جارية : هل أجابك المعتصم ؟ ثم ملكها العلج الذى لطمها ، والسيد الذى كان يملكها وجميع ماله .

أخلاق العرب وأحلامهم

قدمنا لك أيها القارىء الكريم فى الفصول السابقة نماذج من صفات العـرب وميزاتهم على اقرانهم من امم الارض ونحن ندرج لك فيما يلى نماذج من تلك الاخلاق •

١ ــ العرب أعقل الامم :

قال شبيب بن شيبة أحد بلغاء العرب وجليس الملوك كنا وقوفا فى المربد ــ وهــو محل فى البصرة تعرض فيــه الابل للبيع ــ وكان المربد مألف الاشراف اذ أقبل ابن المقفع ، وبدأناه بالسلام فرد علينا السلام ثم قال : لو ملتم الى دار نيروز وظلها الظليل ، وسورها المديد ، ونسيمهـا العجيب ، فعودتم أبدانكم تمهيد الارض ، وأرحتم دوابكم من جهــد الثقــل ، فان الذى تطلبونــه لم تفلتوه ، ومهمـا قضـى الله لكم من شىء تنالوه •

فقبلنا وملنا ، ولما استقر بنا المكان قال لنا : أى الامم أعقل ؟ فنظر بعضنا الى بعض ، فقلنا : لعله أراد أصله من فارس ، فقلنا ، فارس ، فقال: ليسوا بذلك انهم ملكوا كثيرا من الارض ، ووجدوا عظيما من الملك ، وغلبوا على كثير من الخلق ، ولبث فيهم عقد الامر ، فمـا استنبطوا شيئا بعقولهم ، ولا ابتدعوا باقى حكم فى نفوسهم •••

قلنا : فالروم ، قال : أصحاب صنعة • قلنا : فالصين ، قال : أصحاب طرفة • قلنا فالهند ، قال : أصحاب فلسفة ، قلنا : فالسودان قال : شر خلق الله ، قلنا : فالترك ، قال : كلاب مختلسة ، قلنا : فالخزر ، قال : بقر سائمة ، قلنا : فقل ، قال : العرب • فضحكنا جميعا ، فقال : اما أنى ما أردت موافقتكم ، ولكن اذا فاتنى حظى من النسب ، فلا يفوتنى حظى من المعرفة ، ان العرب حكمت على غير مثال لها ، ولا آثار أثرت ، أصحاب

ابل وغنم ، وسكان شعر وادم ، يجود أحدهم بقوته ، ويتفضل بمجهوده، ويشارك فى ميسوره ومعسوره ، ويصف الشيء بعقله فيكون قدوة ، ويفعله فيصير حجة ، ويحسن ما شاء فيحسن ، ويقبح ما شاء فيقبح ، أدبتهم أنفسهم ، ورفعتهم هممهم وأعلتهم قلوبهم وألسنتهم ، فلم يزل حباء الله فيهم ، وحباؤهم فى أنفسهم ، حتى رفع لهم الفخر ، وبلغ بهم أشرف الذكر ، وختم لهم بملكهم الدنيا على الدهر ، وافتتح دينه وخلافته بهم الى الحشر ، وفيهم قال سبحانه وتعالى : (ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) .

فمن وضع حقهم خَسِر، ومن أنكر فضلهم خصم - غلب بالحجة - ودفع الحق باللسان أكبت للجنان، والله المستعان ومنه نستلهم الهدى الى ما فيه صلاح ديننا ودنيانا .

٢ - بنت حاتم طى : -

قال علي بن أبي طالب - عليه السلام - يا سبحان الله ! ما أزهد كثيرا من الناس فى الخير ! عجبت لرجل يجيئه أخوه فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا ! فلو كنا لا نرجو جنة ولا نخاف نارا ، ولا نخشى عقابا لكان ينبغى لنا أن نطلب « مكارم الاخلاق » فانها تدل على سبيل النجاة .

فقام اليه رجل فقال : فداك أبى وامى يا أمير المؤمنين ! اسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، وما هو خير منه ، لما أتينا بسبايا طى ، كانت فى النساء جارية حماء - سوداء - حوراء العينين ، لعساء - سوداء مشربة بالحمرة - لمياء - سحرة فى الانف - عيطاء - طويلة العنق - شماء الانف معتدلة القامة .

فلما رأيتها اعجبت بها ، فقلت : لاطلبنها الى رسول الله صلى الله

عليه وسلم ليجعلها من فيئى ، فلما تكلمت انسيت جمالها لما سمعت من فصاحتها ، قالت : يا محمد ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فان رأيت أن تخلى عنى ، فلا تشمت بى أحياء العرب ، فانى بنت سيد قومى ، كان أبى يفك العانى ، ويحمى الذمار ، ويقرى الضيف ، ويشبع الجائع ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويفشى السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط ، أنا بنت حاتم طى ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ! يا جارية ، هذه صفات المؤمن ، ولو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه ، خلوا عنها ، فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق .

٣ ـ العطف والتراحم : ـ

كانت الخيزران أم الهادى والرشيد فى دارها وعندها امهات أولاد الخلفاء وغيرهم من بنات بنى هاشم ، فبينما هى كذلك اذ دخلت عليها جارية ، فقالت : أعز الله السيدة ، بالباب امرأة ذات حسب وجمال فى أطمار رثة ، وليس وراء ما هى عليه من سوء الحال غاية ، تأبى أن تخبر باسمها وهى تروم الدخول .

فقالت الخيزران للجارية : أدخليها ، فانه لابد من فائدة أو ثواب فدخلت امرأة ذات حسن وجمال فى أطمار رثة ، فوقفت بجنب عضادة الباب ، ثم سلمت فتكلمت فأوضحت عن بيان ولسان ، فقالوا لها : من أنت ؟ .

فقالت : أنا مزنة زوج مروان بن محمد ، وقد أضارنى الدهر الى ما ترين ، ووالله ما الاطمار الرثة التى عليّ الا عارية ، وانكم لما غلبتمونا على هذا الامر ، وصار لكم دوننا لم نأمن من مخالطة العامة ـ ما نحن فيه من الضرر ـ على بادرة الينا تزيل موضع الشرف فقصدناكم لنكون فى حجابكم على أية حال كانت ، حتى تأتى دعوة من له الدعوة .

فلما سمعت الخيزران قولها ، اغرورقت عيناها بالدموع لان عاطفة القربى قد الهبت قلبها بالعطف والحنو فراحت عيناها تذرف الدمع سخيا غزيرا وأشارت الى جارية من جواريها ، فعدلت بها الى بعض مقاصير القصر وأمرت بتغيير حالها والاحسان اليها .

فلما دخل المهدى على الخيزران قصت عليه قصة مزنة وما أمرت به من تغيير حالها ، فدعا المهدى بالجارية التى أصلحت حالها وسألها فقال: لما رددتيها الى المقصورة ما الذى سمعتيها تقوله ؟ قالت : سمعتها تقرأ وهى تبكى « ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ، فكفرت بانعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » . فقال المهدى للخيزران : والله لو لم تفعلى بها ما فعلت ، ما كلمتك أبدا . وبكى بكاء كثيرا وقال : اللهم انى أعوذ بك من زوال النعمة .

ثم بعث جارية الى مقصورتها التى اعدت لها ، وقال للجارية : اقرئيها منى السلام وقولى لها ، يا بنت العم ، ان اخواتك قد اجتمعن عندى ، ولولا انى ابن عمك لجئتك .

فلما سمعت الرسالة علمت مراد المهدى فجاءت تسحب اذيالها ، فأمرها بالجلوس ورحب بها ورفع منزلتها ، ثم تذاكروا أخبار أسلافهم وايام الناس والدولة وتنقلها فما تركت لاحد فى المجلس كلاما .

ثم أخدمها وأجازها ، فأقامت فى قصره معززة مكرمة الى أن قضى المهدى والهادى وشطرا من أيام الرشيد ، وماتت فى خلافته وجزع عليها جزعا شديدا . هذا هو عطفنا وحنونا على أبناء جلدتنا وتراحمنا عند الملمات .

٤ ـ أية أخلاق كانت للعرب فى الجاهلية : ـ

رافق أبو بكر وعلي بن أبي طالب ، رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سيره ، ثم انتهوا جميعا الى مجلس عليه السكينة والوقار ، واذا مشايخ لهم أقدار وهيئات . فتقدم أبو بكر ـ وكان مقدما فى كل خير ـ فسلم وقال : ممن القوم ؟ قالوا : من شيبان ابن ثعلبة ، فالتفت أبو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال ، بأبى أنت وقومى ! ليس بعد هؤلاء من يميز فى قومهم ، وهؤلاء غرر فيهم ، وكان فيهم مفروق بن عمرو ، وهانىء بن قبيصة ، والمثنى بن حارثة ، والنعمان بن شريك ، وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالا ولسانا ، وكانت له غديرتان تسقطان على صدره فكان أدنى القوم مجلسا من أبى بكر ، فقال له أبو بكر : كيف العدد فيكم ؟ فقال له : انا لنزيد على ألف ، ولن تغلب الف من قلة ، فقال له : كيف المنعة فيكم ؟ فقال : علينا الجهد ولكل قوم جد . فقال أبو بكر : فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم ؟ فقال : انا أشد مانكون لقاءا حين نغضب ، وانا لنؤثر الجياد على الاولاد ، والسلاح على اللقاح ، والنصر من عند الله : يدلنا مرة ويديل علينا مرة ، لعلك أخو قريش ؟ فقال أبو بكر : ان كان بلغكم انه رسول الله فهذا هو .

فقال مفروق : قد بلغنا انه يذكر ذلك ، ثم التفت الى رسول الله فجلس ، وقام أبو بكر يظله بثوبه ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أدعوكم الى شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وانى رسول الله ، وأن تؤوونى وتنصرونى ، حتى أؤدى عن الله الذى أمرنى به ، فان قريشا قد تظاهرت على أمر الله ، وكذبت رسوله ، واستغنت بالباطل عن الحق ، والله هو الغنى الحميد » .

قال مفروق : والامَ تدعو أيضا يا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : « قل تعالوا نتلُ ما حرم ربكم عليكم ألا

تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق ، نحن نرزقكم واياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ، ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشـده ، وأفوا الكيـل والميزان بالقسط لا تكلف نفسا الا وسعها ، واذا قلتم فأعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ، ذلك وصاكم به لعلكم تذكرون ، وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكل عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

فقال مفروق : والامَ تدعو أيضا يا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » .

فقال مفروق : دعوت والله يا أخـا قريش الى مكـارم الاخـلاق ومحاسن الاعمال ، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك ـ وكأنه أحب أن يشركه فى الكلام هانىء بن قبيصة ـ فقال : وهذا هانىء بن قبيصة شيخنا .

فقال هانىء : قد سمعت مقالتك يا أخا قريش ، وصدقت قولك ، وانى أرى أن تركنا ديننا واتباعنا دينك لمجلس جلسته الينا ليس له أول ولا آخر ، ذلة فى الرأى وطيشة فى العقل ، وقلة نظر فى العاقبة ، وانما تكون الزلة مع العجلة ، وأن ليس ورائنا قوما نكره أن نعقد عليهـم عقدا ، ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر ـ وكأنه أحب أن يشركه فى الكلام المثنى بن حارثة ـ فقال : وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا .

فقال المثنى : قد سمعت مقالتك ، واستحسنت قولك يا أخا قريش ، وأعجبنى ما تكلمت به ، والجواب هوجواب هانىء فانا انما نزلنا الصريين

اليمامة والسمانة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما هـــذان الصربان ؟ فقال له : أما احدهما فطفوف البر وأرض العرب ، وأما الآخر فأرض فارس وأنهار كسرى ، وانما أنزلنا على عهد أخذه علينا كسرى الا نحدث حدثا ، ولا نؤوى محدثا ، ولعل هذا الامر الذى تدعونا اليه مما تكرهه الملوك ، فاما ما كان مما يلى بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور ، وعذره مقبول ، وأما ما كان مما يلى بلاد فارس فذنب صاحبه غيرمغفور ، وعذره غير مقبول . فان أردت أن ننصرك ونمنعك مما يلى العرب فعلنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ما أسأتم الرد اذ أفحصتـم بالصدق ، انه لا يقوم بدين الله الا من حاطه من جميع جوانبه .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرأيتم ان لم تلبثوا الا يسيرا حتى يمتعكم الله بلادهم وأموالهم أتسبحون الله وتقدسونه ؟ « . فقال له النعمان بن شريك : اللهم وان ذلك لك يا أخا قريش ! فتـــلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : « انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » . ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم قابضا على يد أبى بكر ، والتفت الى علي ، وقال : يا على أية أخلاق للعرب كانت فى الجاهلية ! ما أشرفها ! بها يتحاجزون فى الحياة الدنيا !

الخطأ والصواب

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
ومن فات	ومن مات فات	٥	١٥
وفى وذلك	وفى ذلك	٦	٨
يسيئك	ما يسيئك	٩	١٥
جذب	جدب	١٠	٦
بشعدها	بعدها	١٧	١٢
الحين	الحى	٢٣	٢١
العوادلى	العوالى	٢٤	٢٠
اذ	اذا	٤٩	١٢
قصّدتُ	قصدتُ	٥٩	٢
بابن	يابن	١٠١	١٠
ورث	ورثك	١٠٣	١٣
السان	الشنئان	١٠٣	١٣
الطام	الطعام	١٠٦	١٤
بابن حازم	بأبى حازم	١٠٦	١٨
وهل أجد	وهل دخل أحد	١١٦	٢١
ببقعة	ببقة	١٢٣	١٢
فأخذها	مأخذها	١٢٤	١٤
آخرها بعبر	آخر بعير	١٢٧	١
يلغ	بلغ	١٣٤	٢١
لغرضهن	لعرضهن	١٧١	٣
الق	الحق	١٧١	١١

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
وشهوا	وشهودا	١٧١	٢٢
السؤال	السوآل	١٧٣	٢١
منهم	لهم	١٧٤	٠١
الكلاك	الكلال	٢٢٠	١١
اذ داك	اذ ذاك	٢٢٦	٠٥
لعادتى	لعادنى	٢٣٢	١٣
قتلتنا	قتلننا	٢٣٢	٢١
ولا أأرفق	ولا ارفق	٢٤١	٢٣
أن جاريةٍ	ان جاريةً	٢٤٤	٠١
أم ضعف	ام من ضعف	٢٤٤	٥
اذ ذلك	اذ ذاك	٢٥٨	١٣
بين	بنى	٢٦٠	٢٠
دابتهما	دابتيهما	٢٦٢	٢١
الكاتب	الكتاب	٢٦٧	٢٣
مرفعته	مرقعته	٢٧١	١٣
خامسا	رابعا	٩٢	١

الفهـــرست

الصفحة		الموضوع
٣٦		حدثني عن أغرب ما مر بك
٣٨		هذا بغية أمير المؤمنين
٣٩		أبو حنيفه يرعى الجوار
٤٠		الحجاج يعفو عن أسير
٤١		حاتم الطائى وسعد بن حارثة
٤٣		تستجير بقبر أبيه
٤٣	(٣)	**الكرم والايثار**
٤٤		ايثار بن ماجة الايادى
٤٤		من كرم حاتم
٤٥		حاتم ومعاوية
٤٦		جود عثمان بن عفان رضى الله عنه
٤٧		لبيد والوليد بن عقبة
٤٨		كرم معاوية بن أبى سفيان
٤٩		أسخى من البحر اذا زخر
٥٠		يجود على مقدار نفسه
٥١		من حيل الكرماء
٥٢		يد عند عبد الله بن عباس
٥٢		اختيار الاجواد
٥٣		ان هذا لاسخى منى
٥٤		عمارة وعبدالملك بن مروان
٥٥		احتكموا وأكثروا
٥٦		أنت أخو الندى وحليفه
٥٧		معن بن زائدة

الصفحة		الموضوع
٥٩		ما ولدت العرب أكرم منك
٦٠		الاصمعي يطلب القرى
٦١		ولقد أبيت على الطوى
٦٣		غسان بن عياد وعلى بن عيسى
٦٥		لقد كان ذلك الرجل شؤما
٦٦		قل للكرام ببابنا يلجوا
٦٧		حاتم يقرى الضيف بعد موته
٦٨		عقيد المجد والجود
٦٨	(٤)	**العفو عند المقدرة**
٦٨		مكرمة
٧١		ارحموا عزيزا ذل
٧٢		معاوية يعفو
٧٤		هذا بغية أمير المؤمنين
٧٦		أموى عند الرشيد
٧٩		أفضل الاصحاب
٨٠		ابراهيم بن المهدى والمأمون
٨٥		المأمون يعفو عن الحسين بن الضحاك
٨٦		ان قريشا حدثت انك من أحلمها
٨٩		مثلك من قدر فعفا
٩٢	(٥)	**الصراحة والجرأة الادبية**
٩٢		واعظ الرشيد
٩٥		سودة بنت عمارة عند معاوية

الصفحة	المـوضـوع

الصفحة	الموضوع
١٣٨	**(٧) الذكاء والفطنة**
١٣٨	وافق شن طبقة
١٣٩	لن يبرح الميدان حتى يقتلا
١٤٠	النذير
١٤١	حديث عن امرىء القيس
١٤٣	أنا أعلم بقريش من قريش
١٤٤	الاحنف يفحم معاوية
١٤٥	ذكاء ابن عباس
١٤٥	دهاء عمارة بن تميم اللخمى
١٤٧	دهاء عمرو بن العاص
١٥٠	عمرو بن العاص وأحد كفار العجم
١٥٠	**(٨) الزهد فى العيش والترفع عن الدنايا**
١٥١	أعطيك مالى اذا شئت
١٥١	الشمعة والسراج
١٥٢	عفة الشريف الرضى
١٥٤	أمـين
١٥٦	لا يقبل على اصطناع المعروف مكافأة
١٥٨	لا تذهبن بنفسك عن الحق
١٥٩	خليفة يعطى الفقراء ويمنع الشعراء
١٦٢	الشعراء عند عمر بن عبدالعزيز
١٦٥	فى وفاة عمر بن عبدالعزيز
١٦٦	جئتك من عند أزهد الناس
١٦٧	الولد سر أبيه

الصفحة	الموضوع

سعر النسخة: نصف دينار


Princeton University Library
32101 072240433